



دليل الطالب المرشد

دروس متقدمة في التصوف الكسنزاني
مستخلصة من دورة
السلطان لإعداد مرشدي الكسنزان

برعاية

السَّيِّدُ الشَّيْخُ
شمس الدين محمد نهر
الكسنزان القادري الحسيني
رئيس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

الجزء (2)

دليل الطالب المرشد- ج2

اسم المنجز: دليل الطالب المرشد- دروس متقدمة في التصوف الكسنزاني

تأليف: د. نضال البغدادي

برعاية: السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني.

جنس المنجز: تصوف

تصميم الغلاف والإخراج الفني: علي كاني

الطبعة الأولى: 2026

القياس: 17 * 24 سم

عدد الصفحات: 281



بطاقة

219

ب. 742. البغدادي. نضال.

دليل الطالب المرشد: دروس متقدمة في التصوف الكسنزاني/نضال
البغدادي، السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري
الحسيني - ط 1.

بغداد: دار رائد المعنى 2026 م

ج 2 (281 ص) - (17*24 سم)

1- التصوف الكسنزاني (دراسات)

2- الكسنزان، شمس الدين محمد نهرو (م.م) - أ - العنوان.

رقم الإيداع 2708 / 2026 م

المكتبة الوطنية / الفهرست اثناء النشر

تنفيذ الانجاز... طباعة وتصميم (دار رائد المعنى) العراق - بغداد

هاتف: 07744608640 (واتساب - تليگرام)

جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف - ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة النسخ أو الطبع أو
إعادة إصدار هذا الكتاب دون إذن خطي من أصحاب الحقوق .

رقم إيداع المكتبة الوطنية دار الكتب والوثائق ببغداد (2708) لسنة 2026

الناشر / دار رائد المعنى / للطباعة والنشر والتوزيع 2026م

تصوف

دليل الطالب المرشد

(دروس متقدمة في التصوف الكسنزاني)

الجزء الثاني

برعاية السيّد الشيخ شمس الدين محمد نهر
الكسنزان القادري الحسيني
رئيس المركز العالمي للتصوف والدراسات
الروحية

سلسلة منشورات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

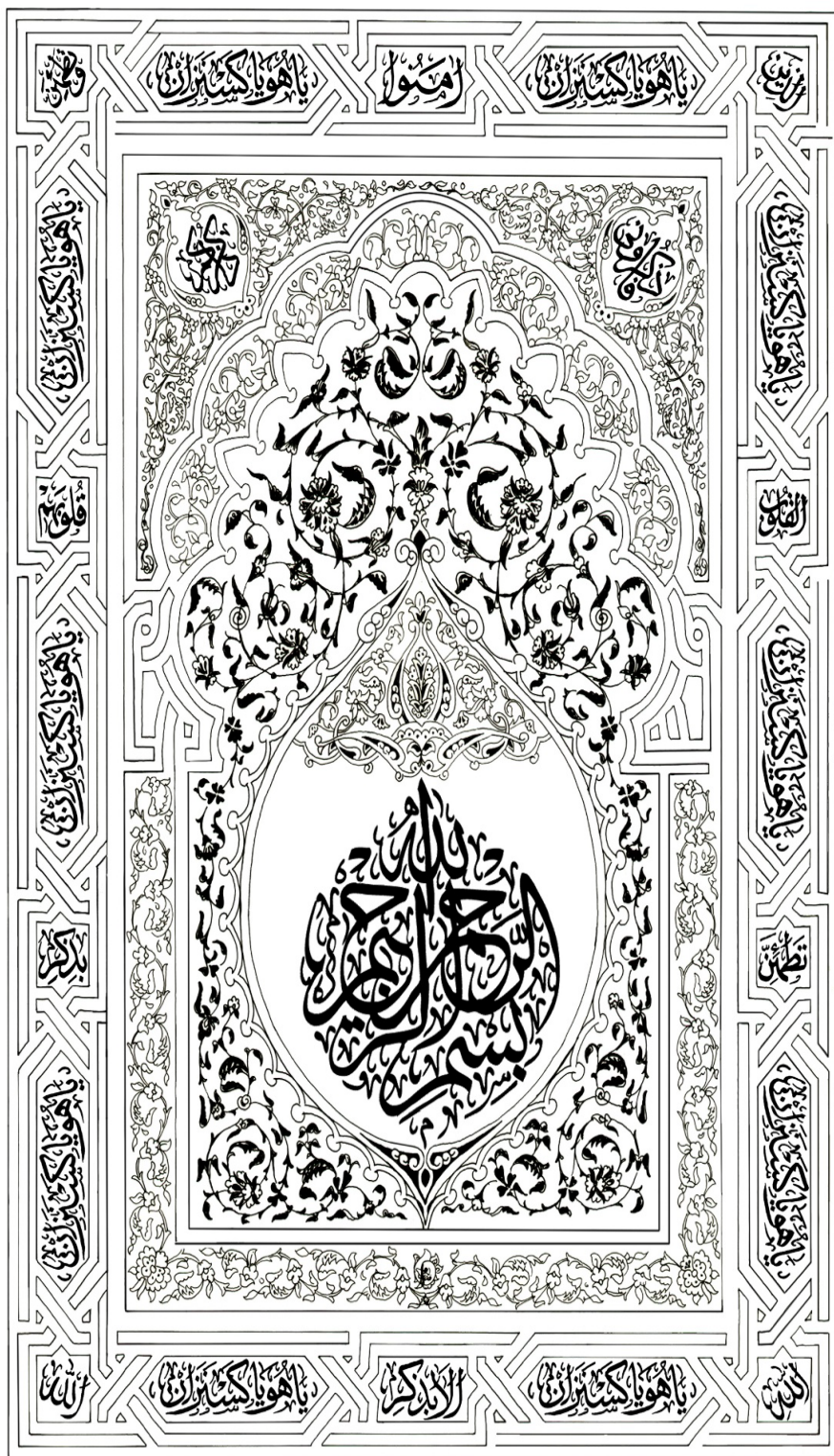
في الطريقة الكسنزانية [1]

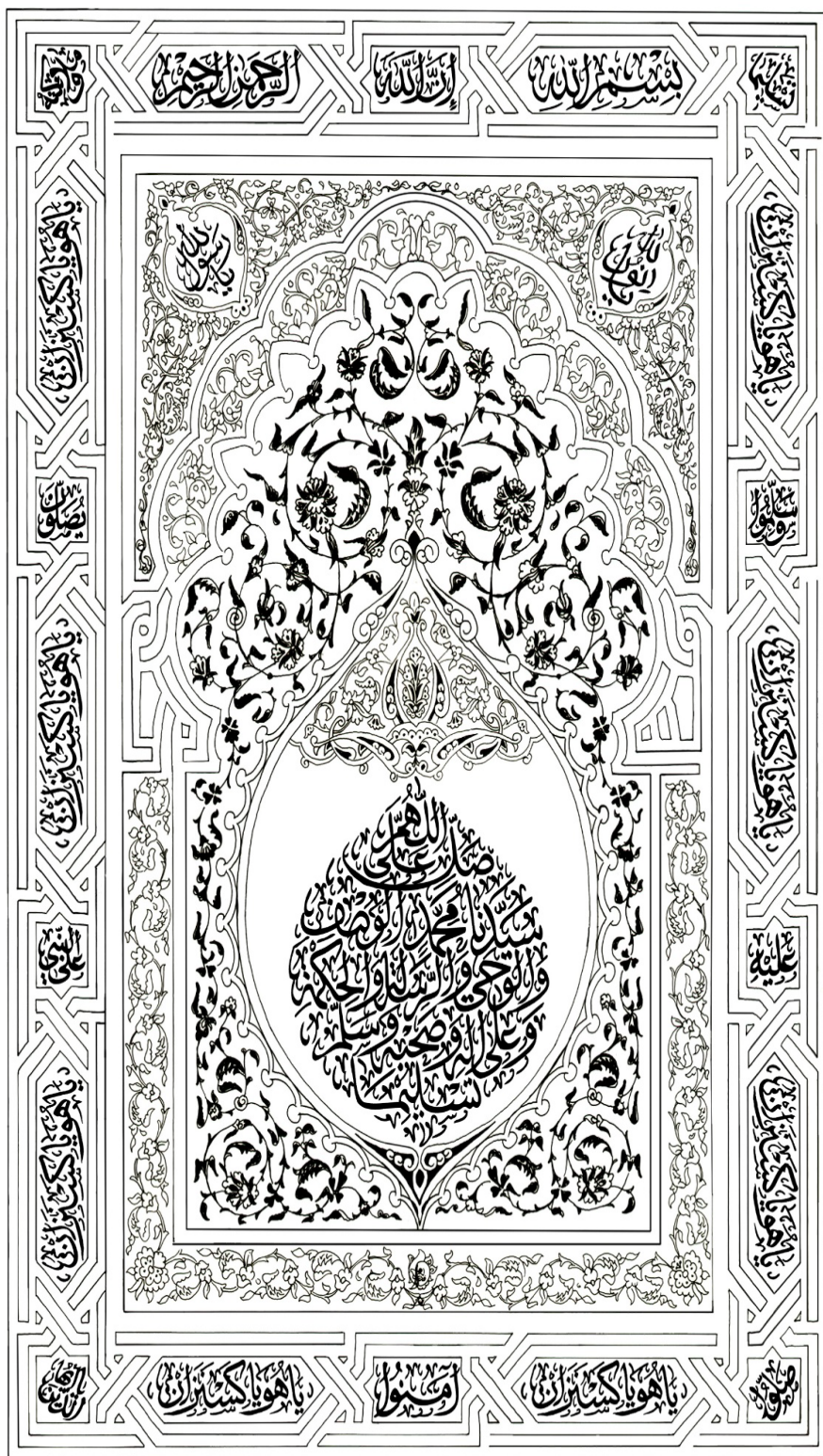
طبعة أولى 2026م



إِهْدَاءُ

يَا سُلْطَانَ الْحَقِّ، يَا حَامِلَ لِيَوَاءِ الْهَدَى، يَا
مَنْ رَفَعْتَ رَايَةَ الْمَحَبَّةِ فَوْقَ كُلِّ طَائِفَةٍ
وَمَذْهَبٍ، وَجَمَعْتَ الْقُلُوبَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى، فَصَارَ الطَّرِيقُ بِكَ مَأْوًىً لِلسَّالِكِينَ،
وَمَلَاذَأً لِلْحَائِرِينَ، وَنُوراً لِلْعَالَمِينَ.
إِلَيْكَ، يَا مَوْلَانَا، أَهْدِي هَذَا الْكِتَابَ...
وَفَاءَ لِمَا غَرَسْتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّةٍ،
وَاِعْتِرَافاً بِمَا أَفَاضَهُ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ
التَّزْيِينِ، وَعَهْداً مُتَجَدِّداً عَلَى السَّيْرِ بِنَهْجِكَ،
وَالْوَفَاءِ بِأَمَانَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَمَلْتَنَا إِيَّاهَا،
حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ صَدَقْنَا مَا عَاهَدْنَاهُ
عَلَيْهِ.





كلمة افتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الَّذِي علَّمَ الإنسان ما لم يعلم، وفتح له سبل الهداية والإرشاد الأتمّ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدٍ، الداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير، وعلى آله وأصحابه وأوليائه السائرين على طريقه القويم إلى يوم الدين..

أما بعد،

فإنَّ الإرشادَ في طريقتنا العليّة القادريّة الكسنزانيّة، وكما قال حضرةُ السلطان الخليفة محمدٍ المحمّد الكسنزان (قدس سره): هو "العبادة الأكبر والأقوى بين جميع العبادات والأعمال الصالحة، لأنه الأصل الذي به تُفرض الفرائض، فالإرشادُ رأسُ التقوى، ولا يجوز التوقف عنه نهائياً". ومن هنا، كانت الحاجة إلى منهج معاصرٍ يضعُ هذا المقام في إطاره الصحيح، ويُعينُ المرشد على فهمه فهماً عميقاً، يتناسب مع تطورات المرحلة الفكرية والعلمية والثقافية وشتى مجالاتها المتقدمة.

استجابةً لهذه الحاجة، وجّهنا إدارة "المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية" في الطريقة الكسنزانية، لإعداد دروس منهجية، وتنظيم "دورة السلطان لإعداد مرشدي الكسنزان" كي تكون مساراً تعليمياً منظماً، يستهدف العنصر الأساسي في الإرشاد وهو المرشد نفسه؛ وعيه، نيته، التزامه، وفهمه لموقعه في هذا الطريق، وهذا العمل الصالح قبل أن ينتقل إلى ما يتصل بممارسته للإرشاد في واقع الناس.

لقد أكدنا في توجيهنا على أن يُبني هذا المنهج على المرجعيات الدينية التي تركها فينا حضرة الرسول الأعظم ﷺ بقوله المقدس: ﴿إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾⁽¹⁾، فالآية الكريمة وما تفرد به ممثل العترة في

1 - الطبراني، المعجم الكبير، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، رقم الحديث [4980]، ج5 ص169.

زمانه حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدس سره)، هما مناط الاتباع والتوكل والعلم والعمل، الذي نسير عليه جميعاً في هذا الطريق الرباني.

إنَّنا إذ نوجه بذلك خلفاء ومرشدي، بل وجميع مريدي الطريقة الكسنزانية عليه من الأخذ بزمام المبادرة في هذا العمل المبارك، فإنَّنا سائرون على خطى خير السير سيدنا وحبیبنا محمد ﷺ الذي ربط لنا بين الخير الشخصي والخير المجتمعي، في قوله المبارك: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾⁽¹⁾، فهذا المعنى يجعل الإرشاد امتداداً طبيعياً لإيمان الإنسان، لا عملاً منفصلاً عنه.

لقد حرصنا في هذا المنهج على أن لا يقتصر التعليم على الجانب النظري، بل على ضرورة أن يمتد العلم في تجربة واقعية تفاعلية، تُمكن المرشد من الربط بين المفهوم والتطبيق، وبين النية والعمل، وبين الشروط الظاهرة والأثر الباطن، بحيث يدرك أن الإرشاد يجري وفق سنن وقوانين، كما تجري سائر شؤون الحياة.

كما تم التأكيد هنا على مبدأ التكامل بين العلم والإيمان، استناداً إلى التوجيه القرآني: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ--﴾⁽²⁾، ليكون المرشد جامعاً بين صفاء القلب ومعرفة العصر، قادراً على أداء دوره بروح الطريق، ووعي الواقع في آنٍ واحد.

إنَّ هذا المنهج الذي أجازهُ مشايخ الطريقة لكم هو النواة أو البداية التمهيدية لمرحلة أوسع من التخصص في المواد الإرشادية، وآليات الخطاب الصوفي المعاصر، بما يتناسب مع تحديات هذا الزمن ومتغيراته. إنني إذ أدعوكم لتنهضوا بهذا الأمر بالجد، وبذل الجهد الذي يستحق، فإنني أتوجه إلى الله تعالى أن يهديكم بواسطته الصراط الأقوم، وأن يجعلكم نواة خير للتفكير الواعي نقيّ البياض بنور الهداية المحمدية،

1 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م، ج21 ص389.

2 - [الروم: 56].

وأن تكونوا مرشدين صالحين في كافة الميادين الحركية أو الإلكترونية، إنه
تعالى سميعٌ مجيبٌ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف
والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

السَّيِّدُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
مُحَمَّدُ نَهْرُو الكسنزان القادريّ الحسينيّ
رئيسُ المركزِ العالميِّ للتصوّفِ والدراساتِ الروحيّةِ

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد.

فإن الإرشاد في الطّريقةِ العليّةِ القادريّةِ الكسنزانيّةِ يُعدُّ ركيزةً أساسيةً في بناء الفرد والمجتمع، وهو أمانةٌ تقتضي إعداداً يتسم بالدقة والشمول، في الجانبين العقلي والقلبي. لذا كان من البديهي أن يُوليه أساتذة الطّريقةِ الكسنزانيّةِ العنايةَ الفائقة، وخصوصاً حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان الحسيني القادري (قدس سره)، رئيس الطّريقةِ العليّةِ القادريّةِ الكسنزانيّةِ الحاضر، الذي تبنى رؤيةً تطويريةً من التوجيهات التربوية المعاصرة، تجسدت في إسناد العمل الإرشادي الميداني إلى آفاق الدراسة المنهجية الأكاديمية الرصينة.

إنَّ اعتماد المنهجية العلمية في تكوين المُرشد يمنحه القدرة على الجمع بين الأصالة الروحية والمعاصرة الفكرية. فالدراسة المنهجية هي القدرة على ترتيب الأفكار، وضبط المسائل، وتزويد المُرشد بالأدوات التي تُمكنه من أداء مهامه بكفاءةٍ عاليةٍ واحترافيةٍ تربويةٍ، بما يضمن الحفاظ على أصول الطريقة ونقائها.

أسَّس هذا الإصدار المرجعي لِيُمَثِّلَ محطةً فارقةً في مسيرة الإعدادِ التربوي والتعليمي الصوفي؛ إذ قد اعتمدنا فيه منهجيةً توثيقِ المادةِ العلميةِ بأسلوبٍ "التدريس التفاعلي"، فجاء هذا "المرجع" مرآةً صادقة لتلك التجربة التربوية الرائدة، والتي شارك فيها زهاء (220 طالباً وطالبةً) من مريدي ومريدات الطريقة، فأثمرت مصدراً تعليمياً جامعاً بين النظرية والتطبيق.

إن دروس هذا المنهج استهدفت بصورة أساسية عملية بناء شخصية المرشد نفسه، بحيث تزداد عنده مساحة الوعي الفكري والصوفي، لتمكنه من معرفة ذاته المُرشدة أولاً، والوقوف على أبعاد دوره ومسؤولياته في هذا المقام الشريف.

لهذا، ركّز هذا المنهج بوضوح على استكشاف ثمار الإرشاد التي تعود على المرشد نفسه في سلوكه وترقيته الشخصية، قبل النظر في أثرها على الطريقة أو عامة الناس؛ ذلك أن إدراك المرشد لمقامه وموقعه في هذا المسار يُعدّ التمهيد الضروري للمرحلة الثانية التي ستُعنى بما نسميه (المادة الإرشادية) التخصصية التي يتوجب عليه استيعابها لنقلها إلى الآخرين. كما يمهد هذا الوعي الذاتي الطريق نحو المرحلة الثالثة، والمتمثلة في إتقان (آليات الخطاب الصوفي المعاصر) وفنون التواصل الفعال الهادفة إلى إيصال الرسالة الإرشادية بروح العصر.

صُمم هذا المنهج ليكون مرجعاً دراسياً منظماً، حيث تم تقسيمه إلى عشرة دروس أساسية، غطت أهم الجوانب التي يحتاجها المرشد ليعرفها عن نفسه في مسيرته، واتباعاً للمناهج التربوية الحديثة، ألحقنا بكل درس مجموعة من الأسئلة والأجوبة الخاصة بموضوعه، وهي الحصيلة التي نتجت عن تفاعل المتدربين خلال عملية التدريس، والبالغ عددها زهاء (269) سؤالاً وجواباً.

إنّ الغاية من إدراج الأسئلة عقب كل درس هي ترسيخ المعلومة في ذهن المرشدين الجدد أو القارئ، ومعالجة الإشكالات الواقعية التي قد تكون مستغلقة على الأذهان. فالسؤال هو مفتاح المعرفة، والإجابة الموثقة هي الدليل الذي يهتدي به المرشد. وقد حرصنا على صياغة الأجوبة بأسلوبٍ ميسرٍ دقيقٍ، لتكون نصوصاً معيارية يستند إليها الجميع.

إننا إذ نضع هذا المنهج بين أيدي السالكين والمرشدين، نفتح
أكفنا وقلوبنا سائلين الله تعالى أن يجعله مناراً للعلم، ووسيلةً
لخدمة نهج مشايخنا الكرام، وخصوصاً حضرة السيد الشيخ
السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدست أسرارهم)، وأن يبارك في
جهود شيخنا وأستاذنا الحاضر (قدس سره) في رعاية هذا الصرح
العلمي والروحي، المبارك.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

استهلال

الإرشاد والرحمة العالمية

يقول أستاذ الطريقة، حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان الحسيني القادري (قدس سره الكريم):

«الطريقة ليست لأهلها وحدهم، بل هي رحمةٌ للعالمين، فمن وجد فيها الهداية، فليكن سبباً في أن يجدها غيره»⁽¹⁾.

هذه المقولة تقرر شمولية الطريقة وانفتاحها، بوصفها رسالة رحمة تمتد إلى الناس كافة. ووفقاً لها يقع على عاتق كل من ذاق في الطريقة الهداية، مسؤولية إيصال تلك الرحمة إلى غيره، بخلق حسن وكلمة طيبة دالة على الخير. هذا المعنى تؤيده القاعدة النبوية المطهرة الجامعة: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه﴾⁽²⁾، فمن أحب لنفسه نور الذكر وصلاح الحال، فعليه أن يحب لغيره أن ينال مثل الذي ناله، وبذا يكتمل إيمانه. الإرشاد إذًا وسيلة المرشد لاستكمال دائرة إيمانه. بكلمات أخرى:

إن مشايخ الطريقة يستهدفون إيصال الطريقة للناس كافة، هذا أصل مفروغ منه، ولكنهم في تركيزهم على مريديهم ليكونوا مرشدين، هم ساعون في ذلك إلى دفعهم على استكمال دوائر إيمانهم، وبالتالي استحقاقهم للرتب العُلى يوم اللقاء.

1 - السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (قدس سره)، في حضرة الطريق (رسائل ومساائل)، دار آراء، ط1، 2025م، رسالة [19]، ص89.

2 - أحمد بن حنبل، مصدر سابق، ج21 ص389.

لا أحد ليس بهرشد

يقول أستاذ الطريقة الحاضر (قدس سره):

«لا تقل: لست أهلاً للإرشاد، فإن كل من عرف الطريق يمكنه أن يدلّ عليه»⁽¹⁾.

هذا النص يرفع عن المريد عُقْدة "عدم الأهلية" التي كثيراً ما تمنع الخير من أن ينتشر، ويُقرر معنىً بسيطاً وعميقاً: الإرشاد ليس حكراً على أصحاب الشهادات أو كثرة العلم، فمن عرف باب الخير يستطيع أن يشير إليه، ولو كان ضعيفاً، لأن الهداية منحة من الله، ودور الإنسان أن يكون سبباً لا مصدراً.

هذا المعنى يلتقي مع التيسير القرآني الذي يرفع الحرجَ عمن لا يملك القدرة الكاملة، ويجعل معيار القبول هو الصدق والنصح، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾⁽²⁾. فكما أن الله لا يكلف العاجز بما لا يطيق، ولا يؤاخذُه إذا أدى ما يستطيع من النصيحة الصادقة، كذلك لا ينبغي لمن يرى نفسه ضعيفاً أن يمنع نفسه من دلالة الناس على الخير، ما دام محافظاً على حدود الأدب والصدق، وموقناً أن الفتح من الله.

بذلك يوجّه النص المريد إلى ميزان واضح: لا تتقدّم بدعوى الاستقلال والهداية منك، ولا تتأخر بدعوى الضعف وعدم الأهلية؛ بل كن سبباً أميناً، وقدّم ما تقدر عليه من كلمة طيبة، أو دعوة إلى الذكر، أو إحالة إلى من هو أعلم، وترك نتائج الهداية لله سبحانه وتعالى.

1 - في حضرة الطريق، مصدر سابق، رسالة [19]، ص 289.

2 - [التوبة: 91].

الأصل في الإرشاد

الأصل في الإرشاد أنه همة مستمدة من شيخ الطريقة، ونورٍ يحلّ في قلب المرید، فينطلق به لسانه بالهداية من غير تكلف.

هذا المعنى تؤصّله الإشارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾⁽¹⁾، حيث أن الأمية لم تكن مانعاً من البلاغ، ولا مؤثرة سلباً في الهداية، والسبب أن الإرشاد فيه إذن ربانيٌّ، ومسدّد بالقوة الروحية.

عليه، فإن كل من حضرت عنده إرادة الإرشاد الصادقة، وتلقّى مددها من مشايخ الطريق، كان مُسدّداً بقدرها، مهما كان مستواه العلمي أو الاجتماعي.

غير أن هذا الأصل الروحي في الإرشاد لا يُفهم اليوم على وجه الاكتفاء، لأننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، زمن النهضة العلمية، وثورة المعلومات، وتسارع وسائل التواصل، وحضور الذكاء الاصطناعي في تشكيل الوعي العام.

ثم إن الطريقة في أصلها لا تفصل بين الظاهر والباطن، ولا تقيم أحدهما على حساب الآخر، بل ترى التكامل بينهما شرطاً للسلامة والكمال في جميع المجالات.

من هنا، لا يصحّ الركون إلى الحال الروحي وحده، ولا الاكتفاء بالهمة والنور دون تحصيل، بل لا بد من التحصيل للتحسين، حتى لا يكون الخطاب الروحي معزولاً عن الواقع، ولا يكون الإرشاد عرضةً للسطحية أو لسوء الفهم في هذا الزمن. ولو لم يكن للعلم هذا المقام، لما خُوطب المصطفى ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽²⁾، وهو أكمل الخلق حالاً ونوراً، مما يدل على أن الزيادة في العلم سنة مرافقة للكمال الروحي لا منافية له.

1 - [الجمعة: 2].

2 - [طه: 114].

وعليه، فإنَّ الإرشاد في هذا العصر يقتضي الجمع بين نور الباطن وأدوات الظاهر، وبين صفاء القلب ومعرفة العصر، وبين الهمة الروحية والوسائل العلمية المعاصرة، بحيث يكون المرشد حاضراً بقلبه، واعياً بعقله، قادراً على مخاطبة النَّاس بلغتهم، وفهم أسئلتهم، والتعامل مع تحديات زمانهم، دون أن يفقد روحه ولا أن يُفَرِّغ الطريق من معناه. نعم، لا يشترط أن يكون الجميع بمستوى واحد، بل كلُّ حسب استعداده وقابليته، والعدالة تكافئ الجميع بحسب الصدق وبذل الجهد. بهذا التكامل وحده، يبقى الإرشاد حياً، متجدداً، قادراً على النفاذ إلى القلوب، والتأثير في العقول.



تعريف الإرشاد والمرشد

الإرشاد من حيث الجذر اللغوي (ر ش د) له في لغة العرب أصل واحد كما قال (ابن فارس) في (معجم مقاييس اللغة) وهو: استقامة الطريق. والمرشِد: مقاصد الطريق⁽¹⁾.

وفقاً لذلك المرشد هو العارف بالطريق المستقيم ومقاصده. لم يتم التعريف بعد، وتماهه فيما ذكره الفراهيدي في (العين) حيث قال: والمرشد: «نقيض الغي»⁽²⁾.
ما الغي؟ «الغِيَّ.. الانجذاب إلى ما يترتب عليه الفساد فكأن فيه درجة من التعمد»⁽³⁾.

هذا يعني أن الرشد: هو الانجذاب إلى ما يترتب عليه الصلاح. فيكون: المرشد: هو الذي يجذب إلى ما يترتب عليه الصلاح، وليس إلا الطريق المستقيم.
السؤال: هل يتماهى أو يتماشى هذا الفهم مع ما جاء في القرآن الكريم بهذا الخصوص؟

لنقرأ مما تيسر من التنزيل الحكيم ونحاول أن نتبين ذلك: فلننظر في قصة آدم وزوجه مثلاً.
أعطيا تعليمات واضحة، فقد أبيع لهما الأكل والشرب والاستنعام في الجنة حيثما وكيفما يشاءان، إلا من شجرة واحدة، نُهيّا عن الاقتراب منها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾.
ماذا حدث؟ أتاهما الشيطان متمثلاً بهيئة إنسان صالح، وقال لهما:

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2 ص398.

2 - الفراهيدي، العين، ج6 ص242.

3 - قد فسروا الغي بالضلال وهو ليس بدقيق، لأن الضلال "الضلال هو غيبة الحق أي عدم تبينه إياه أو غيبته عنه". أنظر: د. محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ج3 ص1548.

4 - [البقرة: 35].

﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽¹⁾.

واستمر الشيطان في غوايته: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى . فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾⁽²⁾.

لاحظوا هنا: فغوى

لنعد إلى التعريف: انجذاب آدم بدرجة من التعمد إلى (نهي) ترتب عليه الفساد فوقع ضحية المقصد غير المبين.

المبين: أي الحق الذي له أثر في الواقع الخارجي.

غير المبين: أي الباطل الذي ليس له أثر في الواقع الخارجي.

يعني: سلك آدم طريقاً غير مستقيم.

إذاً:

الرشد: في الانجذاب إلى الطريق المستقيم ذي المقاصد المبينة.

الغي: في الانجذاب إلى الطريق غير المستقيم ذي المقاصد غير المبينة.

بهذا التحليل: نستطيع فهم الآية الكريمة: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽³⁾.

الآن.. إذا أتينا لنبني على هذا التأسيس سنقول:

المُرشد: ليس الذي ينجذب إلى الطريق المستقيم فقط، فهذا لم ينفع آدم وزوجه، بل آل بهما المال إلى أن: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا﴾⁽⁴⁾، أي تم تخفيض درجة النعمة التي كانت معطاة لهم، فبدل التنعم بلا تعب، صار عليهم كسبها بالكد والنصب.

1 - [الأعراف: 20-21].

2 - [طه: 120-121].

3 - [البقرة: 256].

4 - [البقرة: 38].

ما الذي يحتاجه المرشد ليستحق هذا الوصف بحق؟

يقول سلطاننا (قدس سره): "ال خليفة صاحب الوعي".

لقد حصل ارتباك في وعي آدم، فغوى، أي انجذب إلى وعد الشيطان على حساب وعد الله تعالى، وهذا يعني: أن المرشد هو الذي يحافظ على انجذابه إلى الصراط المستقيم، بالتوازي مع الوعي بمقاصده.

الرشاد في هذا البعد يتجلى في وعي المرشد بحدود رشد.

فالإرشاد هنا شهادة حال المرشد لنفسه، قبل أن يكون بيان مقال لغيره.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "الدرويش العارف بنفسه".

إذًا، هذا مدخل صدق من مداخل معرفة النفس ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾⁽¹⁾.

إن أسقطنا هذا الفهم على مصطلح (الإرشاد) نصل إلى استنتاج التعريف الآتي:

الإرشاد هو عملية تنوير الوعي بضرورة الطريق المستقيم، والتمهيد لانطلاق شرارة الجذبة الروحية في باطن المستمع.



الدرس السابع المرشد والتجربة الإرشادية

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

المرشد والتجربة الإرشادية

يقول أستاذ الطريقة الحاضر (قُدس سِرهُ العزيز):

«لا تقل: لستُ أهلاً للإرشاد، فإنَّ كُلَّ من عَرَفَ الطريقَ يُمكنه أنْ يدلَّ عليه».

هذا النصُّ يرفعُ عن المريدِ عقدةَ "عدمِ الأهلية" التي كثيراً ما تمنعُ الخيرَ من أنْ ينتشر، ويقرُّ معنىً بسيطاً وعميقاً: الإرشاد ليس حكرًا على أصحابِ الشهاداتِ أو كثيري العلم، فمن عَرَفَ بابَ الخيرِ يستطيعُ أنْ يُشيرَ إليه، ولو كان ضعيفاً، لأنَّ الهدايةَ منحةٌ من الله، ودورُ الإنسانِ أنْ يكونَ سبباً لا مصدراً.

قدّم ما تقدّر عليه من كلمةٍ طيبةٍ، أو دعوةٍ إلى الذكر، أو إحالةٍ إلى من هو أعلم، واترك نتائجَ الهدايةِ لله سبحانه وتعالى.

أنواعُ الإرشاد

يمكنُ تقسيمُ الإرشادِ إلى ثلاثةِ أنواعٍ:

• الإرشاد الحركي - العام

• الإرشاد الإلكتروني - الخاص

• الإرشاد التعليمي - الأخص

وفيما يلي تعريفُ هذهِ الأنواعِ الثلاثة:

الإرشاد الحركي - العام

هو كُلُّ نشاطٍ يمارسه المرشدُ من خلالِ حضوره وتنقله وعلاقاته المباشرة في الواقع، فيستثمر الحركةَ في المجتمع واللقاء بالناس والوجودَ بينهم، فيشملُ مختلفَ صورِ التواصلِ الميداني المباشر.

الإرشاد الإلكتروني - الخاص

هو نوعٌ من الإرشاد يُمارَسُ عبر الوسائطِ الرقمية ووسائلِ الاتصال الحديثة، مثل الرسائل، والمنصات، والمقاطع، والبث،

والنشر الإلكتروني. وسُمِّيَ خاصاً لأنه ليس عاماً كالحركة الواقعية المفتوحة، بل مرتبطٌ ببيئةٍ محددةٍ هي البيئة الإلكترونية، وبأدواتٍ مخصوصةٍ تفرضُ طريقةً خاصةً في العرض والتأثير والتفاعل.

الإرشاد التعليمي - الأخص

هو أن يمارس المرشدُ دور المعلم من خلال تقديم دوراتٍ علميةٍ منهجية، أو دروسٍ منتظمةٍ، أو برامجٍ تعليميةٍ مقصودةٍ، بقصدِ بناءِ معرفة المتعلم وتدرّجه في الفهم والتحصيل. وسُمِّيَ الأخص لأنه لا يقتصر على التوجيه العام أو المتابعة الخاصة، بل يتحول فيه الإرشاد إلى تعليمٍ منظمٍ، فيكونُ التعليمُ نفسه صورةً من صور الإرشاد.

أنواع المرشدين

بالاستناد إلى أنواع الإرشاد يُمكنُ تصنيفَ المرشدين إلى نوعين:
المرشدُ المتخصصُ:

هو المرشدُ الذي يركّزُ جهده وخبرته على نوعٍ معيّنٍ من الإرشاد، فيتعمّقُ في وسائله، وأدواته، ومهاراته، ومجالاتِ تطبيقه، حتى يتميزَ فيه أكثرُ من غيره. فقد يتخصصُ في الإرشاد الحركي، أو الإلكتروني، أو التعليمي، فيكونُ حضوره فيه أدقُّ، وأقوى، وأكثرَ قدرةً على الاستفادة المنهجية. وسُمِّيَ متخصصاً لأن عنايته تنصرفُ إلى مجالٍ مخصوصٍ يتقنه ويغلبُ عليه.

المرشدُ الشاملُ:

هو المرشدُ الذي يبرعُ في مختلفِ أنواعِ الإرشاد، أو له يدٌ في جميعِ مساراته، فيُحسِنُ الانتقالَ بينَ الإرشاد الحركي، والإلكتروني، والتعليمي، ويوظفُ كلَّ نوعٍ منها بحسبِ ما يقتضيه المقامُ والحاجة. وسُمِّيَ شاملاً لأنه لا يقفُ عندَ نوعٍ واحدٍ، بل يجمعُ بينَ الأنواعِ المختلفةِ، ويملكُ قدرةً أوسعَ على التوجيهِ ضمنَ سياقاتٍ متعددةٍ.

المرشد والتجربة الروحية

على المرشد أن يبذل قصارى جهده في تجربة أنواع الإرشاد كُلِّها، وألا يكتفي من نفسه بانطباع أولي أو قدرة متوهمة، لأنَّ الإمكان الحقيقي لا ينكشف غالباً إلا بالممارسة والتدرج وخوض التجربة في ميادين متعددة. فقد يظنُّ المرشد أنَّ طاقته محدودة في باب معين، ثمَّ يكتشف مع العمل أنَّ له قابليةً أوسعَ في بابٍ آخر، أو أنَّ ما كان خفياً في نفسه قد ظهرَ بالتربية والمداومة والإذن.

المؤمنُ قبلَ الطريقِ شيءٌ، وبعدها شيءٌ آخر، لأنَّه ينتقلُ من مجرد الاستعداد إلى التهذيب والتفعيل. وكذلك هو قبلَ الإذنِ بالإرشاد شيءٌ، وبعده شيءٌ آخر، لأنَّ الإذنَ ليسَ مجردَ ترخيصٍ قولي، بل يأتي مصحوباً بالهمة والقوة الروحية، الكفيلة بإحداث تحولٍ في الوعي، واستنفار لقوى لم تكن ظاهرةً من قبل.

لهذا كان من الحكمة أن يُجربَ المرشدُ جميعَ الأنواع، ويتابع، ويراجع نفسه، حتى يعرفَ موضعه الحقيقي، ويقفَ على إمكانيته الفعلية في الإرشاد، ففي النهاية الطريقة تقومُ على (التجربة الروحية أو الصوفية).

سبل التجربة الإرشادية

يمكن حصرُ سبل تجربة أنواع الإرشاد في سبيلين:

الأول: سبيلُ التدرج

من سبيلِ التجربة في الإرشاد أن لا يحمّلَ المرشدُ نفسه منذ البداية على ما لا يُحسنه، ولا يزجَّ بها في أكثرِ المساراتِ تعقيداً قبلَ أن يختبرَ قدرته فيها اختباراً عملياً. فإن لم يكن ذا خلفية سابقة بأنواع الإرشاد جميعاً، فالأولى به أن يبدأ بالأسهل فالأسهل، فيجربَ ما هو أقربُ إلى طبيعته، وأوضحُ في أدواته، وأخفُ في تبعاته، ثمَّ ينتقلُ بعد ذلك بالتدرج إلى ما هو أعمق وأدق وأشدُّ حاجةً إلى مهارة وخبرة. فعلى سبيلِ المثال: قد يبدأ بالإرشاد الإلكتروني، وهذا الإرشاد درجات:

- كتابةُ فقرَةٍ.

- كتابةُ مقالٍ.

- كتابةُ ما بعدَ المقالِ.

فيتدرَّبُ على منهجِ الفقرة، ويمارسُه في التواصلِ وينظرُ في تمكُّنه وأثره الواقعي في المُرشِّدين. فإنَّ اتقنَه، ينتقلُ إلى المقالِ، وهكذا.

الثاني: سبيلُ الخبرةِ

إذا كانَ المرشدُ أصلاً ذا تجربةٍ أو تمكَّنَ في نوعٍ معينٍ من الإرشاد، فالحكمةُ أنْ يبدأَ بما يعرفُه ويُحسنُه، لأنَّ البدايةَ من موضعِ القوةِ تمنحهُ الثقة، وتكشفُ له إمكانه الواقعي، ثم يتدرَّجُ بعد ذلك إلى الأنواع الأخرى، من الأقربِ إلى خبرته إلى الأبعدِ، ومن الأقلِّ صعوبةً إلى الأكثرِ تركيباً.

بهذا يكونُ سيرُه في التجربة سيراً منهجياً، لا عشوائياً، فيتعرَّف على نفسه من خلال الممارسة المتدرجة، ويصلُ إلى موقعه الحقيقي في الإرشاد على بصيرةٍ لا على مُجرد الظن.



رسالة الدرس: الجَميعُ في الطريقةِ مُطالبونَ بالإرشاد، والإرشاد أنواعٌ، والمُرشِّدين مُتباينينَ بحسبِ إمكاناتهم، والحكمةُ تقتضي أن يكتشفَ المُرشِدُ النوعَ أو الأنواعَ التي يبرزُ فيها ثقله الروحي، فيتمسكُ به، ويعملُ على تقويته، فكلما قوَّاه، قوَّى به.

تمارين الدرس السابع

التمرين الأول : أسئلة الفهم والاستيعاب

١. ما الفكرة الأساسية التي يقررها النص في رفع عقدة عدم الأهلية عن المريد؟
٢. كيف يعرّف الدرس الإرشاد الحركي العام؟
٣. ما المقصود بالإرشاد الإلكتروني الخاص؟
٤. لماذا سُمّي الإرشاد التعليمي بالأخص؟
٥. ما العلاقة بين أنواع الإرشاد وأنواع المرشدين؟
٦. ما الفرق بين المرشد المتخصص والمرشد الشامل؟
٧. لماذا يحث الدرس المرشد على تجربة جميع أنواع الإرشاد؟
٨. كيف يفسر الدرس أثر الإذن في تحويل حال المرشد؟
٩. ما المقصود بسبيل التدرج في التجربة الإرشادية؟
١٠. ما المقصود بسبيل الخبرة في التجربة الإرشادية؟

التمرين الثاني : التعريفات المفهومية

عرّف المصطلحات الآتية بحسب الدرس:

عقدة عدم الأهلية - الإرشاد الحركي - الإرشاد الإلكتروني - الإرشاد التعليمي - المرشد المتخصص - المرشد الشامل - التجربة الروحية - سبيل التدرج - سبيل الخبرة - الثقل الروحي.

التمرين الثالث : سؤال تركيبى

اكتب فقرة علمية مترابطة تشرح العلاقة بين:
الإذن - التجربة - التدرج - الخبرة - اكتشاف الإمكان الإرشادي

التمرين الرابع : أسئلة التعليل والتحليل

١. علل: الإرشاد ليس حكراً على أصحاب الشهادات أو كثيري العلم.
٢. علل: معرفة الطريق تكفي ليكون الإنسان سبباً في الدلالة عليه.
٣. علل: لا ينبغي للمرشد أن يكتفي بانطباع أولي عن نفسه.
٤. علل: الإمكان الحقيقي لا ينكشف غالباً إلا بالممارسة والتدرج.
٥. علل: الإذن بالإرشاد ليس مجرد ترخيص قولي.
٦. علل: من الحكمة أن يجرب المرشد جميع أنواع الإرشاد.
٧. علل: البدء بالأسهل أولى لمن لا يملك خبرة سابقة بجميع الأنواع.
٨. علل: البداية من موضع القوة تمنح المرشد ثقة أكبر.
٩. علل: التجربة المنهجية أبعد عن العشوائية في اكتشاف موقع المرشد الحقيقي.
١٠. علل: كلما قوى المرشد نوعاً من الإرشاد قوي به.

التمرين الخامس : ضع علامة صح أو خطأ مع التصحيح

١. يقرر الدرس أن الإرشاد لا يصلح إلا لأصحاب التخصصات العلمية العالية.
٢. الإرشاد الحركي مرتبط بالحضور الميداني المباشر بين الناس.
٣. الإرشاد الإلكتروني عام ومفتوح أكثر من الإرشاد الحركي.
٤. الإرشاد التعليمي يتحول فيه الإرشاد إلى تعليم منظم.
٥. المرشد المتخصص هو الذي يبرع في جميع أنواع الإرشاد دون استثناء.
٦. المرشد الشامل يجمع بين أنواع الإرشاد المختلفة بحسب الحاجة.
٧. الإذن بالإرشاد في الدرس مجرد تصريح لفظي لا أكثر.
٨. التجربة الروحية تكشف أحياناً قدرات لم تكن ظاهرة من قبل.
٩. سبيل التدرج يقتضي البدء بالأصعب لاختبار النفس مبكراً.

١٠. سبيل الخبرة يقتضي أن يبدأ المرشد بما يحسنه ويعرفه.
١١. كتابة الفقرة ثم المقال ثم ما بعد المقال مثال على التدرج في الإرشاد الإلكتروني.
١٢. الحكمة النهائية في الدرس أن يكتشف المرشد النوع الذي يبرز فيه ثقله الروحي.

التمرين السادس: استخراج من النص

استخرج من الدرس ما يدل على:

١. رفع عقدة عدم الأهلية.
٢. تعريف الإرشاد الحركي.
٣. تعريف الإرشاد الإلكتروني.
٤. تعريف الإرشاد التعليمي.
٥. الفرق بين المرشد المتخصص والمرشد الشامل.
٦. أثر الإذن في تفعيل القدرات.
٧. أهمية التجربة في معرفة الإمكان الحقيقي.
٨. سبيل التدرج.
٩. سبيل الخبرة.
١٠. فكرة الثقل الروحي في نوع معين من الإرشاد.

التمرين السابع: تحليل حالة

الحالة: مرشدان حصلا على الإذن. الأول ظن منذ البداية أن الإرشاد التعليمي لا يناسبه، فاكتمى بهذا الظن ولم يجرب إلا حضوراً محدوداً في الواقع. والثاني بدأ بالإرشاد الإلكتروني من كتابة الفقرة، ثم انتقل إلى المقال، ثم جرب الإرشاد الحركي، وبعد ذلك دخل المجال التعليمي تدريجياً، فصار أقدر على معرفة موضع قوته الحقيقي.

المطلوب:

١. حلل الفرق بين الحالتين في ضوء الدرس.
 ٢. بين أي المرشدين أقرب إلى منطق التجربة الإرشادية كما يعرضها النص.
 ٣. استخرج القاعدة العامة التي يريد الدرس ترسيخها في باب اكتشاف القابلية.
 ٤. وضح أثر التدرج والممارسة في الوصول إلى البصيرة العملية.
- التمرين الثامن : سؤال المقارنة
- قارن بين: المرشد المتخصص والمرشد الشامل. على أن يراعى في المقارنة بيان:

١. طبيعة المجال الذي يعمل فيه كل واحد.
٢. حدود الحركة والتأثير.
٣. نوع المهارة المطلوبة.
٤. الميزة الأساسية لكل منهما.

التمرين التاسع : سؤال تطبيقي

- كيف يمكن للمرشد الجديد أن يضع لنفسه خطة عملية لاكتشاف نوع الإرشاد الذي يبرز فيه أكثر؟ على أن يراعى في الجواب بيان:
٥. أهمية البداية الواقعية.
 ٦. دور التدرج.
 ٧. دور مراجعة النفس.
 ٨. كيفية الانتقال من نوع إلى آخر.
 ٩. أثر التجربة في تحديد موضع القوة.

التمرين العاشر: اختبار

١. ما المقصود بعقدة عدم الأهلية في سياق الدرس؟
٢. ما أنواع الإرشاد الثلاثة؟
٣. ما الفرق بين المرشد المتخصص والمرشد الشامل؟
٤. لماذا يدعو الدرس إلى تجربة جميع الأنواع؟
٥. ما أثر الإذن في المرشد؟
٦. ما معنى سبيل التدرج؟
٧. ما معنى سبيل الخبرة؟
٨. ما المقصود بالثقل الروحي في نوع من أنواع الإرشاد؟

التمرين الحادي عشر: مقال قصير

اكتب موضوعاً من صفحة واحدة بعنوان: التجربة الإرشادية طريق اكتشاف المرشد لموضع قوته. على أن يراعى في الموضوع:

١. وضوح المقدمة
٢. الاعتماد على مفاهيم الدرس
٣. بيان أنواع الإرشاد
٤. التفريق بين المتخصص والشامل
٥. شرح أثر الإذن والتجربة
٦. بيان دور التدرج والخبرة
٧. خاتمة موجزة

سين جيم الطلاب والطالبات

س164: هل يؤثر الالتزام بالأوراد - وجوداً أو عدماً - في الكشف عن الإمكانيات الحقيقية للمرشد ضمن تجربته الإرشادية؟

ج: بالتأكيد، الأوراد لها قوة روحية (فوق ما يمكن تخيله) في مساعدة المرشد في شتى المجالات الروحية، ومنها الكشف عن إمكانياته الحقيقية في التجربة الإرشادية.

هذا الموضوع أوسع من أن يتسع المقام لذكره هنا، لكن دعوني أعطي تلميحاً عن خطوط عريضة بشأنه: وينصح بالآتي:

الأوراد العامة: ينصح باستثمارها في الأمور الروحية الخاصة جداً بين المريد وشيخه، يعني أن يريد المريد بها التزكية والتطهر والترقي الروحي والصفاء الشخصي، فهي لنفسه هو، وفي حالة عدم الحاجة لذلك فهي (ذخر).

الأوراد اليومية: ينصح باستثمارها في الأمور التصوفية العامة، أي أن تكون نية أدائها متغيرة بحسب حاجة المريد اليومية في التعامل مع الناس والدنيا.

يقول حضرة السلطان (قدس سره المعظم): "أنت تحتاج يومياً إلى الطعام والشراب وواردات، تقول: اليوم لا توجد عندي واردات إذا ما عندك أوراد. مثلما الحال في الدنيا، الدنيا صورة للآخرة، أنت في الدنيا إذا لم تعمل لا يأتيك وارد، وهكذا القوة الروحية".

يربط حضرتهم في أكثر من مكان، بين الورد اليومي والعمل في الدنيا، بالتالي الورد اليومي هو كما قال حضرتهم: "القوت اليومي" فمن خلاله يمكن الاستعانة على اكتشاف مهارات المرشد وتطويرها.



س165: هل يختلف أجر المرشد المتخصص عن المرشد الشامل؟

ج: الأجر يختلف بحسب عوامل أهمها:

الإخلاص في العمل: (وهذا يقتضي دراسة مقام الإخلاص)

المواظبة: وهو دوام أداء العمل ما لم يأت توجية بخلاف ذلك.

تفعيل كامل القدرة الكامنة (وهذا يقتضي اكتشافها بالتجربة الإرشادية).

لنضرب مثلاً لذلك:

مريد قدرته الكاملة 10% عشرة بالمئة ويفعلها كاملة في سبيل الله.

ومريد قدرته الكاملة 35% خمس وثلاثون بالمئة ويفعلها كاملة في سبيل الله.

وثالث قدرته الكاملة 95% خمس وتسعون بالمئة ويفعلها كاملة في سبيل الله.

لكل من هؤلاء الأجر نفسه بشأن العمل نفسه، إذا ما استجابوا للعوامل أعلاه.

التقصير يكون في عدم تفعيل كامل القدرة في سبيل الله.

فلو أن الثالث صاحب قدرة (95%) عمل بـ 6% ست بالمئة من إمكانياته، بينما عمل الأول صاحب (10%) بمقدار (8%) ثمان بالمئة لكان أجر الثاني أكبر.

المقصود بهذا المثال هو الآتي:

في الطريقة النوع أو الكم مهم، لكن الأهم الاستمرار بالعتاء بأقصى طاقة ممكنة عندك، وكما قال حضرة السلطان (قدس سره): "الذي تأخذه تعطيه".

لكي تفعل ذلك عليك أن تجرب وتختبر الإمكانيات الكامنة فيك، وأن تلمس بالتجربة ما تنجح به عملياً أو ما أنت عاجز بالفعل عنه، فتكون قد عرفت شيئاً من نفسك، ومن هذه المعرفة، تتبين بالضبط مقدار الطاعة من تقصيرك.

إِذَا، المرشِدُ المتخصِّصُ ضِمْنَ إمكاناته يعادلُ الشاملَ ضِمْنَ إمكاناته، وأما المقصَّرُ فهو الذي لديه إمكاناتُ الشاملِ ويعملُ عملَ المتخصِّصِ والعكسُ أيضاً صحيحٌ.



س166: كيف يمكن للمرشد تجاوز شعوره بعدم الأهلية للقيام بدوره في الإرشاد التعليمي؟

ج: الشعور بعدم الأهلية يترتب عليه التردد في اتخاذ القرار، وفي الغالب الإحجام من باب الأمان، وهذا أمرٌ قد يحرم المريد من أجور عظيمة (فوق الخيال) قد يعص أنامل الندم على ضياعها يوم الحساب، ووقتها لا ينفع الندم مثلاً لا ينفع قول القائل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾⁽¹⁾.

ما الحل لذلك؟

الحل جِدّاً واضح، تناوله الدرس بالتفصيل.

على المرشد أن يتجاهل هذا الشعور كلياً، ويسير في طريق التجربة، فإن مارس التجربة وتبين أنه مؤهل، كان ذلك كاشفاً عن كذب (شعوره بعدم الأهلية).

وأما إن تبين أنه ليس مؤهلاً، فوقتها يترك الأمر بناءً على البرهان لا على الشعور.

الشعور ليس مصدر علم إطلاقاً.

يأتي أحدهم ويقول: أنا أشعر أن قانون نيوتن مثلاً ليس بصحيح. أو يرى ماء يغلي ويقول: أشعر أنه ليس بساخن كفاية ليحرق أو غير ذلك. كُلُّ هذه المشاعر لا قيمة لها في الواقع، بل الاختبار والتجربة - مع أخذ التدرج بنظر الاعتبار - هو الذي يُعطي العلم الحق.



س167: في ضوء ما طرح في محاضرات سابقة من أن للمرشد نوراً ينع في قلبه، وأنه عند خروجه للإرشاد الحركي ينتقل هذا النور إلى الناس وترسخ في قلوبهم عبر البيعة؛ فكيف يمكن تفسير انتقال هذا النور وترسخه في سياق الإرشاد الإلكتروني والتعليمي؟

ج: هذا سؤال قيم وأساسي. في الإرشاد الحركي يصل النور بطريقة مباشرة عن طريق المصافحة (اللمسة الروحية).

في الإرشاد الإلكتروني وكذلك التعليمي يصل النور بطريقة شبه مباشرة، وذلك أنه بإمكان المرشد إلكترونياً إعطاء البيعة عن طريق الهاتف أو أي وسيلة تواصل صوتية في الماسنجر أو الواتس آب أو غيرهما.

من جهة ثانية: الإلكتروني والتعليمي يمهدان لإيصال النور، من خلال إيصال المعلومات الحقة الجاذبة للطريقة، فالذي يتأثر بهما من الناس يأخذ الطريقة بسببهما من أي كان، فإن لهما شراكة روحية في إيصال ذلك النور. ولنوضح هذه النقطة بمثال مختصر:

في كرة القدم، الذي يُحرز الهدف هو واحد (الهدف) لكن الذي صنعه (هو الفريق كله)، من حارس المرمى إلى المدافعين مروراً بخط الوسط وانتهاءً بالمهاجمين.

من الذي يفوز؟ الفريق كله يفوز.

الهدف في مثالنا هو الذي يعطي البيعة يداً بيد. أما بقية الفريق فهو الناس الذين يرشدون بشتى وسائل الإرشاد الممكنة.

أنا، أرشدني اثنان ولم آخذ البيعة، وجاء الثالث مكملًا لما قدموا لي، فأخذت منه البيعة، الثلاثة فازوا واشتركوا في إيصال نور البيعة إلى قلبي، وثلاثتهم فازوا مثل فوز جميع فريق كرة القدم بضمنهم المدربين والأطباء والإداريين.

المسألة هنا: لا ينبغي أن يُنظر للأمر على أنه حركي أو إلكتروني، فالبعض لهم إمكانية كبيرة على الإرشاد الحركي وهم عاف في الإرشاد الإلكتروني، والبعض الآخر بالعكس إمكانياتهم في الإلكتروني كبيرة جداً وضعاف في

الحركي. والمطلوبُ في الطريقة أن الجميع، كلُّ بما يتيسر له، وليعط المُجَارُ البيعةَ مع أي فرصةٍ تتوفّر له. وفي ذلك فالجميعُ يشتركون في إيصالِ النورِ من العملِ الصالحِ التشاركي والإفرادي.



س168: كيف يحصلُ المريد على الإذن بالإرشاد؟

ج: تطبيقُ الحد الأدنى من منهج الطريقة والذي يتمثلُ بإنجازِ خَتَمَاتِ الأورادِ، والالتزامُ بحضورِ حلقاتِ الذكرِ (اثنين وخميس) وتطبيقُ آدابِ الطريقة، بالإضافةِ إلى الالتزامِ بطاعةِ الخليفةِ في حدودِ الشريعةِ والطريقة. فضلاً عن الدخولِ في الدوراتِ التعليمية، فهذه الاشتراطاتُ تؤهّلُ المريدَ للحصولِ على إجازةِ الإرشاد وإعطاء البيعة.

وقد تسأل: هل يُحظرُ علي التكلّم عن الطريقة قبلَ الإجازة؟
الإجابة: إطلاقاً لا. أن تتحدّث عن الطريقة وأن تُرشِدَ لها وتُجَارَ بإعطاء البيعةِ شيءٌ آخر.

يعني: مسموحٌ لِكُلِّ مريدٍ أن يتكلّم ويُرشِدَ عن الطريقة بحسبِ ظرفهِ وإمكاناته، وأن يُحضِرَ للتكية الذين يقتنعون أو حتى غير المقتنعين ليسألوا الخلفاء الأكثرَ خبرةً وليروا شعائر الطريقة.
فإن اقتنعَ الشخصُ وأخذَ البيعةَ، فالأجرُ لمن أُرشدَ ولمن أعطى تشاركاً.



س169: إذا كان الإرشاد متاحاً لكل من عرف الطريق فما الحدُ الفاصلُ بينَ المبادرةِ في الإرشاد والتسرّع قبلَ التمكن؟

ج: الإرشاد له أكثرُ من لسانٍ، وتحديدًا له ثلاثةُ ألسنةٍ هم: العامُ والخاصُ والأخصُ.

اللسانُ العامُ: هذا مفتوحٌ للجميع، وفيه يكونُ الحديثُ عن عمومياتِ الطريقة، من ذكرٍ وتسبيحٍ وعبادةٍ وتقوى ومحبةٍ وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن المنكرِ، وبيعةٌ تهدفُ إلى الربطِ الروحي بحيثُ تزدادُ همةُ الطاعةِ والعبادةِ.

اللسانُ الخاصُّ: هو تفاصيلُ أهلِ الطريقةِ ودقائقِ علومهم، من مقاماتٍ وأحوالٍ ومصطلحاتٍ خاصةٍ كالفناء في الشيخ، أو الرابطة الروحية، أو الجلاء القلبي أو ما شابهه.

اللسانُ الأخصُّ: هو المعلوماتُ الروحيةُ الخاصةُ بين المريد وشيخه والتي لا ينبغي أن يطلعَ عليها أحدٌ أبداً، إلا أحياناً الخليفة، ومنها الرؤيا وتقلباتِ الأحوالِ والكشوفاتِ والمعارفِ الدنية الاختصاصية.

على المستجد أو المبتدئ أن يتعلمَ الأساسياتَ ويأخذَ إذنَ خليفته، وأن يبادرَ إلى الحديث مع الناس باللسان العام فقط، فطالما أنه يتكلم مع الناس، هو يتعلم في مراتهم، ويتقوى إيمانه بإرشادهم.

إذاً، اللسانُ العامُ مسموحٌ فيه المبادرة، أما اللسانُ الخاصُ فبعدَ التمكنِ والتمرسِ، أما الأخصُ فليسَ بمسموحٍ أصلاً.



س170: كيف يمكن للمرشد تحقيق توازن عملي بين أنماط الإرشاد الثلاثة (الحركي، والإلكتروني، والتعليمي) بما يضمن عدم طغيان أحدها على الآخر؟

ج: باستخدام (سبيل التدرج) الذي شُرح في الدرس، فليراجع في الملف والتسجيل.



س171: كيف يمكن للمريد التمييز بين الاستعداد الحقيقي للإرشاد، وبين تأثير العوامل النفسية أو المؤثرات الخارجية في توجيه اختياره لنوع الإرشاد الأنسب له؟

ج: ليس عليه أن يقرر من خلال التفكير المجرد، أو التأثر بالمحيط ابتداءً، بل عليه أن يمارس التجربة تلو التجربة حتى يكتشف مركز قوته، فإن عَرَفَ فليلزم.



س172: هل يُمكن للمرشد الإلكتروني أن يتخصّص في تقديم برامج إعلامية تتناول الجوانب الروحية للطريقة - كعرض كرامات المشايخ وخوارق الشفاء الصوفي أو إنتاج أفلام وثائقية قصيرة، بوصفها محتوى هادفاً يسهم في التزكية النفسية والإصلاح المجتمعي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أم يُفضّل البدء بكتابة المقال والرسالة وفق المنهج المعتمد؟ كما يُثار تساؤل آخر حول منصات النشر الأنسب لهذه البرامج: هل تكون عبر الصفحات الرسمية للطريقة أم عبر الصفحات الشخصية؟

ج: هذا سؤال مهم.

أبواب الإرشاد الإلكتروني كثيرة، منها الفكرية، ومنها الإعلامية، وغير ذلك. وللمرشد أن يتخصص في أي مجال هو بارع فيه، وقادر على العطاء من خلاله، على أن لا يغفل عن تجربة أنواع الإرشاد الأخرى.

النقطة المهمة هنا هي: عدم البدء بالعمل الذاتي بدون التواصل مع المختصين في كلّ قطاع من قطاعات الإرشاد الإلكتروني.

يوجد المجلس الثقافي وفيه فرق متخصصة كما علمت من (الأستاذ علي)، ومجلس الشباب أيضاً لديهم فرق ومنصات.

فيما يتعلق بالمركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية، فهو متخصص بالإرشاد الإلكتروني الخاص بـ (القلم) أي الكتابة المعاصرة الجامعة بين الجانبين العلمي والروحي. وسنُشرّف بصورة شخصية على نتائج هذا القطاع لترى النور بطريقة نأمل أن لا يكون لها مثيل في تاريخ التصوف والطريقة، لكونها استجابة لتوجيهات أستاذ الطريقة الحاضر (قدس سره المبارك).



س173: في سياق الإرشاد وإعطاء البيعة، هل يقتصر دور المرشد على دلالة المريد على الطريق وربطه روحياً بالمشايخ (قدست أسرارهم)، أم يستلزم ذلك متابعة مستمرة وتواصلاً مباشراً معه؟

ج: يقول حضرة السلطان (قدس سره الكريم): "أما الإحسان بالتمام"، بمعنى، أن الإرشاد ليس غايته الربط الروحي فقط، فالربط الروحي هو أول الطريق فقط، بل التعاون على البر والتقوى بحسب المكنة، من حيث التشجيع، والدعم، والاهتمام، وكُلُّ ذلك بأجره، حتى يصير المريد الجديد متمكناً بنفسه.

نعم، الأمر لا يمكن أن يتم بصورة مثالية مع جميع الذين نعطيههم الطريقة، لكن، كُلُّ مرشدٍ عليه أن يبذل قصارى جهده في هذا الأمر المبارك.



س174: ذكرتم أن للإرشاد الإلكتروني أدوات مخصصة؛ فهل تقتصر هذه الأدوات على ما تم ذكره في هذه الدورة فقط، أم أن هناك أدوات إضافية يمكن اعتمادها أو تطويرها لاحقاً ضمن المنهج الإرشادي؟

ج: الذي في الدورة أدوات أساسية بما يسمح له الوقت مع هذا العدد الكبير، والأخذ بها بمثابة الحد الأدنى، وأما ما وراء ذلك فله دورات تكميلية وأدوات أدق وأوسع إن شاء الله. فضلاً عن قطاعات الإرشاد الإلكتروني التي هي خارج مساحة المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية.



س175: إذا استقرَّ المرشد في حالة الإرشاد حتى استحقَّ مقاماً فيه، فهل يُعدُّ تنقله بين أنماط الإرشاد المختلفة (الحركي، الإلكتروني، التعليمي) درجاتٍ ضمن هذا المقام أم تعدُّ في الوظيفة لا في المرتبة؟

ج: الدرجات تأتي من العمل، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾. فطالما يتنقل بالعمل في الأنواع فهو بالتأكيد يحصل على درجاتٍ مستحقةٍ بحسب العمل.



س176: ما الذي يُحدِّد كَوْنَ نوع الإرشاد المناسب للمرشد؟ هل يُقاسُ ذلك بعدد الأشخاص الذين يقتنعون بأخذ البيعة، أم بعدد الذين يثبتون عليها ويلتزمون بها بعد أخذها؟ وهل يُعتدُّ بالنتيجة إذا أخذها عددٌ كبيرٌ ثم ثبت واحدٌ فقط؟

ج: الذي يحدِّد نوع الإرشاد المناسب لك هو تمكُّنك من أدائه بالوجه الصحيح، والأثر الواقعي المترتب عليه، والسؤال هنا: ما هو ذلك الأثر؟ هل هو الاقتناع بأخذ البيعة؟ أم الالتزام بعد أخذ البيعة؟
الجواب: ليس هذا ولا ذاك. لاحظ: إنَّ الذي يقَعُ على عاتق المرشد هو التبليغ فقط ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾⁽¹⁾، أما عددٌ من يأخذ البيعة أو يلتزم بها أو لا يلتزم فتلك على عاتق الشخص الذي تقوم بإرشاده نفسه.

وهنا قد تسأل: كيف أعرف إذاً الأثر الواقعي المناسب لي؟
الجواب: تعرف ذلك من خلال الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه، فمن يريد إعطاء البيعة فعليه أن يستهدف أدوات التواصل المباشر مع الناس إما حركياً أو عن طريق وسائل التواصل، والحديث معهم وعرض البيعة عليهم. فإن أدت ما عليك أداءه، عرفت الأثر.
ومن يريد أن يكون شريكاً في إعطاء البيعة، أي مُمَهِّد من غيره، فالإرشاد بالمقالات ونشر الوعي المعاصر سبيلٌ لذلك. فإذا نشرت معلومات قيمة وفق التعليمات وكنت مساهماً في إيصالها إلى أكبر عددٍ من الناس، فقد قُمتَ بما عليك القيام به.
والمرشد التعليمي، إذا علَّم المئات أو العشرات أو حتى أفراداً بحسب الإجازة بذلك، وكان تعليمه مُتَقَناً خالصاً لوجه الله، فقد أدى إرشاده على أحسن ما يكون.
هذه هي العلامات، فمن يتلکأ بكثرة في مجالٍ ويتشاقل ولا يُنجز كأن

يختار كتابة تعليقاتٍ بعددٍ معينٍ، ثم يفتّر بعددٍ مديدٍ، فليجرب مجالاً آخر. فإن جَرَبَ الثلاثةَ ولم يتقنْ، فهذا علامةٌ على الخللِ في الإخلاصِ، والضعفِ في الأداءِ بصدقٍ، فليلجأ إلى الاستعانةِ بالذكرِ والاستعدادِ لإصلاحِ هذا الخللِ وتقويةِ ذلكِ الضعفِ وليكرر المحاولاتِ حتى يكتشفَ الأقربَ له والذي يستطيعُ النهوضَ به ويتمسكُ بأدائه ويمضي معه.

يقول حضرةُ السلطان (قدس سره): "نحنُ أهلُ المحاولةِ" فالمهمُ أنْ نحاولَ، ولكنْ على محاولاتنا أنْ تكونَ متقنةً ومتواصلةً.



س177: هل يزدادُ الأجرُ في الإرشادِ الإلكتروني تبعاً لتكرارِ مشاهدةٍ أو قراءةِ المحتوى (المقالِ أو الفيديو)؟

ج: نعم، هذا ما عليه الأمرُ، كلما زاد الاطلاع وزادت المشاهدة، من الشخصِ نفسه أو من أشخاصٍ آخرين، حصلَ العاملُ على أجره، بصرفِ النظرِ عن مدى تأثيرِ القارئِ أو المُشاهدِ.

لاحظ المَثَالَ التوضيحيَّ الآتي: أنت تعلمُ ابنكَ على تلاوةِ سورةِ الفاتحةِ مثلاً، فكلما تلاها تُوَجَّرُ مِثْلَ أجره مضافاً له أجره تعليمكَ له. والأمرُ نفسه ينطبقُ على كُلِّ كلمةٍ تنشرها في سبيلِ الله، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾، فلاحظ: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾⁽²⁾. فهذا ميدانٌ سهلٌ للكسبِ اللامحدودِ.



1 - [إبراهيم: 24- 25].

2 - [إبراهيم: 25].

س178: عند ممارسة الإرشاد بأنواعه المختلفة، هل يكون الأجر متساوياً مع الاقتصار على نوع واحد من الإرشاد، أم أنه يختلف تبعاً لتعدد الأنواع وطبيعة التطبيق؟

ج: موضوع الأجر لا يتعلق بالمساواة بل بالعدالة وهناك فرق شاسع بينهما. فسواء أكان الإرشاد بنوع واحد أو ثلاثة أنواع، فالأصل هو إمكانية المرشد نفسه. وتفصيل ذلك كالآتي:

الذي لديه إمكانية على نوع واحد وأداه، فله الأجر المضاعف ثلاثة أضعاف. الذي لديه إمكانية على نوعين وأدائهما، فله الأجر المضاعف ثلاثة أضعاف.

الذي لديه إمكانية على الأنواع الثلاثة وأدائها فله الأجر المضاعف ثلاث مرات.

وفي المقابل:

الذي لديه إمكانية على نوع واحد ولم يؤده، خسر مضاعفات الأجر الثلاث.

والذي لديه إمكانية على نوعين وأدى واحداً منهما، فله أجر ما أدى وخسر الضعفين.

والذي لديه إمكانية على الأنواع الثلاثة، وأدى اثنين منهما، فله أجر الضعفين، وخسر الضعف الثالث.

وفق هذا المنظور يمكن لكل مرشد أن يعرف أرباحه وخساراته بحسب عمله، وهذا جزء لا يتجزأ من معرفة النفس.



س179: ذكرتم في الدرس أنّ "أصحاب التجربة الصوفية هم العلماء لأنهم يُجرون التجربة، وأنّ العلماء هم الأقرب إلى الله، وأنّ أثر التجربة على النفس في الواقع يُحدّد صحة المسار". وبالنظر إلى المقاربة بين علماء الآفاق وعلماء الأنفس، فإذا كان مجال الاختبار هو النفس ذاتها دون التعرّض لأنفس الآخرين، فهل تعمّم نتائج التجربة على نفس المريّد عند ثبوتها، أم تبقى نتائجها فردية خاصة بكلّ مريّد، في حين يُعدّ التعميم من خصائص تجربة الشيخ (قدست أسرارُه)؟

ج: سؤال مهمّ.

إنّ التجارب الروحية للمريدين في الطريقة خاصة بكل واحد منهم على حده، وقد نُسميها (إفرادية)، فلا تعمّم، بخلاف شيخ الطريقة (قدس سره) إذ إنّ تعميم تجربته واجب وذلك لكونه المأذون بذلك من أستاذه إلى حضرة الرسول الأعظم ﷺ، ولهذا يُسمى شيخاً أصلاً.

* * *

ورغم أنّ الإجابة واضحة ومُتضمنة في السؤال نفسه، إلا أنني أودّ أن أضيف تفصيلاً لربما يكون فيه مزيد إفادة:

قد يُقال: إذا كان التصوف (علم) كما قال أساتذة الطريقة، أفلا يوجب ذلك تعميم التجارب على الجميع، كما يحدث في التجارب العلمية الخاضعة لمبدأ قابلية التكرار؟

الجواب: بحسب القواعد العلمية، يجب أن تكون المقدمات وتسمى الشروط الابتدائية- متطابقة لتكون التجارب متكررة. فعلى سبيل المثال: لو أُجريت تجربة تفاعل كيميائي بين مادتين، وكانت الشروط الابتدائية ثابتة من حيث مقدار كلّ مادة، ودرجة الحرارة والضغط والعوامل الأخرى. فإنّ تكرار التجربة بنفس المقاييس والمعايير يُعطي النتائج ذاتها مُكررة دائماً.

لكن لو أُجريت تعديلًا في الشروط الابتدائية، كأن ضاعفت مقدار إحدى المادتين أو تلاعبت بدرجة الحرارة أو الضغط أو غيرها، فإنّ النتيجة ستكون مختلفة نسبياً.

وعلى هذا فالتعميم في العلم ليس مُطلقاً، بل مشروط بثبات الشروط الابتدائية، بحيث تكون التجربة الموائية مطابقة في مقدماتها للتجربة الأولى، وإلا فإن النتيجة تكون مختلفة.

في (علم التصوف) تنطبق القاعدة ذاتها، فلو أن مُريدَيْن لهما نفسين متطابقتين 100% مئة بالمئة بيولوجياً وروحياً وكأنهما نُسخَتين مُتطابقتين مثل نَسَخ الروبوتات، لكانت نتيجة التجربة الروحية في الأول تَصُح عَيْنُهَا في الثاني. ولكن الواقع أن كان كل مريد يختلف عن الآخر بيولوجياً ونفسياً بنسبة تؤول إلى 100% تقريباً، بالتالي فإن المقدمات (الشروط الابتدائية) المختلفة، لا تكون قابلة لإعطاء النتائج ذاتها. وهذا يعني أن تجربة كل مريد هي بالضرورة المنطقية والعلمية يجب أن تكون خاصة به ولا تُعمَّم.

بكلمات أخرى: تعددية وإفرادية التجارب الصوفية لكل مريد هي دليل على علمية التصوف أي كونه (علم)، وذلك لأنها طُبِّقت مبدأً، اختلاف الشروط الابتدائية مما يؤدي إلى نتائج مختلفة.

من جهة ثانية: إذا سألنا، ماذا بشأن أستاذ الطريقة وشيخها؟ لماذا يمكن أن تُعمَّم تجربته؟ أصلاً كيف يتم ذلك وفق المنظور العلمي؟ نحن نعلم أن الشيخ يختلف عن كُلِّ واحدٍ من المريدين، فلماذا تجربته تَصْلُح لهُم جميعاً على اختلافهم، في حين أن تجربة كُلِّ منهم لا تصلح إلا لكل واحدٍ منهم؟

الجواب: علمياً العالم يتكون من مستويين لا متماثلين: مستوى الأجسام ما فوق الذرية، ومستوى الجسيمات ما دون الذرية (الكَم). ولكل مستوى قوانينه التي يعمل بها، وهما معاً متتامان.

بالنسبة لقوانين الجسيمات ما دون الذرية (كوانتم ميكانيك) هي تسمح بأن يكون للمقدمات نفسها نتائج مختلفة في كل مرة.

لماذا تختلف نتائج المقدمات نفسها؟ بسبب مواجهة المقدمة لواقع دقيق مختلف نسبياً (حساس جداً).

ماذا يعني ذلك: ذلك يعني أنه من الناحية العلمية، يمكنُ ضَمَنَ ميكانيكا الكم أن نشعلَ أعوادَ ثقابٍ وفقَ شروطٍ ابتدائيةٍ ثابتةٍ-مثلاً- فيحترقُ أحدهما، ولا يحترقُ الثاني، ويتبخّرُ الثالثُ، ويتحولُ الرابعُ إلى ماءٍ ويختفي الخامسُ... الخ. كلُّ عودٍ يتفاعلُ من عملية الإشعال بحسبه هو.

هذا المثال -والمثال يُضربُ ولا يُقاسُ- أمرٌ واقعيٌّ أثبتته التجاربُ العلمية ضَمَنَ مُستوى الجسيماتِ ما دونَ الذرية.

ما الذي نستنتجُه منه بقرينةِ عِلْمِ التصوفِ؟ نستنتجُ ما يلي: بما أنه ليسَ بمستحيلٍ علمياً أن يكونَ لشروطٍ ابتدائيةٍ أن تُعطي نتائجَ متعددةٍ وفقَ قوانينٍ خاصةٍ ضَمَنَ مستوى وجوديٍّ معينٍ (كواثم ميكانيك)، فإنَّ ذلكَ يُضَمِّرُ الدلالةَ على إمكانية وجودِ نموذجٍ نظيرٍ في المستوى الديني يتمثلُ في أن تجاربهُ الروحيةَ تخضعُ لقوانينٍ شبيهةٍ، بحيثُ يكونُ للتجربة الواحدة نتائجَ مُختلفةٍ بحسبِ القوالبِ المختلفةِ.

بكلماتٍ أخرى: لا إشكالَ علميٍّ في أن يكونَ لشيخِ الطريقةِ تجربةٌ روحيةٌ ذاتُ فاعليةٍ وتكرارٍ علميٍّ متنوعٍ -كما في فيزياءِ الكم- وذلكَ بسببِ استيفائها للشروطِ الروحيةِ الخاصةِ بها والمتمثلةِ بالإذنِ الإلهي والوراثةِ الروحيةِ لحضرةِ الرسولِ الأعظم ﷺ.

هذا يختلفُ عَنِ المريدينَ الذينَ لا يملكونَ ذلكَ الإذنِ الإلهي ولا تلكَ الوراثةِ. فكأنَّ الشيخَ يطبِّقُ قوانينَ العالمِ (ما دونَ الذريِّ) على أنفُسِ المريدينَ، في حينَ أن المريدينَ يتعاملونَ مع أنفسهم وفيما بينهم وفقَ قوانينِ العالمِ (ما فوقَ الذريِّ)، لذا كان للشيخ ما ليس للمريدين.

* * *

علماً أنَّ هناكَ مبحثٌ آخرٌ للمسألةِ يتعلَّقُ بـ(بموادِ التجربة) وهل إنَّ الذي يُعمَّمُ أصلاً هو التجربة أم موادُ التجربة، لكنَّ خشيةَ الإطالةِ سنوقفُ عندَ هذا الحدِّ، وشكراً على عُمقِ السؤالِ وأدبه.



س180: كيف يُمكن للمريد التمييز بين عدم الأهلية الفعلية للإرشاد، وبين التواضع أو الخوف النفسي الذي قد يمنعه من التصدي للتكلم أو ممارسة الإرشاد؟

ج: الميزان عند أهل الطريق هو كما يلي:

إذا كان امتناعك عن الكلام سببه أنك لا تعرف المعلومات، أو أنك لا تميز بين ما هو من أصول الطريقة وما هو من ذوقك الشخصي، فهذا عدم أهلية في هذا الموضع، وهو صدق، وليس نقصاً. هنا الواجب أن تتعلم، لتعلم.

لاحظ، لا ينبغي أن تنتظر إلى أن تتعلم كل شيء، فالعمر ينقضي والعلم لا ينتهي، لكن، كن مثل الساقية، تغرف من هنا، وتروي هناك، ف(ما تأخذُه تُعطيه) كما قال أستاذنا (قدس سره الكريم).

أما إذا كنت تعرف القدر الذي سمعته من شيخك، وتفهم الأساسيات، وتستطيع أن تنقل المعنى بأدب وصدق، لكنك تتراجع دائماً لأنك تقول: مَنْ أنا حتى أتكلم؟ ماذا لو أخطأت؟ ماذا سيقول الناس؟ فهذا في كثير من الأحيان ليس تواضعاً خالصاً، بل خوف مذموم، عطل النفع. التواضع الحقيقي لا يسكتك عن الخير، بل يمنحك من الادعاء والتوسع فيما لا تعلم.

المريد الصادق لا يقول: إما أن أكون عالماً كاملاً أو أصمت. بل يقول: أتكلم في حدود ما أعلم، وأسكت عما لا أعلم، وأنسب الفضل كله إلى الشيخ والطريق. هذه هي الأهلية الأولى.

الإرشاد في الطريقة الكسنزانية ميسر بحسب المكنة، فقد تكون أهلاً للإرشاد بكلمة واحدة صادقة، أو بابتسامة، أو بدعوة رقيقة، أو بتعريف الناس بالذكر، أو بربط القلوب بالمحبة والبيعة، ما دمت لا تتجاوز حدك. هذا، الفرق باختصار:

عدم الأهلية يعني: أن تتكلم في شيء لم تضبطه.

التواضع يعني: أن تضبط ما تتكلم فيه، ثم لا ترى نفسك صاحب فضل فيه.

أما الخوف المانع، فهو: أن تعرف ما يُنتفعُ الناس به، ثم يمنعك ضعف النفس من أدائه.



س181: كيف يمكن للمرشد تحديد موقعه الحقيقي في مجال الإرشاد، بما يضمن عدم المبالغة في تقدير الذات أو بخسها حقها؟

ج: يعرف المرشد موقعه الحقيقي إذا قاس نفسه بالثمرة، لا بالخيال، وبشهادة أهل البصيرة، لا بمجرد شعوره، وبالاستمرار النافع، لا بالاندفاع العابر.

وبكلمات أخرى: الميزان الصحيح أن يجرب في حدود منضبطة، ثم ينظر إلى الثمرة. فإن وجد أن الناس يفهمون عنه، وينتفعون به، وأنه يحسن الثبات في هذا النوع من الإرشاد، بلا تكلف، فهذه علامة موضعه.

وإن وجد أن نوع الإرشاد يستنزفه، أو أن أثره فيه ضعيف، أو أن حضوره فيه مصطنع، فهذه إشارة إلى أن هذا ليس بابه الأول، أو أنه يحتاج إلى مزيد إعداد.

لكن لا يكفي حكمه على نفسه وحده، لأن النفس قد تغر صاحبها أو تقسو عليه. لذلك يحتاج إلى مرآة صادقة هي صاحب خبرة أميناً، يراه من خارج ذاته. فبعض الناس لا يعرفون مواضع قوتهم إلا حين يشهد بها غيرهم، وبعضهم لا ينتبه إلى مواضع الخلل إلا حين ينبّه عليها.



س182: إذا كَانَ المرشدُ قد عَرَفَ قدرَاتِهِ وحدودَ مجالِهِ، وتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ متمرسٌ في نوعٍ معيَّنٍ من الإرشاد كالإرشاد الإلكتروني مثلاً، وغيرُ متمكِّنٍ من نوعٍ آخَرَ كالإرشاد التعليمي، فكيف يُطلبُ منه خوضُ مجالٍ لا خبرةَ سابقةَ لَهُ به؟ وهل يُلزمُ بتجربةٍ جميعِ أنماطِ الإرشاد ولو ترتَّبَ على بعضها إخفاقٌ، لمجرِّدِ التجربة؟ أم أَنَّ الأصلَ هو التزامُ المرشدِ بما يُحسُّنُهُ، وعدمُ الانتقالِ إلى غيره إلا عندَ توافُرِ الداعي الحقيقي والقدرةِ المناسبةِ؟

ج: التكليفُ في الطريقِ على قدرِ السعةِ الحقيقيةِ التي أودعها اللهُ في المريد. فمن كَانَ يمارِسُ نوعاً من الإرشاد، وقد استغرقه هذا النوع استغراقاً تاماً، ولم يعد يملكُ سِعةً نفسيةً أو علميةً أو عمليةً لما سواه، بل صارَ ما يقومُ به يملأُ طاقته ويستهلكُ جُهدَهُ، فهذا هو حَدُّ تكليفِهِ في مرحلته، ولا يُطلبُ منه أن يخرجَ عنه تكلفاً، لأنَّ اللهَ لا يكلفُ النفسَ إلا وُسْعَهَا، ولأنَّ الثباتَ في بابٍ يُحسُّنُهُ المرشدُ خيرٌ من التشتتِ في أبوابٍ لا يُحسُّنُها. فهذا ليسَ نقصاً فيه، بل قد يكونُ هذا هو موضعُ خدمتهِ الذي أُقيمَ فيه، وفي إحسانِهِ لَهُ وفاؤُهُ بالأمانةِ.

أما إذا كَانَ يشتغلُ بنوعٍ من الإرشاد، لكنه يشعرُ في داخلِهِ أن عِنْدَهُ سِعةً لمزيدٍ، وأنَّ ما يقدِّمه الآن لا يعبرُ عن كاملٍ ما أُعطيَ من قابليةٍ، أو أَنَّ حقيقتهِ أوسعُ من المجالِ الذي حَبَسَ نفسه فيه، فهنا لا ينبغي لَهُ أن يركنَ إلى ما اعتاده فقط، بل عليه أن يسعى إلى تطويرِ ما يَبْرَعُ فيه أولاً، ثم أن يفتحَ لنفسِهِ بابَ الاكتشافِ المنضبطِ، فيتعرَّفَ إلى الأنواعِ الأخرى من الإرشاد شيئاً فشيئاً، ويتدرَّجُ في تجربتها بتعقلٍ وأدبٍ، لا على سبيلِ الاندفاع، بل على سبيلِ التكميلِ. لأنَّ بعضَ الناسِ يكونُ بابهم الأول هو البداية، لا النهاية، ويكونُ ما أتقنوه أولاً مقدمة لما هو أوسعُ منهم خِدمةً وأثراً.

فالميزانُ إذن ليسَ أن يجربَ كل شيءٍ لمجردِ التجربة، ولا أن يكتفي دائماً بما بدأ به لمجردِ الألفة، بل أن ينظرَ في سعتهِ: فإن كانت طاقته قد امتلأت ببابه، فهذا حدُّه الذي يُحسنُ الوفاءَ به، وإن كان يرى في نفسه فضلَ طاقةٍ، واستعداداً لمزيدٍ، فهنا يصبحُ التوسعُ المتدرَّجُ نوعاً من الأمانة، لا مُجرَّدَ خيارٍ ثانوي.



س183: كيف يمكن للمرشد تحديد مواضع قوّته بدقّة من خلال التجربة العمليّة لا الافتراض؟ وهل يُعدُّ البدء بنمط واحد من الإرشاد وإتقانه قبل الانتقال إلى أنماط أخرى هو الخيار المنهجيّ الأفضل؟

ج: نعم، الأفضل في الغالب أن يبدأ المرشد بنوع واحد من الإرشاد، لا لأنه النوع الوحيد الممكن له، بل لأنّ النفس لا تُعرَف بالدعوى، وإنما تُعرَف بالثمرة المتكررة. فقد يظنّ المرشد أنه صالح للإرشاد التعليمي، ثم يكتشف أن أثره أعمق في الإرشاد الحركي أو الإلكتروني، وقد يظنّ أن مجاله ضيق، ثم يتبين أنّ الله فتح له في باب آخر لم يكن يلتفت إليه. لهذا، فالأصل هو أن يبدأ بباب واحد يتّرجح له، ثم يتقنه، ثم ينظر: هل يُثمر هذا الباب على يديه فعلاً أم لا؟

إن الإتقان يكشف الحقيقة أكثر من الحماسة أو الشعور. فإذا مارس المرشد نوعاً معيناً مدة كافية، ظهرت له علامات القوة أو الضعف. وموضع القوة يُعرَف من أمور واضحة، مثل:

أن يشعر بأن هذا النوع من الإرشاد يستخرج أفضل ما فيه لا مجرد أنه يستطيع أدائه.

وأن يكون نفع الناس فيه ظاهراً ومتكرراً، لا نادراً وعارضاً.

وأن يقدر على الاستمرار فيه بلا تكلف شديد يستنزفه.

وأن يجد من أهل الخبرة من يلاحظ فيه صلاحية حقيقية، ويشني عليه ويشد على عضده.

فإن وجد هذه العلامات، فهذا نوع الإرشاد الذي ينبغي أن يُرسّخه أولاً. أما إن وجد أنه يؤديه أداءً مقبولاً، لكن شيئاً في داخله يقول له: إن هذا ليس تمام موضعه، وإنّ عنده سعة لمزيد، فهنا يبدأ الانتقال المتدرج، لا القفز. أي لا يترك النوع الأول، بل يُضيف تجربة محدودة في نوع ثانٍ، ثم يراقب الثمرة كما راقب الأولى.

إِذَا، نعم، البدءُ بنوع واحدٍ وإِتْقَانُهُ قَبْلَ الانتقالِ إلى غيره هو الطريقُ الأرجحُ، لأنه يُمنَحُ المرشدَ معياراً واقعياً لا وهمياً. لكن هذا لا يعني أن يبقى محبوساً فيه إلى الأبد. فإذا رَسَخَ فيه، وظهرت عنده سَعَةٌ، جازَ له أن يختبرَ نوعاً آخرَ بالتدرج، حتى يَعْرِفَ هل هو امتدادٌ لحقيقته أم مجرد رغبةٍ عابرةٍ.



س184: هل يُمكنُ للمرشدِ الذي لا يملكُ مؤهلاً أكاديمياً أو شهادةً تعليميةً أن يمارسَ الإرشادَ التعليميَّ، أم يُشترطُ عليه الحصولُ على المؤهلِ الأكاديميِّ المناسبِ قبلَ مزاولةِ هذا النوعِ من الإرشادِ ليكونَ مرشداً أكاديمياً؟

ج: في طريقتنا الكسنزانية، ووفقاً لرؤية شيخنا الحاضر (قُدس سره)، يمكنُ للمرشدِ الذي ليس عنده شهادة أكاديمية رسمية، أن يمارسَ الإرشادَ التعليميَّ، شأنه كشأن أصحاب أعلى الشهادات الأكاديمية، ولكن ليس على إطلاقه، بل بقدر ما يملك من عِلْمٍ صحيح، وقُدرةٍ على البيان، وتطبيقٍ للقواعد والأصول والضوابط.

إنَّ عدمَ امتلاكِ الشهادة التعليمية الرسمية، لا يعني تلقائياً أنه ممنوعٌ من هذا النوعِ من الإرشاد، لأنَّ الشهادة ليست هي المصدرُ الوحيدُ للأهلية، لكنها في الوقت نفسه علامةٌ مهمةٌ على التأهيل المنهجي، ولا يجوزُ الاستهانةُ بها. فقد يُوجدُ مَنْ لا يَحْمِلُ شهادةً، لكنه مُتَقِنٌ، مَنْظَّمٌ، حَسَنُ العَرَضِ، دقيقُ الفهم، نافعٌ للناس في التعليم. وقد يُوجدُ من يَحْمِلُ شهادةً، لكنه ضَعِيفٌ في الإيصالِ والتربية.

من جهةٍ ثانيةٍ، في منطقِ الطريقِ، هناك فرقٌ بين أمرين:

أن يكونَ مرشداً تعليمياً بمعنى أنه يشرحُ، ويبسِّطُ، ويرتّبُ المعارفَ، وينقلُ ما تلقاه بوضوح وأمانة، فهذا يُمكنُ أن يفعله دونَ شهادة، إذا كان راسخاً في المادة التي يُقدِّمها، معروفاً بالدقة، ولا يتكلمُ فيما لا يُحسِنُ، فلا يزيدُ من عنده، ولا يُنقصُ من منهجِ درسه.

وأن يكونَ مرشداً أكاديمياً بالمعنى المؤسسي أو التخصصي، حيث يتصدرُ لوضعِ المناهج، أو يُقَوِّمُ بوصفه متخصصاً أكاديمياً الأداءَ أو الآليات، فهذا مقامٌ آخر، والشهادة هنا تصيرُ أقربَ إلى الضرورة أو إلى ما يشبه الشرط، لأنها تدخلُ في بابِ الاختصاصِ الموثقِ لا مجردَ القدرة العامة.

إذاً، ليسَ الجوابُ: تنتظرُ حتى تنالَ الشهادةَ ثم تبدأ.
وليسَ الجوابُ أيضاً: أبدأ بلا قيدٍ لأنَّ النيةَ طيبةٌ.

بل الجوابُ: إبدأ في المساحة التي أنتَ أهلٌ لها الآن، ولا تدَّعي ما ليسَ لك، وطورَ نفسك علمياً ومنهجياً، فإن كنت ترى أن هذا البابَ سيتحولُ عندكَ إلى اختصاصٍ ثابتٍ ومقامٍ رسميٍّ، فالسعيُ إلى الشهادةِ يصبحُ من تمامِ الأمانة، لا مجردَ أمرٍ شكلي.



س185: كيف يتعاملُ المرشدُ مع واقع تأثر الناس بالمظاهر وترصدِهم للأخطاء، بحيث قد تؤدي هفوة أو زلة عابرة إلى إسقاط الاعتبار عنه، وبالتالي ضعف قبول النصيحة والتأثر بالكلام الإرشادي، نتيجة توقع الكمال ممن يتصدى للدعوة؟ وما هو الموقفُ المنهجيُّ الصحيح والحلُّ العمليُّ في مثل هذه الحالة؟

ج: الحلُّ في الجمع بين أمرين معاً: أن يواصلَ المرشدُ الإرشاد، وأن يشتدَّ في تهذيبِ الظاهرِ والباطنِ بقدرٍ ما يستطيع.

بعضُ الناس يتخذُ من زلاتِ المرشدِ عُذراً ليرفضَ الحقَّ أصلاً. هذا الصنفُ لو جاءه الكاملُ بنفسه لبحثَ له عن نقصٍ آخر. فلا نجعلُ هذا النوعَ هو الميزان. لكن في الوقتِ نفسه، لا نهملُ أثرَ الهفوات بحجة أن الناس متصيدون.

في الحقيقة، نحنُ ننظرُ إلى هذه المسألة في المنظرِ الآتي: كما أن الإسلامَ شيءٌ، والتصرفاتُ الخاطئةُ لبعضِ المسلمين شيءٌ آخر، فكَذلك لا ينبغي أن يصحَّ للناس أن تُردَّ النصيحة أو الإرشاد لمجرد أن قائلها عنده بعضُ التقصير.

إِنَّ هَفْوَةَ الْمُرْشِدِ لَا تَجْعَلُ الْحَقَّ بَاطِلًا، وَلَا تَجْعَلُ النَّصِيحَةَ نَفْسَهَا خَاطِئَةً.

الْمُرْشِدُ لَا يُطَالِبُ الْمُرْشِدَ بِأَنْ يَتَّبِعَهُ هُوَ، بَلْ يَنْصَحُهُ بِأَنْ يَتَّبِعَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَشَيْخَ الطَّرِيقَةِ، (كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي)، بِالتَّالِي تَقْصِيرُ النَّاصِحِ يَعْيبُهُ هُوَ، لَكِنْ لَا يَعْيبُ الْمَعْرُوفَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ.

الْأَمْرُ الْمَرْكَزِيُّ فِي الْإِرْشَادِ: لَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ فِي الْوَاجِهَةِ دَائِمًا. بَلِ الْحِكْمَةُ أَنْ يَكُونَ الْمُرِيدُ جِسْرًا لَا مَرْكَزًا، فَيُحِيلُ الْقُلُوبَ إِلَى شَيْخِ الطَّرِيقَةِ، وَإِلَى الذِّكْرِ، بَدَلًا أَنْ يَرِبَطَ كُلُّ شَيْءٍ بِشَخْصِهِ. فَكُلَّمَا خَفَّ حُضُورُ الْأَنَا فِي الْإِرْشَادِ، قَلَّ الضَّرَرُ النَّاتِجُ مِنْ مَلَاخِظَةِ النَّاسِ لَهْفَوَاتِ الشَّخْصِ.



الدرس الثامن المرشد والإرادة

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾

المرشد والإرادة

الإرشاد هو عملية إخراج الناس من الظلمات إلى النور - كما شرح في دروس سابقة - وهذه العملية تقتضي أن يستعد لها المرشد ليتّمها على أكمل وجه وهذا الاستعداد يتمركز في أمرٍ محددٍ وهو الاشتغال على امتلاك الإرادة والعمل على تقويتها وتعزيزها باستمرار. يقول حضرة السلطان محمدُ المحمّدُ الكسنزان (قُدس سِرهُ العزيز): "بدون إرادة تكون بدون قوةٍ قلبيةٍ، تكون مهزوزاً".

قد يتأثر المرشد بتوجيه شيخ الطريقة ويمارس الإرشاد لفترة، لكنه بعد مدة يفتر، وعندما يأتي توجيه آخر تتكرر العملية فيخرج للإرشاد ثم يفتر مرةً أخرى، حتى إذا تكررت العملية مراتٍ، لا يعود يستجيب للتوجيه.

السبب في هذا التلكؤ المفضي إلى الانقطاع هو عدمُ الاشتغال على الإرادة في باطنه.

الإرادة ليست تحصيل حاصل، يعني ليس كلُّ من أخذ الطريقة صار مريدًا حقًا، نعم، يكون مريدًا بالاسم، لكن أن يكون مريدًا حقًا فعليه أن يشتغل بأصول التصوف الخاصة بالإرادة لكي يتحلى بأحوالها ويتحقّق بمقامها.

قد يقال: المئات بل والآلاف من مرشدي الطريقة، ينطلقون في أرجاء الأرض يُرشدون إلى الطريقة الكسنزانية، دون أن يركزوا على موضوع الإرادة والاشتغال عليها، فكيف يمكن فهم ذلك؟
الجواب: إنّ ذلك يحدث بسبب ما يُسمى (الدَفْعَة)، وهي من مفردات الكسنزان كما ستبين ذلك في الفقرة الموالية.

مفردة (الدفعة) الكسنزانية

في الطريقة الكسنزانية خاصية روحية تفردوا بها، وأعلن عنها
حضرة السلطان (قدس سره العزيز) تسمى (الدَّفْعَةُ).

قال حضرته: "أنتم تحتاجون المشايخ في طلب الالتزام، طلب
الدَّفْعَةِ يدفعوك في أمورك الروحية، طلب النجدة في الإرشاد.
إذا أخذ المريد البركة والهمة وأرشد أتاه المدد.

إذا وقف الإرشاد عند أحدٍ فإنَّ مشايخ الطريقة يوقفون عنه المدد".
في تشبيه روي عن حضرة السلطان (قدس سره) فيما معناه، قال:
مَثَلُ الدَّفْعَةِ كَمَثَلِ مَنْ يَرْفَعُكَ مِنْ وَرَاءِ سُوْرٍ عَالٍ لِقَصْرِ عَظِيمٍ، كِي
تَرَى مَا فِي الدَّخْلِ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ أَوْ شَمِمْتَ أَوْ لَمَسْتَ أَوْ
تَذَوَّقْتَ وَلَوْ قَلِيلاً، أَنْزَلَكَ وَقَالَ لَكَ: رَأَيْتَ، عَرَفْتَ، اْعْمَلْ الْآنَ بِنَفْسِكَ
لِيَرْفَعَكَ عَمَلُكَ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾⁽¹⁾، وليدخلك في هذا النعيم
المقيم.

* * *

جواب السؤال السابق، يتلخص في أنَّ همة مشايخ الطريقة تُعطى
للمريدين المستجدين وربما غيرهم من باب الدفعة، حيث يجدون في
أنفسهم قوة روحية غير تقليدية تحفزهم على الإرشاد، دون طلب
مسبق منهم. لكن بعد مدة، قد تطول أو تقصر، يأتي ما يُسمى في
الطريقة (الفترة) من الفتور، وكانت هذه الحالة الروحية قد مرت
بحضرة الرسول الأعظم (صلواتُ ربي وسلامه عليه) حين فتر الوحي
عنه، كما تذكر مصادر التاريخ، ثلاثة أعوام، حتى قال المشركون: رَبُّهُ
قَلَاهُ. أي هجره. ثم أنَّ حضرة الرسول الأعظم (صلواتُ ربي وسلامه
عليه) قام بما كان عليه القيام به من اشتراطات روحية مُلزمة، فعاد
الوحي ونزل قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽²⁾.

1 - [فاطر: 10].

2 - [الضحى: 3].

كَذَلِكَ الْمَشَايخُ لَا يَهْجُرُونَ الْمُرْشِدَ وَلَا يَتْرَكُوهُ، وَلَكِنْهُمْ يَرِيدُونَ مِنْهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَعْمَلَ بِنَفْسِهِ لِيَكُونَ مُسْتَحَقًّا الْمَدَدَ لَا مُعْتَمِدًا عَلَى دَفْعَتِهِمْ أَوْ عَطَاءِهِمُ الشَّخْصِي.

فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، يَسْتَدْعِي حَضْرَةُ الشَّيْخِ مُرْشِدًا أَوْ عِدَدًا مِنَ الْمُرْشِدِينَ، وَيُرْسِلُهُمْ بِنَفْسِهِ لِلْإِرْشَادِ، فِي دَوْلِ الْعَالَمِ، وَحِينَ يَذْهَبُونَ فَإِنَّ عَجَائِبَ تَحْدُثُ مَعَهُمْ، وَبَرَكَاتٌ غَيْرُ تَقْلِيدِيَّةٍ تَفِيضُ عَنْهُمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا بِفَعْلٍ (دَفْعَةُ الشَّيْخِ)، فَهَذَا مِنْ عَمَلِهِ وَإِرْشَادِهِ هُوَ.

لَا حَظَّ: عِنْدَمَا يَعُودُونَ مِنْ ذَلِكَ الْوَاجِبِ، تَبْقَى مَعَهُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ هِمَّةٍ وَلَذَّةٍ وَقُوَّةٍ لِفَتْرَةٍ ثُمَّ تَتَلَاشَى، فَإِذَا حَاوَلَ أَحَدُهُمُ الْإِرْشَادَ، فَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ مِثْلَ تِلْكَ الْقُوَّةِ الْفَائِقَةِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ قُوَّةَ الدَّفْعَةِ قَدْ انْتَهَتْ، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ شَحْنِ بَطَارِيَّةٍ كَهَرَبَائِيَّةٍ.

شَيْخُ الطَّرِيقَةِ يُعْطِي الدَّفْعَةَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاقِفٍ:

الأولُ: حِينَ يَأْخُذُ الْمُرِيدُ الطَّرِيقَةَ وَيَقْرُرُ الْإِرْشَادَ، لِيَجْعَلَهُ يَتَذَوَّقُ الْقُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ الَّتِي تَحْضُرُ فِيهِ وَمَعَهُ.

والثاني: حِينَ يَنْظُمُ حَمَلَةً إِرْشَادِيَّةً بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ يُعْطِي رِسَالَهُ مِنْ هَمَّتِهِ الْخَاصَّةِ.

أَمَّا الْمَوْقِفُ الثَّالِثُ: فَحِينَ يَأْمُرُ الشَّيْخُ مُرِيدِي الطَّرِيقَةِ وَمُرِيدَاتِهَا، أَجْمَعِينَ بِعَمُومِ الْإِرْشَادِ.

فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الثَّالِثِ، لَا تَوْجُدُ دَفْعَةً (مَجَانِيَّةً) بَلْ يَوْجُدُ عَمَلٌ مِنَ الْمُرِيدِ، مُقَابِلَهُ عَطَاءٌ مُسْتَحَقٌّ مِنَ الشَّيْخِ.

مَا الْعَمَلُ؟ الْإِشْتَغَالُ عَلَى تَقْوِيَةِ الْإِرَادَةِ.

كَيْفَ؟ الْإِجَابَةُ فِي الْفَقْرَةِ الْآتِيَةِ.

الدخول في النور

كُلُّ من لا يجدُ في نفسه الإرادةَ المُلِحَّةَ للإرشادِ، أو أنَّ إرادتهُ ضعيفةٌ جداً، فما عليه القيامُ به هو القيامُ بإجراءِ صوفيٍّ أصيلٍ وضروريٍّ، يتمثلُ في:

اللجوءُ إلى حلقاتِ الذكرِ، ومجالسِ السماعِ، بهدفٍ محوريٍّ وهو: طلبُ إرادةِ الإرشادِ.

عندما يبدأ المريدُ في حلقةِ الذكرِ بترديد: (اللَّهُ استغفرُ الله، دائم استغفرُ الله) فعليه أن يكونَ حاضرَ الذهنِ في أنَّه يستغفرُ عن ضعفِ إرادةِ الإرشادِ.

عندما يرددُ: (لك الحمدُ يا قدوسُ لا إله إلا الله) فعليه أن يتفكرَ في طلبِ نورِ القدوسِ سبحانه ليظهرَ باطنه من كل شيءٍ يحبه أو يصدّه عن إرادةِ الإرشادِ.

وهكذا على المريد أن يُغمضَ عينيه عن حوله من الحاضرين وينغمس في التفكيرِ والنطقِ الجهرى بالذكرِ مستثمراً القوةَ الروحيةَ الجماعيةَ ويربط كُلَّ قولٍ يقوله بطلبِ (إرادةِ الإرشادِ).

فإذا وصلَ إلى مرحلةِ الاستمدادِ، يكونُ قد استعدَّ تماماً لاستمطارِ رحمةِ المشايخِ الحاضرينَ، فينادي بالمددِ، على نيةِ (إرادةِ الإرشادِ).

ثم إذا وصلَ إلى مرحلةِ (حيّ الله) وما وراءها، هناك فليُفرغ كل جهده، وليبذل أقصى طاقته، في استظهارِ نورِ الذكرِ لطلبه في الحصولِ على الإرادةِ وتقويتها.

قال حضرةُ السلطانِ (قدس سره): "الذكرُ لَهُ نورٌ، وَلَهُ بركةٌ، وَلَهُ قوةٌ روحيةٌ، يقوي إرادةَ الإنسانِ".

والسلوكُ نفسه يطبِّقُه في مجلسِ السماعِ، حيثُ يربطُ كلماتِ المدحِ والثناءِ وما فيها من استمداداتٍ بهدفه في الحصولِ على إرادةِ إرشادٍ قويةٍ جداً.

الخروج بالنور

ما أن تنتهي حلقة السماع، وينفُص المجلس، تكونُ عملية الانغماس الروحي في النور قد اكتملت لتلك الليلة، ويكون المريد قد تزودَ بسببها تلقائياً بمقدارٍ من النور يتناسبُ مع عمله الصوفي في الحلقة.

الخطوة التي عليه القيامُ بها بعدَ الحلقة، هو الخروجُ من عالمِ الباطنِ والدخولِ في عالمِ الظاهرِ حالَ خروجه من التكية. يعني: يوقِفُ التفكيرَ في الجانبِ الروحي ويشغُلُ ذهنه بالتفكيرِ وبكل طاقته الذهنية في الإرشاد والتعاملِ مع الناس، فيضعُ الخطط للإرشاد أو يراجعها إن كانَ فكرَها مسبقاً، ويتجهزُ ويبدأ بالإرشاد عملياً، سواء أكانَ الإرشاد: حركيًّا أو إلكترونيًّا أو تعليميًّا أو جميع ذلك.

خارجَ التكية: عقلٌ ودنيا وحساباتٌ منطقيةٌ، ونهوضٌ ذاتيٌّ بالقوة الخاصة.

داخلَ التكية: قلبٌ وآخرةٌ، وخشوعٌ وتذلُّلٌ، وعدم رؤيةٍ إلا هم. المرشدُ المؤهلُ روحياً وعلمياً هو الذي يعرفُ هذه الثنائية ويعطيها حقَّها ومستحقَّها.

عندما تخرجُ للإرشاد، لا تنشغلُ بطلبِ الإمدادِ، بل انشغلُ بمادة الإرشاد نفسه. لكلِّ مقامٍ مقالٍ.

يقولُ حضرةُ السلطانِ (قدس سره): "تحركوا للإرشادِ ومن خلالِ الإرشادِ تستطيعونَ أنْ تفعلوا كُلَّ شيءٍ، لكنكم إذا توقفتُم عن حركة الإرشاد فإنَّ المددَ سيتوقفُ عنكم".

ويقولُ: "هؤلاء الذين يذهبونَ للإرشادِ فالمشايخُ معهم أينما حلوا" ويقولُ: "الإشعاعاتُ الروحيةُ الإلهيةُ موجودةٌ في حلقاتِ الذكرِ وعندِ الإستمدادِ. الدرويشُ هنا لا يرى القوةَ الروحيةَ، لكن عندما يخرجُ للإرشادِ يرى هذه القوة".

الفقرة الخامسة: رخصة العمل في الآخرة

يقولُ حضرةُ السلطانِ (قدس سره): "لا يوجدُ تقاعدٌ في الدروشةِ، الدرويشُ حتى في عالمِ الأرواحِ بعدَ انتقاله من عالمِ الدنيا إلى عالمِ الروحِ، تكونُ روحه من الأرواحِ المرشدةِ، ترشدُ المؤمنينَ في عالمِ الأرواحِ".

الآخرةُ بالنسبةِ لأهلِ الطريقةِ دائِرُ استكمالٍ للعملِ، والوصولِ والوصولِ والتقربِ إلى ما لا نهاية، ليس كبقيةِ المؤمنينَ الذين يتوقفُ عملهم بعدَ الموتِ، ولا يملكونَ ترخيصَ العملِ في الآخرة. لكي يكون المؤمنُ مؤهلاً للعملِ في الآخرة، فعليه أن يبدأ بذلك من الدنيا، فما الآخرةُ إلا متممةٌ للدنيا.

الأصلُ في ذلك يُفهمُ من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾، فالمعلومُ هنا أن المقصودَ بالعمى هو عمى البصيرة لا عمى البصر. وفي ذاتِ المنطقِ يقالُ: من لم يكن يكتسبُ إرادةَ الإرشادِ في الدنيا فلن يكونَ مرشداً في الآخرة. ومن لم يكن مرشداً في الآخرة، فاقراً على استمرارِ رُقيه الروحي وتقربهِ من حضرةِ القديسِ السلام.

بكلماتٍ أبسطَ: سارعُ إلى التحققِ بإرادةِ الإرشادِ، فإن فزت بها في الدنيا، كان ذلك علامةً لك على فوزك الأكيد بترخيصِ الإرشادِ في الآخرة.

* * *

قريباً من هذا السياقِ تحضرنا مفردةٌ كسنزانيةٌ ملفتةٌ لحضرةِ سلطانِ الطريقةِ (قدس سره) يقولُ فيها: "المجيءُ إلى الدنيا هو الموتُ" مُستشهداً بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽²⁾.

1 - [الإسراء: 72].

2 - [المالك: 2].

يظنُّ الناسُ أنَّهم أحياءُ، وأغلبهم ليسوا كذلك. فمن هم الأحياءُ؟
ومن هم الأمواتُ؟

الأحياءُ هم الذين يستجيبونَ لله والرسول ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم، قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾⁽¹⁾، فالحيَّةُ الحقيقيَّةُ تُكتسبُ بالاستجابة والطاعة، وليسَ بوهيم الحياة كما يتوهم أكثرُ الناسِ.

كيف يكونُ حياً، أو يصفُ نفسه بالحياة من لم يرَ الآخرةَ في الدنيا،
أو يرى الدنيا من الآخرة؟

الحَيُّ الحقيقي، هو حيُّ الدارين، لا بمعنى أن يبقى خالداً في الدنيا، بل بمعنى أنَّ موتهُ في الدنيا عَنِ الآخرة يموتُ، فمن ماتَ موتهُ، تمتَ حياتهُ.



الخلاصة: أن تكون مريداً أي أن تعملَ على طلبِ التحققِ بالإرادة، وأن تراقبَ عزيمةَكَ في العملِ، فإن كانت مسارعةً بلا تفاؤلٍ ولا تبريراتٍ، فأنتَ سائرٌ على الطريقِ الصحيحِ. وأما إن كانت فاترةً، مائلةً إلى التسويفِ والمماطلةِ، فعليكَ بذلك الجهد في حلقاتِ الذكرِ وفي تسبيحِ الوردِ بطلبِ التزودِ منها، وإلا فلا ينفعُ الصوتُ عندَ الفوتِ.

تمارين الدرس الثامن

التمرين الأول : أسئلة الفهم والاستيعاب

١. لماذا يجعل الدرس الإرادة محور الاستعداد للإرشاد؟
٢. ما العلاقة بين ضعف الإرادة وبين الانقطاع عن الإرشاد؟
٣. ما المقصود بقول الدرس إِنَّ أَخْذَ الطَّرِيقَةِ لَا يَكْفِي وَحْدَهُ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ مَرِيدًا حَقًّا؟
٤. ما معنى الدفعة في الطريقة الكسنزانية؟
٥. كيف يفسر الدرس ظاهرة نشاط بعض المرشدين في البداية ثم فتورهم بعد مدة؟
٦. ما المواقف الثلاثة التي يعطي فيها الشيخ الدفعة؟
٧. ما الإجراء الصوفي الذي يوصي به الدرس لمن لا يجد في نفسه إرادة الإرشاد؟
٨. كيف يشرح الدرس وظيفة حلقات الذكر ومجالس السماع في تقوية الإرادة؟
٩. ما المقصود بالخروج بالنور بعد انتهاء الحلقة؟
١٠. كيف يفرق الدرس بين وظيفة المرشد داخل التكية ووظيفته خارجها؟
١١. ما العلاقة بين استمرار الإرشاد وبين استمرار المدد؟
١٢. كيف يربط الدرس بين إرادة الإرشاد في الدنيا ورخصة العمل في الآخرة؟

التمرين الثاني : التعريفات المفهومية

عرّف المصطلحات الآتية بحسب الدرس:

الإرادة - القوة القلبية - الفتور - الدفعة - الفترة - المدد - الدخول في النور - الخروج بالنور - رخصة العمل في الآخرة - الحي الحقيقي

التمرين الثالث: سؤال المقارنة

قارن بين: الدفعة الروحية وبين الإرادة المكتسبة بالعمل والذكر والاستمداد. على أن يراعى في المقارنة بيان:

١. الفرق في المصدر.
٢. الفرق في المدة.
٣. الفرق في الاعتماد عليها.
٤. الفرق في الثمرة التربوية.
٥. الفرق في علاقتها باستحقاق المدد.

التمرين الرابع: أسئلة التحليل والتحليل

١. علل: لا يكفي أن يخرج المرشد إلى الإرشاد فترة من الزمن حتى يكون متحققاً بالإرادة.
٢. علل: ضعف الإرادة يؤدي إلى التلكؤ ثم الانقطاع.
٣. علل: الدفعة لا يُراد منها أن يبقى المريد معتمداً عليها دائماً.
٤. علل: الفتور لا يعني أن الشيخ هجر المرشد أو تركه.
٥. علل: حلقات الذكر ومجالس السماع عُرِضت بوصفها وسيلة مركزية لطلب إرادة الإرشاد.
٦. علل: على المريد أن يربط كل ذكر يردده بطلب إرادة الإرشاد.
٧. علل: بعد انتهاء الحلقة ينبغي للمرشد أن يشتغل بمادة الإرشاد وخطه لا بطلب الإمداد.
٨. علل: داخل التكية قلب وآخرة، وخارجها عقل ودنيا وحسابات منطقية.
٩. علل: استمرار حركة الإرشاد سبب في استمرار المدد.
١٠. علل: من لم يشتغل بإرادة الإرشاد في الدنيا لا يكون مؤهلاً للإرشاد في الآخرة.

التمرين الخامس : ضع علامة صح أو خطأ مع التصحيح

١. الإرادة في الدرس أمر تلقائي يحصل لكل من أخذ الطريقة.
٢. قد يمارس المرشد الإرشاد فترة ثم يفتر بسبب عدم الاشتغال على الإرادة.
٣. الدفعة خاصية روحية ذكرت في الدرس لتفسير النشاط الأولي عند بعض المريدين.
٤. الدفعة تغني عن العمل الشخصي المستمر.
٥. الفتور الذي يعقب الدفعة يشبه انطفاء بطارية بعد نفاد شحنها.
٦. حلقات الذكر ومجالس السماع لا صلة لهما بتقوية إرادة الإرشاد.
٧. على المريد في الذكر أن يستحضر طلب إرادة الإرشاد في باطنه.
٨. بعد الحلقة يستمر المرشد في الانشغال بالباطن فقط دون انتقال إلى التخطيط العملي.
٩. خارج التكية يطالب المرشد بالنهوض الذاتي والعمل المنظم.
١٠. يقرر الدرس أن المدد يتوقف إذا توقفت حركة الإرشاد.
١١. العمل الإرشادي عند أهل الطريقة لا ينتهي بالموت.
١٢. الحي الحقيقي في منطق الدرس هو من استجاب لله ورسوله ﷺ لما يحييه.

التمرين السادس : استخراج من النص

استخرج من الدرس ما يدل على:

١. أهمية الإرادة في الإرشاد
٢. أثر ضعف الإرادة في الفتور والانقطاع
٣. تعريف الدفعة أو صورتها التمثيلية
٤. المواقف الثلاثة التي يعطى فيها الشيخ الدفعة
٥. طريقة طلب إرادة الإرشاد في حلقة الذكر
٦. صلة الاستمداد بتقوية الإرادة

٧. الفرق بين الدخول في النور والخروج بالنور

٨. علاقة الإرشاد باستمرار المدد

٩. فكرة رخصة العمل في الآخرة

١٠. معنى الحياة الحقيقية في سياق الدرس

التمرين السابع: تحليل حالة

الحالة: مرشدان في الطريقة. الأول ينشط كلما جاءت حملة عامة أو حضر دفعة قوية من الشيخ، ثم إذا انتهت خدمت همته، ولا يشتغل على نفسه في حلقات الذكر بطلب إرادة الإرشاد. والثاني إذا وجد في نفسه فتوراً لجأ إلى الذكر والسماع والاستمداد، وربط ذلك كله بطلب إرادة الإرشاد، ثم خرج بعد الحلقة يضع خطة عملية ويبدأ بالإرشاد من جديد

المطلوب:

١. حلل الفرق بين الحالتين في ضوء الدرس.
٢. يبين أي المرشدين أقرب إلى منطق التربية الكسنزانية في باب الإرادة.
٣. استخرج القاعدة العامة التي يريد الدرس ترسيخها في علاج الفتور.
٤. وضح كيف ينتقل المرشد من الاعتماد على الدفعة إلى الاستحقاق بالعمل.

التمرين الثامن: سؤال تركيب

اكتب فقرة علمية مترابطة تشرح العلاقة بين: الإرادة - الذكر - الاستمداد - المدد - الإرشاد

التمرين التاسع: سؤال تطبيقي

كيف يمكن للمرشد الذي يشكو من ضعف إرادة الإرشاد أن يضع لنفسه برنامجاً عملياً لتقويتها؟ على أن يراعى في الجواب بيان:

١. دور حلقات الذكر
٢. دور مجالس السماع
٣. كيفية ربط الأذكار بهدف إرادة الإرشاد

٤. دور الاستمداد

٥. كيفية الانتقال من التزود الباطني إلى الإرشاد العملي

٦. طريقة المحافظة على استمرار المدد

التمرين العاشر: اختبار قصير تمهيدي

١. ما المقصود بالإرادة في هذا الدرس؟

٢. ما سبب الفتور الذي قد يصيب بعض المرشدين؟

٣. ما معنى الدفعة؟

٤. ما الفرق بين الدفعة والإرادة المستقرة؟

٥. كيف يطلب المرید إرادة الإرشاد في حلقة الذكر؟

٦. ما المقصود بالخروج بالنور؟

٧. لماذا يطلب من المرشد خارج التكية أن يشتغل بمادة الإرشاد؟

٨. كيف يرتبط الإرشاد في الدنيا بالإرشاد في الآخرة؟

التمرين الحادي عشر: مقال

اكتب موضوعاً من صفحة واحدة بعنوان: إرادة الإرشاد بين الدفعة الروحية والاستحقاق بالعمل. على أن يراعى في الموضوع:

١. وضوح المقدمة.

٢. الاعتماد على مفاهيم الدرس.

٣. بيان معنى الإرادة والفتور.

٤. شرح معنى الدفعة وحدودها.

٥. إبراز دور الذكر والسماع والاستمداد.

٦. توضيح ثنائية الداخل والخارج.

٧. ربط الإرادة بالعمل في الدنيا والآخرة.

٨. خاتمة موجزة.

سين جيم الطلاب والطالبات

س186: هل توجد علاماتٌ يُمكنُ من خلالها التمييزُ بينَ كونِ المریدِ سائرًا على الهدى أو متأثرًا بالهوى؟ وما هي أبرزُ هذهِ العلامات؟

ج: الهدى مقترن بالنور ذي التأثير الباطني الذي يظهر في اللسان واليد، فمن يظهر على لسانه طيب الكلمة، ويجد نفسه ماشياً بين الناس بحسن الظن والنصيحة والمسارة إلى المساعدة، دون انتظار شكرٍ أو مَنَّةٍ، ومن يجد في باطنه همة قوية على الإقبال على الورد والذكر للتزود من النور، ومن يجد في نفسه حضوراً فورياً لحظة دخول حضرة التسبيح أو الورد أو الذكر، ومن يجد في سلوكه أنه يبحث عن النظافة والصفاء في كل شيء فيه وحوله، ومن يجد في نفسه رَقَّةً وليناً تجاه الناس أجمعين، فإن تلك المواجيد في مشاعره وسلوكه التي لا يتكلف بذهنه أو إرادته الشخصية عملها، بل تحضر فيه من حيث لا يحتسب، هي علاماتٌ أنَّه محمولٌ بالهدى، لا حاملٌ هوىً.

الخلاصة:

التصوف علامة الهدى، أي الصفاء في كل شيء، علامة الهدى. فأنت صاحب هدى بقدر الأمور التي صرت صافياً فيها.



س187: ذكرتم أنَّ تحصيلَ إرادةِ الإرشاد يكونُ من خلالِ حضورِ حلقاتِ الذكرِ ومجالسِ السماعِ بقصدِ طلبِها، غيرَ أنَّه قد تطرأ على المریدِ ظروفٌ تمنعُه من الحضورِ لفتراتٍ طويلة. ففي هذهِ الحالة، من أينَ يمكنُ له أن يستمدَّ إرادةَ الإرشاد؟

ج: من سجاداته وتوجهه القلبي أينما كان، من صلاته ومن عمله الصالح، من إرشاده ومن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، من الإحسان للوالدين ومن كل أنواع الخير التي يمارسها.

المرید يتوجه أثناء أداء هذه الأعمال قلبياً إلى شيخه طالباً الحصول على الإرادة التي يريد.



س188: ذكرتم في سياق الدرس أنه يمكن، من خلال حلقات الذكر وجلسات السماع، التوجه بطلب إرادة الإرشاد. فهل يمكن أن تكون النية في هذا الأسبوع (في يومي الاثنين والخميس) منصبة على طلب إرادة الإرشاد، ثم في الأسبوع الذي يليه يكون الطلب موجّهاً إلى أمرٍ خاصٍّ يتعلق بإصلاح شأنٍ شخصيٍّ، مع الالتزام بالخطوات نفسها؟ أم أنّ هذا التغيّر في النيات لا يُعدّ مناسباً من حيث المنهج؟

ج: تعدد الإرادات مفتوح في الطريقة ما دامت ضمن منهج الطريقة، لكن ينبغي أن يُوَضَّع في الحسابات أمران:

الأول: إن المريد لا يحصل على الإرادة التي يريد إلا إذا أعطى الكم الكافي من التوجه والذكر والاستمداد، وللمريد أن يختار: إرادات متعددة يشتغل عليها حتى إذا استوفت أحدها شروطها نالها، أو يكرس كله لإرادة معينة فيحصل عليها وينتقل للأخرى. لا فرق في الطريقة، الموضوع بحسب وضع كل مريد.

الثاني: ينبغي مراعاة التوجه الباطني، فحين تأتين أحد الأسابيع لطلب إرادة الأمر الشخصي، وتجدين باطنك كله متجهاً إلى إرادة الإرشاد، هناك عليك الاستجابة لها، فقد يكون المجال الروحي مواتياً ليهب روحك قوة غير تقليدية حينها.

بتعبير آخر: لا تغفلي عن قاعدة: (المراقبة الاستجابة)، فهي أساسية في التجربة الروحية.



س189: هل تكون نية طلب الإرادة عند الدخول إلى الذكر أو مجالس السماع نية عامة تشمل جميع المريدين، أم أنها تختص بالمرشدين فقط؟

ج: التصوف علم، وكلُّ علمٍ شموليٍّ، أي يصلح للجميع على حد سواء.



س190: كيف يمكن للمريد تجاوز مرحلة الفتور بعد الدفعة، وتحويل هذه القوة المؤقتة إلى إرادة ثابتة ومستقرّة في مسار الإرشاد؟

ج: القانون الروحي ثابت، إذا أُعطي المريد دفعة، فلا بد أن تكون مؤقتة. على المريد أن لا يركن إلى الدفعات أو يحاول أن يثبتها، لأنها لن تثبت، والسبب أنها (حال) وكل حال (يحل ويحول) أي ينزل في الباطن ثم يزول. لكي أقرب المسألة وتصير واضحة بلا لبس أقول: مثل الدفعة مثل الوقود في السيارة، هذا الوقود لابد أن ينفد. فأنت لا تستطيع أن تحول الدفعة إلى غير ما هي عليه.

بدلاً من ذلك عليك أن تركز إلى عمك طالباً في الطريقة الصوفية، وهو أن تستثمر الأوراد والذكر وحلقات السماء والعمل الصالح كله، وتطلب ثمنه أن تكون عندك إرادة مستدامة، فإن فعلت ذلك، وكان عمك بالقدر الكافي للاستجابة من شيخ الطريقة، هناك ترقى روحك إلى تلك الحالة، فإذا ترقى روحك، إلى حالة الإرادة، صارت الإرادة عندك مقام معين وليس حال. أي تثبت بقدرك.

ثم إذا احتجت مستقبلاً أن تزيدها، فعليك أن تمارس التجربة الروحية نفسها، ليزيدوا من قوتك الروحية، ويرتقي مقامك إلى الحد الذي يثبتوك فيه مجدداً في مقام أعلى، وهكذا (راجع هذا الموضوع في التسجيلات فقد شرحت في الدرس مفصلاً).

سوى ذلك، على المريد أن يتذكر دائماً أنه (مريد) أي عليه أن يريد باستمرار، فإن لم يمارس عمله في الإرادة، يكون مريداً بالاسم لا بالفعل.

قال حضرة السلطان (قدس سره المعظم): "مثلما يوجد إنسان بالاسم فقط، بلا أخلاق ولا تربية، ويؤذي الناس، فهو (إنسان حيوان) ليس له عقل، فيوجد مسلم بالاسم فقط وهو الذي لا يسلم الناس من لسانه ويده، وأيضاً يوجد مريد بالاسم فقط. مريد يعني تريد، إذا أنت لا تريد كيف تسمى نفسك مريد؟، لازم تكون صادق مع نفسك ومع شيخك وتريد".

فالمريد يصير مريداً بالاسم إذا لم يمارس فعل الإرادة ويصل مستويات التثبيت (المقامات).



س191: في الدرس تَمَّ ذَكَرُ "الدَّفْعَةِ"، فهل تُعَدُّ حَالًا مُغَايِرَةً لِحَالِ
الابْتِدَاءِ فِي الْإِرْشَادِ، أَمْ أَنَّهَا تُسَاوِيهَا مِنْ حَيْثُ الْمَفْهُومُ وَالِدَّلَالَةُ؟

ج: شُبِّهَتِ الدَّفْعَةُ عَلَى لِسَانِ أَسْتَاذِنَا (قَدَسَ سِرُّهُ) بِعَمَلِيَّةِ رَفْعِ الْمُرِيدِ
لِكِي يَرَى مَا وَرَاءَ السُّورِ، وَيَتَذَوِّقُ شَيْئًا مِنْهُ، وَالرَّمْزِيَّةُ هُنَا، أَنَّ الْمَشَايِخَ
تَرْفَعُ بَاطِنَ الْمُرِيدِ لِكِي يَرْتَقِي فَيَتَذَوِّقُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ. ثُمَّ يُنْزَلُ وَيُطْلَبُ
مِنْهُ أَنْ يَشْتَغَلَ لِیَصِيرَ عَمَلُهُ الصَّالِحَ (دُرُوشَتَهُ) قَوِيًّا بِحَيْثُ يَرْفَعُهُ
وَيَدْخُلُهُ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ.

لنقرأ هذا الأمر وفق مصطلح (حال الابتداء).

حال الابتداء هو ثمرة الدفعة، فعندما تدفع المشايخ المرید لترفعه
كي يذوق الأمور الروحية، فيحصل عنده بسبب ذلك الارتباط الروحي
والتعلق والسكون إلى هذا النور.

ثُمَّ إِنَّهُ عِنْدَمَا يَنْزِلُ وَيُوضَعُ عَلَى الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ يَبْقَى مُتَنَعِمًا بِذِكْرِ مَا
حَصَلَ عَلَيْهِ، فَلَا يَسْعَى إِلَى مَا وَرَاءَهُ.

يَفْعَلُ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ هُوَ بِالتَّحْدِيدِ دُونَ أَيِّ إِرَادَةٍ ذَاتِيَّةٍ. وَإِذَا لَمْ يُطْلَبْ
مِنْهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، هُوَ سَاكِنٌ وَمُتَنَعِمٌ بِمَا تَذَوَّقَ مِنَ الدَّفْعَةِ فَقَطْ.

يَعْنِي: إِذَا أَمَرَ حَضْرَةُ الشَّيْخِ أَوْ الْخَلِيفَةُ بِالْإِرْشَادِ بِصُورَةٍ عَامَةٍ، هُوَ لَا
يَتَحَرَّكُ عَادَةً، لَكِنْ إِذَا نَادَاهُ الْخَلِيفَةُ بِصُورَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَقَالَ: أَخْرِجْ
لِلْإِرْشَادِ، قَالَ نَعَمْ، فَيَخْرُجُ مَرَّةً ثُمَّ يَتَوَقَّفُ، حَتَّى يُطْلَبَ مِنْهُ مُجَدِّدًا
بِصُورَةٍ شَخْصِيَّةٍ، فَيَفْعَلُ وَيَتَوَقَّفُ.

الوَاقِفُ فِي حَالِ الْإِبْتِدَاءِ، لَا يَحْرُكُ سَاكِنًا وَلَا يُسْكِنُ مُتَحَرِّكًا.

الْخَلِيفَةُ ذُو الْبَصِيرَةِ، يَعْرِفُهُمْ، وَلَا يُلُومُهُمْ، وَيَكْلِفُهُمْ بِمَا يَبْرَعُونَ بِهِ،
الْمَرَّةَ تَلُو الْأُخْرَى.

ثَمَرَةُ الدَّفْعَةِ الْوَقْتِيَّةُ كَانَتْ لَهُؤُلَاءِ وَلَمْ تَزَلْ تَمَثِّلُ (كُلَّ شَيْءٍ).

السُّؤَالُ: هَلْ يُمْكِنُ لِمَنْ هُوَ فِي الْحَالِ أَنْ يَتَبَدَّلَ شَأْنُهُ، وَيَنْتَقِلَ مِنْ
الْإِبْتِدَاءِ إِلَى الْارْتِقَاءِ؟

الجواب: قولاً واحداً، بالتأكيد يمكن ولا يوجد ما يمنع ذلك إطلاقاً من الناحية الروحية. كل الذي على صاحب هذا الحال أن يعي أين هو وأن يمارس فعل الإرادة مثل المريدين الحقيقيين ولسوف ينطلق أسوة بالمتمكنين.

المسؤولية هنا تقع على عاتق الخليفة أو المرشد المري، فعليه التذكير والتنبية والتشجيع الفردي بدون إكراه، فإن أبى يترك وشأنه، وإن استجاب، تحقق المراد.

إذاً، كل حال ابتداء دفعة وليس كل دفعة حال ابتداء.



س192: هل يوجد فرق بين المريد والمريدة من حيث الجهر بالذكر في الإرشاد، وذلك من الناحية الشرعية؟

ج: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، فالخطاب القرآني واضح هنا في اللاتفرقة بين الرجال والنساء.

وقال حضرة السلطان (قدس سره العزيز): "في الطريقة لا يوجد فرق بين الرجال والنساء، الدرويش سواء كان رجلاً أو امرأة عليه نفس الواجبات، نفس الأوراد، نفس الالتزام، وربما في بعض الحالات النساء عليهن واجبات أكثر من الرجال، لأنهن يربين الأطفال".

الذكر الجهري، واجب على الرجال والنساء على حد سواء، ولكن، درجة رفع الصوت تختلف، فيحب أن يؤديه الرجال بقوة، في حين يفضل أن تؤديه النساء بلين، بحيث تسمع نفسها.

لماذا؟ ليس لأن صوت المرأة عورة، فهذا الفهم ليس بدقيق.

1 - [الأحزاب: 35].

عورة النساء هي (القُبْل أو الفرج)، قال تعالى: ﴿أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَنْظَهُوا عَلَى عَوَاتِ النَّسَاءِ﴾⁽¹⁾، وقد وصف تعالى هذه المنطقة بالسوءة، أي المنطقة التي من السيء كشفها على غير المحرم، قال تعالى: ﴿يَأْتِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِيَهُمَا﴾⁽²⁾.

بتعبير آخر: يتساوى الرجال والنساء في العورة وهي (القُبْل أو الفرج) ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ⁽³⁾.

أي عوراتهم أو سواتيهم. فالصوت، أو غير الصوت ليس من العورة من الناحية الشرعية، لعدم وجود دليل قرآني على ذلك. وأما بعض الروايات في هذا السياق، فجميعها إما روايات آحاد أو ضعيفة لا يُعْتَدُّ بها.

فإذا لم يكن صوت المرأة عورة، فلماذا يُفضل أن يكون جهرها منخفضاً؟
الجواب: لأن طبيعتها التكوينية تختلف عن الطبيعة التكوينية للرجل.
يمكن توضيح الفرق بالمقاربة الآتية:

الرجل يتكون من ثلثين كتلة منطقية وثلث كتلة عاطفية.
المرأة تتكون من ثلثين كتلة عاطفية وثلث كتلة منطقية.
الذكر الجهري يهدف إلى تفعيل الجانب العاطفي عند الرجل.
يحتاج الرجل إلى قوة عظيمة لكي ترقَّ عواطفه وتتفاعل.
في حين أن أقل جهد من المرأة يجعلها تتفاعل عاطفياً.
لهذا تبكي النساء أكثر وأسرع من الرجال مرَّاتٍ، وكذلك تتأثر.
بالتأكيد السبب في ذلك ليس لأفضلية أحدهما على الآخر، بل لأن مهمة

1 - [النور: 31].

2 - [الأعراف: 27].

3 - [النور: 30-31].

كل منهما تختلف في الحياة، فالولادة والتربية تتطلب كتلة عاطفية عظيمة، في حين العمل ومواجهة مخاطر الحياة وأزماتها المعقدة تتطلب كتلة منطقية أعظم، فكل مخلوق مُيسَّر لما خُلِقَ له.

إذا عَلِمنا بهذا الفرق، يصبح من المنطقي أن ننبه النساء على الجهر المنخفض لأنه سيحقق النتيجة التي سيحققها الجهر المرتفع بالضبط.

لذا، على المرأة أن تقف بوقار، وأن تردد الذكر بطريقة تسمع نفسها، وأن توجه باطنها نحو إرادتها من شيخها، وبذا تفوز بما يفوز أخوتها من الرجال.

نقطة أخرى: احفظوا قلوبكم من الحكم على سواكم ممن لا يعرفون ما تعرفون، فمن ترى أختها تُخالف وتجر بطريقتهم الرجال فلا تتقدها في نفسها، لماذا؟ لأن المريدة حاضرة في التكية لإصلاح شأنها وتزكية نفسها، لا للحكم على غيرها وتقييم سواها، فهذا من أمراض الدروشة، فتجنّبوه، وإن حصل فاستغفروا عنه.



س193: ورد في موضوع "رخصة العمل في الآخرة" أَنَّ الدرويش حتى في عالم الأرواح يكون من الأرواح المرشدة التي تُرشد المؤمنين هناك. فما الحكمة أو الفائدة من هذا الإرشاد في عالم لا مجال فيه للتوبة أو الرجوع إلى الدنيا لإصلاح الذات؟

ج: قبل الإجابة عن هذا السؤال أجد من المفيد التنبيه إلى تصحيح أسلوب الطرح، وذلك من باب الدقة والأمانة العلميّة.

الصحيح أن يكون السؤال: نقلتم عن حضرة السلطان (قدس سره) قوله المبارك: "إن الدرويش حتى في عالم الأرواح يكون من الأرواح المرشدة يرشد المؤمنين هناك".

وهنا يتبادر إلى ذهني سؤال: ثم تذكر السؤال.

الطرح السابق نسب القول لي، ولست القائل، بل أنا الناقل.

والطرح السابق لم يفرز نص القول بين علامتي تنصيص الاقتباس وهي: " " .

الهدف من هذا التصحيح، أن يستفيد جميع الطلبة -بضمنهم السائل- من ملاحظات طرح السؤال.

أصلاً، خلال هذه الدورة تبين لي ضرورة أضيف درساً آخر لطلاب الدورة الثانية بعنوان: (فن طرح السؤال)، ليكون متمماً لـ (فن كتابة المقال).

* * *

نأتي إلى إجابة السؤال:

كل عالم له خصائصه التكوينية والأعمال التي تتناسب معه. فالجان لهم عالمهم الخاص بهم، وأعمالهم التي تتناسب معهم، وكان مسموحاً لهم أن يعملوا في عالمنا الأرضي كما تدل على ذلك العديد من الآيات الكريمة ومنها ﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَاحُهاَ شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽¹⁾، وكان العامة يرونهم رأي العين كأشخاص بشريين مثلنا، بهيئاتنا والسنتنا، لكن بابهم أغلق على العامة بعد حضرة الرسول الأعظم ﷺ، فلم يُسمح بذلك لأسبابٍ نخرجُ بذكرها عن المقصود في السؤال.

كذلك، الملائكة لهم عالمهم وأعمالهم، في عالمنا الأرضي أيضاً، وهؤلاء مثل الجان كانوا يتمثلون بالهيئة البشرية ويظهرون ويؤدون بعض الأعمال في الدنيا، كما في قصة ضيف إبراهيم والكثير من قصص الأنبياء والصديقين.

أيضاً أغلق باب التمثيل والظهور العلني للعامة في الثلث الأخير من البعثة المحمدية المطهرة، ولكن حضورهم الروحي لم يتوقف. ولنقف عند هذه التفصيـلة المهمة:

1 - [سبأ: 12-13].

الملائكة لا تزال تنزل على الجانب الروحي لأرواح الأولياء والصالحين وحتى المؤمنين، لتعينهم وتساعدهم بحسب وظائفها وتكليفاتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (1)، فلاحظ هنا نقطتين:

النقطة الأولى: كلمة (تنزل) والمقصود بها الهبوط من عالمهم الروحي الخاص إلى عالم أرواح المؤمنين الذين لا يزالون في الحياة الدنيا.

النقطة الثانية: النص ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ (2)، وقد درسنا أن الولي هو الذي يخرج من الظلمات إلى النور، فالملائكة كانت تتمثل في دنيا البشر ليروها بأعينهم، فصارت تنزل في الجانب الروحي لهم وهو في الدنيا، وتساعدهم أرواحهم على الخروج من الظلمات إلى النور. تأتي على الأرواح، هي كذلك كانت تتمثل وصارت تنزل، فأما تمثلها بالهيئة البشرية فكما في قصة الصديقة مريم (صلوات الله تعالى عليها) إذ جاء في الآية الكريمة ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (3).

وأما تنزل الأرواح فنجد في أقوال أستاذ العارفين حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدس سره) الذي قال: "المريدون المجاهدون حتى في عالم الأرواح هم جنود مجنده، الله ﷻ يشغلهم في مساعدة الذين يقومون بالعبادة".

الأعمال في الآخرة، منها ما تكون خاصة بعالم الآخرة، ومنها ما تكون خاصة بالتنزل على الجانب الروحي لأهل الدنيا ومساعدتهم وكما في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (4)، ومنها تكون بشأن أعمال في عوالم غيبية أخرى.

1 - [فصلت: 30-31].

2 - [فصلت: 31].

3 - [مريم: 17].

4 - [القدر: 4].

أعمال الآخرة لا تعد ولا تحصى ومنها العمل في مهمة (التعريف)، نحن نسميها في عالمنا هذا (التعليم).

لاحظوا أننا منذ أتينا إلى هذه الدنيا ونحن نتعلم، ولا زلنا نتعلم ولم نكتشف إلا أقل القليل منها ومن أنفسنا، وهو عالم محدود وفاني، فكيف بعالم لا متناهٍ أبدي خالد، لا أول لحقائقه ولا آخر لآياته، فهناك يحتاج الذاهبون إلى المعرفة، ومن يعرفهم، مثلما يحتاج الطفل هنا إلى التربية والتعليم.

مهمة التعريف بالآخرة وما فيها، عمل تفوز به بعض الأرواح لتأخذ مقابلته أجور روحية ترتقي بها إلى منازل أقرب من الحضرات العلوية. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحَ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾⁽¹⁾، فلنتوقف لبرهة مع هذه الآية الكريمة:

رجل عادي، عنده سيئات وحسنات وربما معاصي وغفلات، وما إلى ذلك، ثم يحضر القتال فيذهب تطوعاً، فيقتل في سبيل الله، كيف ستكون آخرته؟

هو في الدنيا لم يعمل ليخرج من الظلمات إلى النور، لم يجتهد ليتوب ويتطهر، لم ولم ولم، وكل ذلك له علاقة بجانبه الروحي. فإذا قتل ومات فجأة في المعركة فكيف سيكون مع الأولياء الأحياء في الآخرة الذين كسبوا تلك الحياة بعرق الجبين في مجاهدة النفس والقيام لواجبات الاستقامة!

هذا المقتول في سبيل الله، حين يحيا، فإنه يحيا فزعاً مرعوباً من هول عالم يراه لم يكن مستعداً روحياً له، ولكنه استحق دخوله لأنه ضحى بما تبقى له من الدنيا حين تطوع وذهب إلى المعركة، فلو أنه لم يتطوع، لربما في بقية عمره كان سيهتدي ويخرج من الظلمات إلى النور، ولكنه خسر الفرصة بذلك، لذا يعوض عنها، بالحياة الروحية.

1 - [محمد: 4-6].

نصل إلى النقطة ذات الصلة، هذا وأمثاله، حين يأتي إلى ذلك العالم، يجد من ينتظره أرواح عملها أن تستقبله، وتهدهه وتبدأ بتعريفه بالعالم الجديد شيئاً فشيئاً مثل الطفل.

ومن الأرواح من عملها متخصص بأمر مهم جداً أشارت له الآية الكريمة وهو (إصلاح البال)، تقول الآية ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾⁽¹⁾، والمقصود بذلك، مما يسمح بذكره المقام هو أنه يدخلونه في دورات تزكية وتطهير وإصلاح حتى يصير مهياً لذلك العالم.

القرآن الكريم دليل الآخرة، حضرته مكتنزة بالتعليمات عن أعمال الآخرة وخصائصها، والتي هي مكافئة لأعمال الدنيا وخصائصها، ولكنه مهجور، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁽²⁾، كثير تلاه قليل قراءة.

فلنكتف بهذا القدر من التبیین، وأحسبه كان شافياً كافياً.



س194: هل يُمكن طلب الإرادة عند زيارة أضرحة مشايخ الطريقة (قدست أسرارهم)؟

الجواب: في الطريقة الكسنزانية، جميع أماكن نزول الرحمة الإلهية متاحة للمريد في أن يتصوف فيها، أي يُمارس أمور تجربته الروحية بينه وبين شيخه باطنياً، وتلك الأماكن بحسب أقوال حضرة السلطان (قدس سره العزيز): الكعبة المشرفة، المقام المُطهر لحضرة الرسول الأعظم ﷺ، مقامات سلسلة مشايخ الطريقة قدست أسرارهم، التكايا، المساجد، المعابد.

بحسب ما يقول حضرة السلطان (قدس سره) فإن أي من هذه الأماكن إن قصدته وفي قلبك همك الروحي، فأنت حين تدخل إليه، يستقبلك أصحاب المكان الروحيون استقبال الضيف ويقومون بواجب الضيافة

1 - [محمد: 5].

2 - [الفرقان: 30].

لمن جاء طالب وجه الحق أو ما يقرب منه، ليس هذا فحسب بل يشير
حضرتة قائلاً بأنهم يفرحون بعطائك: " عند الكعبة، عند مقام الرسول ﷺ،
في المساجد، المعابد، التكايا، عند مقامات الأولياء؛ إذا كنت ضيف عند
أحدهم، وتطلب منه شيء يفرح عندما يعطيك".

مع ذلك، ومن باب الأمانة علي أن أذكر، أن الأمر ليس بهذه
البساطة، لا تتخيل أنك تذهب مرة وتقول أريد كذا فيحصل، الإرادة
شيء والدعاء شيء آخر، ولنوضح الفرق بعجالة:

الدعاء وقتي، يعني حين يدعو صاحب الدعاء فإنه قد يكون حاضراً في
لحظة نطقه بالكلمات، ولكن ماذا يحصل بعد انتهاء الدعاء أو الخروج
من المقام؟ يعود المرء إلى وضعه العادي الاجتماعي وتشغله
مشاغله اليومية.

هذا ليس بمريد، وهذا ليس بطلب إرادة.

المريد، حين يذهب إلى الأماكن المقدسة ويدعو، فإنه إراداته حاضرة
قبل الدعاء واثناؤه وبعده، يعني: الهم الذي يحمله في قلبه بشأن
إرادته يبقى حاضراً ولو فارق المقام المقدّس.

أقرب مثال لذلك: الأم التي تفقد طفلها، هي تذهب إلى الأماكن
المقدسة وتحمل في قلبها حرقه موجعة تريد منهم مساعدتها على
استعادته، وبعد أن تخرج منهم، لا تفارقها الحرقه بل تبقى، لكنها
تنتظر أن يأتيها الفرج بسبب زيارتها ودعائها.

هذا هو حال المريد الحقيقي عندما يريد.

حلقات الذكر تساعدنا في الوصول إلى هذه الحرقه، ولهذا علّمونا أن من
آداب الذكر أنك لا تشرب الماء البارد بعده، كي لا تطفئ حرارة النور
التي اشتعلت في جوفك.

ثم، إن المريد الحق يستمر بفعل ذلك حتى الحصول على المراد،
أو أن يكشف له المشايخ عن سبب عدم استجابتهم له، فيعمل
على إزالة العقبة، ليتم الوصول والحصول.

في كل مرة تزور الأماكن المقدسة وتدعو، أنت تجمع رصيد روحي للتأهل في التحقق بالإرادة التي أردتها، وهكذا إلى أن يبلغ الرصيد القدر الكافي، هناك تحصل على المطلوب.

إذاً، استنفار الجهد، وبذله إلى الحد الأقصى في زيارة الشيخ أو المقامات لهدف اكتساب الإرادة، أمر جدي، يقتضي عمل رجال من الذكور والإناث، وها قد أنار لكم مشايخ الطريقة طريقكم، فسيروا على بركة الله ورسوله ﷺ.



س195: ما المقصود بقولهم: «من مات موته تمت حياته»؟

ج: قد وضحت ذلك في الدرس، وهو مبين في التسجيلات، ولكن لا بأس بالمزيد.

ما الموت؟ الموت هو تعطيل الوعي. طبيياً يقال: الموت الدماغى وهو توقّف جميع وظائف الدماغ، بحيث يفقد الإنسان الوعي. الإنسان الاعتيادي، حي طبيعياً، يعني لديه وعي بنفسه والمحيط الخارجي في الحياة الدنيا. لكن، هل لديه الوعي نفسه بالعالم الروحي الغيبي؟ الإنسان الاعتيادي، ميت عن العالم الروحي لأن وعيه الباطن متوقف عن العمل، مثله كمثل صاحب الموت الدماغى، لكن هذا موت لعقل القلب ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾⁽¹⁾.

إذاً، الإنسان الاعتيادي حي وميت، حي طبيعى، ميت معنوي. لماذا هو ميت معنوي؟ لأن غرائزه وشهواته تسيطر عليه، وتتحكم في سلوكه كله.

ما الذي عليه عمله؟ عليه أن يميت غرائزه المحرمة أو شهواته الباطلة. لاحظ: الغرائز المحرمة تميته معنوياً فإذا أنت أمت الغرائز المحرمة احتيّيت.

1 - - [الأعراف: 179].

لهذا قلنا: من مات موته (أي غرائزه المحرمة) تمت حياته (أي الروحية) يعني استيقظت حواسه الباطنة ليرى ويسمع ويشهم ويتحرك في عوالم الروح.

وللمزيد أنقل هنا نص مسألة في موسوعة الكسنزان أشارت لهذا الأمر:

«عندنا الموت موتان:

الموت الأول: الموت الطبيعي (مفارقة الحياة الدنيا) .

الموت الثاني: هو الموت المعنوي، ويحصل عند موت الغرائز بالورع، والرياضة.

فإذا وصل المريد إلى مرتبة موت الغرائز، يصبح مؤهلاً لنزول نور الرحمن على روحه، فإذا نزل نور الرحمن: وهو نور لطيف في روحه، وهو الجسم الشفاف يستطيع أن يلمس بالإحساس الحق والحقيقة»⁽¹⁾.

أمت غرائذك المحرمة وشهواتك الباطلة، تُمِت ما يَمِيتك عن حياتك الروحية، أي تُمِت موتك.



س196: كيف يتحوّل الذكّر من مجرد لفظ إلى أثرٍ روحيٍّ مؤثّرٍ في الإرادة والسلوك، بما ينعكس على تهية المريد لنيل البركة والتوجيه التربوي من شيخ الطريقة، والدخول في مراتب السلوك الروحي العليا؟

ج: بداية لا يوجد مصطلح (الفناء العلوي) بل لدينا الفناء في مراتبه الثلاثة فقط: الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول ﷺ والفناء في الله تعالى. والفناء لا يعني التلاشي أو الانعدام أو الذوبان أو ما شابه، بل له دلالة صوفية غير لغوية تفرد بها حضرة السلطان (قدس سره) ليس هذا محل التوسع بذكرها (ربما في الجلسة المفتوحة إن سألتهم عنها لأن فيها تفصيل).

1 - موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ج19 ص568.

نأتي إلى لب السؤال، كيف يتحول الذكر من مجرد لفظ إلى قوة نورانية؟
ج: لا يوجد تحول، بل الأمر إن ألفاظ الذكر مكون من (ظاهر وباطن)
ظاهرة اللفظ وباطنه النور.

القرآن الكريم ذكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽¹⁾. فهل
القرآن الكريم اللفظ فقط أم اللفظ وأمر آخر؟

القرآن الكريم: ظاهر وباطن، ظاهره الألفاظ وباطنه النور ﴿وَكَذَلِكَ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ
جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾⁽²⁾.

ألفاظ الورد كلها قرآنية، فكل منها: ظاهره لفظ وباطنه نور.

عندما ينطق المريد الورد بالعدد المقرر، فإن نطقه الظاهر ذاك تم
بحواسه الظاهرة.

ولما كان الإنسان ظاهر وباطن أيضاً، فإن لفظة الذكر المنطوق تذهب
إلى الآذان، في حين أن باطن ذلك الذكر يذهب إلى القلب أو الباطن.

ولما كان باطن الذكر نور، فهو ينور باطن المريد.

الذكر يخرج المريد من الظلمات إلى النور بهذه الكيفية.

الآن، لننتبه إلى المثال الآتي:

لنفترض أنك خرجت في ليلة ظلماء وببيدك لايت (مصباح يدوي)،
فالهدف من المصباح أن ينور لك الظلمة كي ترى الطريق فتتحرك.

المصباح اليدوي (اللايت) بيد المريد هو (المسبحة).

الآن، لنفترض أنك لم تضغط على زر التشغيل، فهل ينير لك الطريق؟
لا يفعل.

كذلك المسبحة التي لا يسبح فيها، والورد الذي لا يشتغل فيه، لا ينير.

لنستكمل مثالنا:

1 - [الحجر: 9].

2 - [الشورى: 52].

لنفترض أنك شغلت زر المصباح، فسوف يبدأ من فوره بالتنوير، والسؤال هنا: ينير ماذا؟ أو أين؟ هل المصباح هو الذي يختار جهة الإضاءة أم يدك أنت الخاضعة لإرادتك الشخصية في توجيه المصباح نحو الجهة التي تريد أن يقع عليها النور؟

الإجابة معروفة: كل القصة بما تريده أنت من توجيه النور في الجهة التي تريدها، سواء للسماء أو تحت قدميك أو أمامك أو وراءك، الأمر كله بيدك. الأمر نفسه ينطبق على الذكر، هو مصباح يخرج النور ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾⁽¹⁾، لينير الطريق الروحي للمريد، والأمر كله منوط بما يريده المريد من التنوير، فعليه أن يقرر أين يوجه نور الذكر، وإلا فإذا كان النور متجهة إلى جهة، والمريد نظر في جهة أخرى، لأنه لا يرى شيئاً، ولو كان ذاكرةً.

على المريد أن يتوحد مع ذكره، فإن فعل صار موجداً، وصار قادراً أن يرى الباطن بعين القلب، كما يرى الظاهر بعين الرأس.



س197: ذكرتم أنّ سرَّ الإرادة هو تحرّي ما يريده شيخ الطريقة ولو خالف النفس وخالفته. فهل يفهم من ذلك أنّ الإرادة تُشكّل محورَ التمسك بحبل الله، وأنّ غيابها قد يؤدي إلى تشتت السلوك الروحي وانحلال خيوط الالتزام؟

ج: حبل الله مفهوم كلي أو شامل، داخل هذا الحبل، ينتقل المريد في إرادة الخيوط ليثبت الواحد تلو الآخر. لأن كل خيط يتطلب تخصيص وقتاً وعملاً واستقبال أحوال وتفاعل.

مثل ذلك كمثال من يريد أن يصير دكتور جراح، عليه أن يُخصّص وقتاً وجهداً وعملاً لكل مادة من مواد المقرر على حدة، فإن أنجزها، كانت النتيجة بالجملة أن يصير دكتوراً.

حبل الله بمثابة الشهادة النهائية، وأما الخيوط فكل منها بمثابة مقرر بحدّ ذاته تفرد له إرادة مستقلة، يريدها المريد من شيخه.

1 - [النور: 35].



س198: إذا كانت الدفعة مؤقَّتة بطبيعتها، فما العلامات الدالَّة على انتقال المريد من الاعتمادِ عليها إلى الاعتمادِ على الإرادةِ المستقرَّة؟

ج: لنأخذ (الإرشاد) كمثال تطبيقي للإجابة.

يتحفز المريد حين يسمع من شيخ الطريقة أهمية الإرشاد ويتحرك كلما شجعه أو دفعه إلى ذلك. فمن كان هذا شأنه كان صاحب دفعة.

علامة المريد الذي تجاوز الدفعة، أنه شغوف بالإرشاد وممارسته سواء أمر الشيخ أم لم يأمر. الإرشاد عنده جزء لا يتجزأ من مهامه اليومية، فتارةً حركيٌّ وتارةً إلكترونيٌّ وتارةً تعليميٌّ وهكذا.

بالمثل، فإن المريد الذي ينفق عند توجيه حضرة الشيخ فهو صاحب دفعة.

وأما المريد الذي يخصص على نفسه (حق معلوم) ويخرجه للإنفاق في سبيل الله، وفق الضوابط القرآنية، باستمرار سواء ذكّر الشيخ بذلك أم لم يُذكّر، فهذا صاحب إرادة لا دفعة.

قد يكون مريد ما: صاحب إرادة في أمرين أو ثلاثة، وصاحب دفعة في خمسة أمور أو أكثر، من خلال هذه العلامة يمكنه العمل على أمور الدفعة ليحولها إلى إرادة وبالتالي يتكامل في إرادته، وليكون مريداً كسنزانياً حقيقياً.



س199: ذكرتم أنّ المريد عند حضور الذكر يطلبُ القوَّة الروحيَّة بطلبِ إرادةِ الإرشاد والاستمداد على نيةِ الإرشاد، فهل يفهمُ من ذلك أنّ حلقاتِ الذكر والسماع تُعدّ في حقيقتها وسيلةً لتزويدِ المريدِ بالنورِ الروحيِّ بغرض طلبِ إرادةِ الإرشاد فقط؟

ج: ليس الأمر كذلك. قلنا في بداية الدرس أن موضوع الإرادة واسع جداً، ولأن دورتنا عن الإرشاد فسوف ندرس الإرادة وعلاقتها بالإرشاد، لذا كان الحديث موجهاً في هذا الاتجاه. لكن الحقيقة، أن الذكر لجميع أنواع الإرادات المجازة في الطريقة.



س200: كيف يمكن تحقيق معنى "الحياة الحقيقية" واستحضار البعد الآخروي في الدنيا، في حال تعدد الذهاب إلى التكية بسبب الظروف؟

ج: الآخرة في كل مكان وليس في التكية فقط. الآخرة على السجادة في المنزل، والآخرة في المعمل والمزرعة والمدرسة، الآخرة تحيط بنا أينما كنا، ومنفذنا لها قلوبنا، فأين ما كنت، إذا حصل عندك الفتح للآخرة رأيته.

أصلاً مجرد حرقه القلب للذهاب إلى التكية وعدم التمكن بسبب الظروف القاهرة، هو حضور روعي فيها، فلطالما ردد سلطاننا (قدس سره الأعظم) مقولة حضرة الغوث الأعظم سيدنا عبد القادر الجيلاني (قدس سره المعظم): "الذي يحب الشيخ في قلبه إذا كان في اليمن فهو أمامي، والذي هو أمام الشيخ ولا يوجد عنده حضور القلب، كمن هو باليمن".

وسائل التواصل الاجتماعي من آثار رحمة الله تعالى في هذا الجانب، يمكن فتح البث المباشر في المنزل بعد الاستعداد، والتواصل مع الذاكرين، فإن لم يكن هناك بث مباشر، يمكن تهيئة حلقة ذكر كاملة، وفتحها في الوقت التقريبي للتكية، وإغماض العينين والتصور أنك في التكية مع الذاكرين والاستماع والذكر، ولو في وضع الجلوس في مكان منعزل.

المريد، الذي يريد، لا تعجزه الوسائل، ولا تمنعه والموانع.



س201: كيف يستطيع المريد التمييز بين الفتور الناتج عن ضعف الإرادة الباطنية في داخله، وبين الفتور الذي يكون مجرد انخفاض مؤقت في النشاط الظاهري والسلوك العملي؟

ج: إذا كان الفتور مصحوباً بالانصراف عن الإرادة وكأنه يعطي نفسه إجازة أو فترة راحة، فينشغل باطنه بهم آخر، فهذا فتور مصدره ضعف الإرادة، إذ علامته أنه يعطي لنفسه مبررات وتعليلات ليصدق انصرافه.

أما إن كان الفتور مصحوباً بدوام حضور الرغبة بالإرشاد، والانزعاج من التأخر، وخوف فوات عظيم الأجر والأثر، فذلك انخفاض مؤقت، وهو وراد.



س202: ذكرتم في المحاضرة أنّ المرشدَ يمكنه تحصيلُ الإرادةِ من خلال فقرات الذكر ومجالس السماع. فهل يمكن أيضاً تحصيلُ الإرادةِ عبرَ عباداتٍ أخرى، مثل الصلاة على حضرة المصطفى ﷺ، أو عند الخروج للإرشاد مع استحضار النية؟

ج: نعم، بالتأكيد، كل قول أو عمل حسن أو صالح يمكن أن يوظف لأجل الحصول على الإرادة، بل يفضل أن يوظف، وقد تحدثنا عن ذلك أكثر في إجابة لسؤال سابق، فراجع للمزيد.



س203: في حال مخالفة المريد لإرادة الشيخ عن غير قصدٍ، مما قد ينعكس على تعطل سيره في الهداية، فهل يُمكنُ اعتبارُ هذا الخطأ غير المقصود شكلاً من أشكال التعلم الروحي والتقويم السلوكي، أم أنه يُعدُّ مجرد عائقٍ في طريق الهداية؟

ج: ارتكاب الأخطاء جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، ولهذا وجدت التوبة، ووُجد الاستغفار. فهل يُعدُّ الخطأ من أشكال التعلم الروحي أم عائق؟

ج: يمكن أن يكون هذا أو ذاك. الذي يحدد أيهما هو سلوك المريد بعد الخطأ.

إن تجاهل أو برر أو تغافل كان ذلك مدعاةً للتكرار بلا رادع نفسي وبالتالي يصير ذلك الخطأ عائقاً في طريقه.

أما إن نظر في سبب الخطأ وعزم على تجاوزه والعمل على عدم تكراره، قارن ذلك بالاستغفار والتوبة، فإنه يكون جزءاً متمم من تجربته الروحية.

السؤال: ماذا إن فعل ذلك وتكرر عنده الخطأ؟

ج: يكرر النظر في السبب ويحاول معالجته بإزالة علته، ويستمر على الاستغفار والتوبة. ويكرر ذلك كلما تكرر، يصرف النظر عن العدد، فإله تعالى ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾⁽¹⁾، والتواب هو مجددُ التوبة أو مكررها.

1 - [البقرة: 222].

مسألة على هامش السؤال: لا يسمح في الطريقة للمريد بأن يحكم لنفسه أو عليها، فلا يقول مثلاً: أنا صرت ثابت اليقين أو الإيمان في كذا. أو يقول: أنا مذهب عاصي لا فائدة ترجى من إصلاحه.

كل أنواع الحكم على النفس أو على الآخرين غير مسموحة في الطريقة، فالحكم كله الحكم لله تعالى وحده، هو الحكم الذي يفصل في أنفس عباده يوم القيامة.

انتبهوا: الحكم على النفس شيء، والحكم على العمل شيء آخر. يُسمح للمريد أن يحكم على عمله فيقول: هذا العمل خطأ، أو مذموم، أو سيء، أو ما شابه، ولكن لا يسمح أن يحكم على نفسه أنها سيئة أو شيطانة أو ما شابه.

الذي يحكم على النفس الخبير بالأنفس فقط، وهذا الخبير: في الآخرة الله تعالى، وفي الدنيا أستاذ الطريقة، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽¹⁾، والوارث المحمدي يقوم بهذا الأمر مقام النبي ﷺ. فما دام شيخ الطريقة لم يصرح بالقول على نفس من الأنفس بقول قاطع، فلا يحق لأحد أن يحكم على نفسه أو غيره.

لدينا في القرآن الكريم مثال عن خطورة الحكم على النفس وكيف أن اقتترانه بالتصريح يكون كاشفاً عن العقابة الأخروية وهو مثال (أبو لهب)، فقد نزلت فيه وفي امرأته سورة كاملة، جرى فيها الكشف عن عقابة هاتين النفسين وأنهما سوف يُصليان ناراً ذات لهب.

إذا لم يكن التصريح بهذه الكيفية، الآتية بنص صريح من الوحي، فلا يحق الحكم على النفس أو أنفس الآخرين بالسوء أو الحسن، إذ الحكم بأن العقابة للنفس مضمونة من التزكية التي منعها الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾⁽²⁾.

المرض للنفس وارد فمثلها في ذلك كمثل الجسم، ولكن تشخيص

1 - [الأحزاب: 6].

2 - [النساء: 49].

المرض والعلاج ينبغي اللجوء فيه إلى الأطباء بهدف الحصول على الأدوية المناسبة.

يعني: يُسَمَّحُ بالحالة المرضيَّة للنفس إذا مرضت، بل في الطريقة علم كامل يسمى (علم أمراض الدروشة)، ولكن لا يسمح بالحكم عليها، والفرق: أن تشخيص المرض يعني تشخيص الدواء وقابلية العلاج في الدنيا. أما الحكم على النفس فمعناها إعطاء حكم آخروي على النفس وهذا ليس إلا للحكم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾⁽¹⁾.

* * *

الرسالة التي أردت إيصالها في هذا الاستطراد الملحق بالسؤال، هو أن يتسع وعي المرشد، ليفرق بين أمرين: الأمر الأول: أن يفرق بين تشخيص مرض في النفس وبين الحكم على النفس.

الأمر الثاني: أن يفرق بين الحكم على العمل وبين الحكم على النفس. كلما حكم المريد على نفسه أو أنفيس الدراويش أو الناس عموماً، كلما أدخل نفسه في ظلمة، وبالتكرار تصير ظلمات، وسوف يتوجب عليه الخروج منها إلى النور.

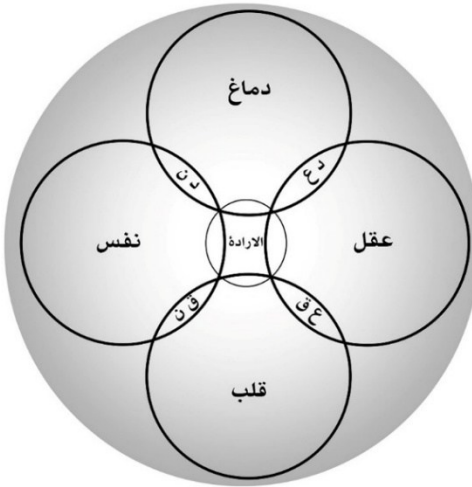


س204: هل يوجد فرق بين طلب الإرادة بالعقل وطلبها بالقلب، أم أنهما يتحدان في توجه واحد عند عقد المرشد نيته وذهابه إلى الذكر قاصداً طلب إرادة الإرشاد؟

ج: هذا السؤال يغوص في عمق الجانب الروحي، وهو من مختصات علوم أهل الطريقة وعلمائها، وقد نشرت كتاباً بعنوان (وما أدراك ما الخمس المثاني!) وضحت فيه الأسس والقواعد والقوانين الخاصة بذلك الجانب. ولأن هذه الدورة عامة غير متخصصة سوف أختصر

1 - [الأنعام: 57].

الإجابة بالقدر الذي يسمح لبقية الطلاب الاستفادة منه مع السائل. الإرادة ليست نابعة من العقل أو من القلب، بل هي مَلَكَة مستقلة في الروح شأنها شأن العقل المستقل والقلب المستقل والنفوس المستقلة. مثل هذه الملكات الباطنة كمثال: الدماغ والكبد والأمعاء وباقي الأعضاء الحيوية، كل عضو من هذه الأعضاء مستقل بنفسه، لكنّه استقلالٌ غير مطلق، هو استقلال جزئي وذلك لأن الأعضاء متصلة مع بعضها ويؤثر عمل كلّ منهما بعمل بقية الأعضاء. الملكات الباطنة كذلك مستقلة جزئياً وهي تتواصل مع بعضها وفق آلية باطنية نصلح على تسميتها (التشابك).



يعني: الإرادة مستقلة عن القلب والعقل، لكنها تتشابك مع كلّ منهما بمقدار محدود جداً، كما يتبين من الصورة التوضيحية المرفقة أدناه: وفقاً لذلك: العقل لا يملك إرادة ذاتية، وكذلك القلب، بل إرادتهما آتية من تشابك الإرادة معهما. وبسبب التشابك الجزئي، فإن جزئية الإرادة في العقل تتميز

بخصوصية عقلية. وكذلك جزئية الإرادة في القلب، تتميز بخصوصية قلبية. وبالمثل جزئية الإرادة في النفس متميزة بخصوصية نفسية. جزئيات الإرادة المتشابكة تتلون بلون المحل الذي تتشابك معه، وبالتالي تحمل صبغته وخصائصه.

لذلك نستطيع أن نميّز فينا إرادة عقلية آتية من التفكير المنطقي، وإرادة نفسية آتية من الشهوة الغريزية، وإرادة قلبية آتية من الإيمان الغيبي. كل هذه الجزئيات شيء، والإرادة نفسها شيء آخر. فهي الأصل

الممد لهذه الجزئيات، ومثل ذلك كمثّل الحواس الخمسة وارتباطها بالدماع، فالعين متخصصةٌ في الإبصار لكنها لا تبصر بذاتها بل بالدماع، والأذن متخصصةٌ بالسماع لكنها لا تسمع بذاتها بل بالدماع. ولو قرر الدماغ أن يسيطر على الحواس لفعل.

فعلى سبيل المثال بعض الحالات المرضية تكون العين سليمة بيولوجياً ولكن الشخص لا يُبصر. وتسمى هذه الحالة طبياً (Cortical Blindness بالعمى القشري).

لن أتوسع أكثر كي لا ندخل في التعقيد، ولنربط ما تقدم بدرسنا:

حين استمعتم إلى درسي، قرر بعضكم أن يطبق ما تعلم، وهو أن يذهب إلى التكية لطلب الإرادة، فبأي شيء تم هذا القرار؟ ثم أليس هذا القرار إرادة؟

الجواب: نعم هو إرادة وتم في جزئية التشابك بين (الإرادة والعقل) كما في الصورة، يعني العقل، اقتنع بمنطق الدرس (لأن العقل كتلةٌ منطقيةٌ كما ذكرنا)، ومن جهة ثانية النفس شعرت بأن لها منفعة باطنية من هذا الأمر ففعلت جزئية الإرادة الخاصة بها. والقلب حين تفعلت هاتين الإرادتين الجزئيتين (عن يمينه وشماله) حصل فيه اطمئنان لأن هذه الإرادات تتواءم مع الحق الذي يعرفه ويراه.

كل ذلك، شكل في الوعي فكرة (القرار) بالذهاب للتكية لطلب الإرادة. يعني الإرادات الجزئية اشتركت في اتخاذ قرار بطلب المزيد من قوة الإرادة من مصدرها الأم باستخدام وسيلة الذكر واللجوء إلى مشايخ الطريقة الذي لهم تأثير على إحداث تلك الزيادة المأمولة.

إن حدثت الاستجابة من شيخ الطريقة (أو أحد مشايخها)، فإنَّ كمّاً من نور يبعث إلى مقر الإرادة المركزية في الإنسان، وهذا الكم المضاف من النور يُبعد ظلمات حاجبة لقوة الإرادة، وإبعاد تلك الظلمات عن مقر الإرادة في ذات الإنسان، فإنَّ أثر ذلك ينتقل إلى الأجزاء المتشابكة في كلّ من العقل والقلب والنفس، وتأثير ذلك يكون:

العقل يجد في نفسه من داخله رؤيةً أعمق لبركة الإرشاد وعجائبه لم يكن يراها فيه من قبل.

بالتزامن مع ذلك، النفس تشعر بلذاتٍ روحية كانت محجوبة عنها قبل هذا التنوير.

وبالتزامن أيضاً فإن القلب يتنور بإرادة الزيادة في ثلاثة جوانب: يجذب المريد لطلب المزيد من الذكر ليزداد الاطمئنان، فيجد المريد نفسه عطشاً للحلقات والأوراد.

يدعم العقل في توجُّههِ للخروج للإرشاد فينبسط إذا فكر المريد بالأمر وينقبض إذا فكر بالتشاغل عنه.

يمنح النفس مباركته بالنشوة الروحية، ويتفاعل معها ليرتقي بها لزيادة محبة أستاذ الطريقة إلى الرسول الأعظم ﷺ إلى الله تعالى من جهة. ومحبة الناس والعالمين من جهة أخرى.

إذاً، نحن أمام عملية ديناميكية أو دينامية معقدة تحدث في داخل كل مريد بحسبه ونسبٍ متفاوتةٍ دون أن يعي ماذا يحصل، وهي أمور معقدة لكنها علمية ومحسوبة بدقة متناهية لأن ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾⁽¹⁾.

* * *

أعلم أن هذه التفاصيل مُربكة لكثيرين منكم، لذا أقول: أنتم غير مطالبين بها (يعني ليست فرض عين). ومن جانب آخر هذه المعلومات، لبعضكم الآخر مهمة جداً، إذ يرى رقيه في التعمق بها.

لذا أقول: الناس ألوان، وكل لون مُيسَّر لما خُلِقَ له. فمن لم يجد ضالته فيها، فليدعها، ومن وجد شيء فيها وضاعت عليه أشياء، فإن له قدماً في هذا العلم، لربما يستكملها مستقبلاً، وأما من وجد ضالته ولكنها ليست بكافية، فهذا الذي قد نُورَ له مشايخ الطريقة سبيلاً، وأهدوه دفعة.... ولا أزيد.



س205: هل تُعدّ الإرادة التي تفضّلتم ببيانها في المحاضرة هي ذاتها الإرادة المستخدمة في تحقيق الأهداف الدنيويّة، كالإرادة المعتمدة في مجالات مثل الرياضة، أم أنّ هناك فرقاً في المفهوم والدلالة بينهما؟

ج: بداية عليّ القول: هذا سؤالٌ واع جداً، عملي، منظم بأقصى درجات التنظيم وفق أصول (فن السؤال) لا أعرف كيف أشكر كاتبه. وأجمل ما في الأمر فإنّ هذا السؤال قد جاء بعد السؤال السابق، لذا سوف نستعين بالسابق للتوضيح الحالي.

والجواب - باختصار - هو: هناك فرق رئيسي وحيد بينهما. بالنسبة للإرادة في المجال الدنيوي، هي قائمة في الجزئيات المتشابهة في العقل والنفس فقط، ولا أثر لجزئية الإرادة القلبية بشأنها. يعني: في الأعمال الدنيويّة (الناس العادية) تسير وفق جزئية الإرادة المتشابهة مع العقل وجزئيتها مع النفس فقط. أمّا في الأعمال الأخرويّة أو الإيمانيّة فيحصل تفعيل لجزئية إرادة القلب. بالنسبة للفرق بين عمل المدرب في إرادة الرياضي وعمل شيخ الطريقة في إرادة الدرويش.

عمل المدرب مهما كان، وكيف كان لا يزيد عن تحفيز الإرادة الجزئية في العقل والنفس للرياضي بحيث يستنهض كافة طاقاتها الكامنة، للانتقال من مستوى الهواية إلى مستوى الاحتراف.

الرياضيّون الهواة، أناس إرادتهم غير تقليدية، لهم شغف وعزيمة فيما يهوون، وعقلهم يُنفق نسبة كبيرة من طاقته في تنظيم هرموناتهم بحيث تدعم عضلاتهم لتحقيق طموحاتهم. وما ينقصهم الضغط على النفس لاستنهاض كامل القوة الكامنة في تلك الجزئيات من قبل المدرب. فيعمل المدرب مع الهاوي إلى أن يتمّ تفعيل كامل إرادته الجزئية بحيث لا يكون هناك مزيد، فإن كانت إرادته كافية ليكون مميزاً وصالحاً للاحتراف، نُقل إلى الاحتراف وصار العمل يركز على الاستمرار والثبات مع تطوير الخطط والاستراتيجيات التي تساعد للتغلب على المنافسين، وليس على

تفعيل الإرادة الجزئية -لأنّها فُعِّلَتْ بالفعل-. وفي جميع ذلك، دور المدرب، موضوعي، وذاتُ المريدٍ مستقلّةٌ منفصلةٌ كلياً عن المدرب. أما في الطريقة فالأمر مختلف في هذه النقطة، فشيخ الطريقة يتجاوز الحث والتشجيع وإعطاء الأوراد (وهي بمثابة الخطط والاستراتيجيات) إلى التدخل الروحي في باطن الدرويش نفسه، حيث ينتقل نور خاص من باطن الشيخ إلى باطن المريد ليحدث أثراً زائداً فيه.

أين يقع تأثير نور الشيخ؟ هل في مركز الإرادة أم في جزئية الإرادة العقلية أو القلبية أو النفسية؟

الإجابة تعتمد على سلوك المريد، فإن كان سلوكه يقتضي حالاً، أي يستحق أن يحصل على حال، فالنور يقع في الجزئيات ويكون مؤقتاً.

وأما إن كان سلوكه الصوفي قد تراكم بحيث صار كمّاً كافياً يستحق معه المقام، فإن النور يقع في مركز إرادة الذاتية للمريد.

ما الفرق؟ الفرق أنَّ الحال يحول أو يزول أمّا المقام فيبقى دائماً وأبداً في باطنه لا يزول ولا يحول.

المدرب لا ينقل إلى باطن الرياضي شيئاً من حال فضلاً عن المقام.

أما شيخ الطريقة فينقل لباطنه الأحوال ويزرع في المقامات.

يتضح الفرق في: أن الرياضي مهما اكتسب من المدرب خبرة فلا يأتيه من خارج روحه شيء متعلق بإرادته.

أما في الطريقة، فإن المريد يحصل على إرادة مفارقة، جديدة، ليست من طبيعته التكوينية الأصلية، فعنصره الروحي يتطور ويصير غير ما عليه منذ ولادته.

نحن هنا لا نتحدث عن (الكم) بل (الكيف). ولنضرب مثلاً يوضح هذا الأمر أكثر:

شخص نشأ في بيئة عربية، من الطبيعي أن تكون لغته عربية، يذهب للمدرسة فيُعلِّمُوه القواعد ومزيداً من المفردات، فهذا تطور

في (الكم) أي كمية اللغة نفسها، ولو أنه درس كل معاجم اللغة والبلاغة والصرف والبديع والبيان والمعاني فضلاً عن النحو وغيرها، فكل ذلك لا يزيده إلا (كمّاً) في اللغة نفسها.

الآن لتخيل أنه -وبطريقة ما- صار يفهم لغة أخرى، ويتعامل معها كما يتعامل مع لغته الأصلية، ولا يعلم كيف يفهمها، وكيف ينطق بها، فهذا المستوى من الزيادة يسمى زيادة في (الكيف) وليس (الكم)، يعني نوعاً جديداً حصلَ عندهُ من خارج مكنته الذاتية الأصلية.

في الحقيقة هذا ما حصل في تنزيل القرآن الكريم لحضرة الرسول الأعظم ﷺ.

لغة القرآن ليست لغة العرب، هي لسانٌ مستقلٌّ، حار فيها البلغاء وفطاحل اللغة وجهابذتها في زمنه، ولم يجدوا لها تصنيفاً. الألفاظ عربية لكن الصياغة، ليست بشعر ولا نثر، بل حالةٌ ثالثةٌ مستقلةٌ كما حقّقها عميد الأدب العربي (طه حسين) في رسالته.

هذا النطق الذي أتى به حضرة الرسول الأعظم ﷺ ليس من نفسه، بل أمر زائد أضيف إليه من ربه، وبالتالي فهذا تطور في (الكيف) وليس في (الكم).

وفق هذا المنطق نفرق بين التربية والتعليم العاديين في جميع أمور الدنيا، وبين التربية والتعليم الصوفي.

في الأول الزيادة في (الكم) وفي الثاني الزيادة في (الكيف).



س206: دكتور، إذا كان تحقق المريد بالإرادة يكون بطلب المدد لها من حضرة الشيخ (قدس الله سره العزيز)، وليس بالاعتماد على الدفعة، فكيف يمكن للمريد عملياً أن يثبت على هذا الطلب، بحيث ينتقل فعلاً من إرادة الهوى إلى إرادة الهدى، دون أن يقع في توهم تحقق الإرادة بسبب أثر الدفعة فقط؟

ج: الواقع هو البرهان الأقوى للتمييز بين (الحق والوهم).

مريد يتوهم إنّه عنده ثبات في الإرادة، كيف يعرف أنه يتوهم؟

الجواب: إذا لم يكن يفكر بالإرشاد مثل تفكيره بأي شهوة عادية -مثل تفكيره بتأمين مستقبل عائلته- فإن ظن بأنه صاحب إرادة ثابتة وأنه تجاوز الدفعة عبارة عن (وهم).

صاحب الإرادة الحقة لا يتكلف التفكير، لا يستحضره، بل التفكير في الإرشاد يحضر فيه من ذاته، لا يملك صدّه أو ردّه.

جميعنا يمر بحالة، يأتي فيها إلى النوم، فتحضره أفكار لا يعرف من أين، ويريد أن يطردها لينام لأن عليه أن ينهض باكراً إلى عمله، لكنها لا تندفع، وعبثاً يحاول معها، فإن استجاب لها تستمر، وإن طردها تستمر، هذه الحالة تسمى طبيياً (الإثارة المعرفية الليلية Sleep-Onset Cognitive Arousal).

شبيه بهذه الحالة، وليس مطابقاً لها، بل شبيه بها يكون صاحب (الإرادة الحقة) هو لا يتكلف ولا يوهم نفسه بالحكم، بل إرادة الإرشاد قائمة فيه، مثل طالب الامتحانات في البكلوريا، يأكل وهو يفكر بالامتحانات، يضحك مع أصدقائه وباطنه مهموم بالامتحان، وفي جميع حركاته وسكناته.

الطالب الاعتيادي، يفكر في الامتحان ليلة الامتحان أو قبل يوم، وحين يدرس، أما حين لا يدرس فلا يأخذ حيزاً من حياته. طالب البكالوريا، في حالة تلازم بين حياته وامتحانه.

هذا هو الواقع الكاشف للدرويش بين (مقام الإرادة) وبين (حال الإرادة- الدفعة).



س207: بعد ما تمّ بيانه في الدرس من أنّ المريد هو من يقَع فيه فعلُ الإرادة بعد طلبها، فهل يُفهم من ذلك أنّ المريد في الحقيقة «مراد» (أي مطلوب)، بمعنى أنّ إرادته لا تتحرّك إلا بإرادة سابقة من الله تعالى؟

ج: هذا السؤال يتضمن مبحثين جدليين، وقع فيهما لبس كبير بين المتكلمين والفقهاء والأصوليين والمُفسرين وحتى عدد من الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين. وهما مبحث: (الفرق بين المريد والمراد) ومبحث (الإرادة السابقة لله تعالى).

أما المبحث الثاني، فلن أتطرق له، لُبَّعه عن مجال الدورة، ولجدليته الكلامية المعقدة التي تقتضي بسط حجج وبيان تهافتها، ثمّ الاتيان بما هو أصح في الطريقة. وأما المبحث الأول فسوف نتجنب بعض التعقيدات فيه لنبقى الأمور يسيرة واضحة. فنقول:

كل شيء خلقه الله تعالى هو مُراد له سبحانه وتعالى، بنسبة أو درجة أو شأن ما، إذ لو لم يكن مراداً بالأساس، لم يكن أصلاً. أي لم يتكون. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾⁽¹⁾. قبل خلق البشر بمليارات الأعوام، ربما 13.8 مليار عام تقريباً حسب المقياس العلمي المعاصر، وبالتحديد حين انتهت عملية فتق السماء عن الأرض بعد أن كانتا رتقا ﴿--السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁽²⁾، في ذلك التوقيت ﴿ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾⁽³⁾.

لاحظ هنا، لماذا قال لهما (ائتيا)؟ الجواب: لأنهما كانتا مرادتان. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾⁽⁴⁾، فإرادته تعالى أن يعبداه الجميع قبل خلقهم، الأمر الذي يعني: إن كل شيء مراد سلفاً.

1 - [النحل: 40].

2 - [الأنبياء: 30].

3 - [فصلت: 11].

4 - [الذاريات: 56].

هذه الإرادة عامّة شموليّة، تنطبق على كل شيء. ثمّ، تأتي الاستجابة بحسب القوابل للجمادات والكائنات غير الواعية، وبحسب الاختيار الحر للكائنات الواعية مثل الجن والأنس. عندما يريد الكائن الواعي الحر، ما يريده الله، يُسمى مطيع. وعندما يريد الكائن الواعي الحر، ما لا يريده الله تعالى، يسمى عاصياً. وفق هذا المنطق نفهم ما روي على لسان الشيخ أبو يزيد البسطامي (قدس سره) حين قال: "غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدّمت معرفتي، وحبه سبق حبي، وطلبه لي أولاً حتى طلبته". الغلط هنا، أن يتوهم الدرويش أنه هو الأصل الذي منه الابتداء، والحق، أنه راجع إلى الله تعالى في كل شيء، ومن ذلك موضوع الإرادة وللمزيد نقول:

يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽¹⁾. فإن أراد الانسان لنفسه اليسر فقد أراد ما سبق أن أراده الله له. وإن أراد لنفسه العسر فقد أراد خلاف ما سبق أن أراده الله. فما دور سبق الإرادة هنا؟ الجواب: لا شيء. إذن، حين تتحرك إرادة الدرويش لشيء فلأنه هو قد اختار ذلك، إلا أنها ليست بخارجه عمّا سبق أن أراده الله بل تقع ضمنها. مثال على ذلك: تريد أن تزوّج ابنك من فتاة تراها أنت مناسبة جداً له. فتعرضها عليه، وما إن يراها حتى ينبض قلبه بحبها من النظرة الأولى. والسؤال هنا: هل تزوجها ابنك لأن إرادتك سبقت، أم لأنه وقع في حبها؟

الجواب -حسب منطق هذا الفرض- هو إنه تزوجها لأنه أرادها لا بمجرد أنك أردتها له، وكان بالإمكان أن يرفضها لو لم يحبها، أو لم تعجبه.

1 - [البقرة: 185].

سبق الإرادة الإلهية ليس فيه ترجيح أو تفضيل لإرادة مريد على سواه، بل الجميع هم مرادون لله تعالى على حد سواء في ميزان عدل يضع كل شيء في موضعه الأتم له.

* * *

يمكن إيجاز ما تقدم في النقاط الآتية:

يمكن تعريف الإرادة باختصار على أنها: القصد والاختيار.

تنقسم الإرادة الإلهية إلى نوعين:

إرادة تكوينية: تتعلق بسنن الكون وخلق الأشياء.

إرادة تشريعية: وهي ما يحبه الله ويرضاه من عبادته، لكنه لا يجبرهم عليه، مما يفتح المجال لحرية الإرادة الإنسانية.

يمتلك الإنسان إرادة حرة (نسبية) تخرجه من دائرة التسيير الكلي، فالله شاء للإنسان أن يكون مريداً، أي منحه القدرة على (القصد والاختيار) بين الخير والشر.

يقترن امتلاك الإنسان للإرادة بالمسؤولية، إذ لو لم يكن حراً في قصده واختياره، لم يكن مسؤولاً عن أفعاله، وبالتالي يسقط في حقه الثواب والعقاب.

لا تأثير يسبق الإرادة الإلهية على ما يريده الإنسان سلباً أو إيجاباً.
لا شيء إلا وهو مُرادٌ لله.

* * *

كان ما تقدم نقاشنا وفقاً لمنطق الفكر التقليدي والموقف منه، والآن لنختتم، برؤية حضرة السلطان (قدس سره) بشأن مصطلح (المراد).

لا يرى حضرة السلطان (قدس سره) المكرم من مُرادٍ في الوجود إلا الله تعالى، وقد وضع مشايخ الطريقة ختمة كاملة خاصة بهذا الخصوص، وهي: (لا مراد إلا الله بعدد 100 ألف مرة).

يعني: (المراد) الحقيقي هو الله تعالى نفسه، والمريد هو الذي يريد الله

تعالى، وهو الذي يريد أي شيء من حوله لا يرى فيه وجه الله تعالى. يقول حضرة الشيخ الجنيد البغدادي (قدس سره): "أنا منذ ثلاثين عاماً أكلم الله ويحسب الناس أنني أكلهم"، فمراد الشيخ من كلامه مع الناس هو الله، حين يرفع الشيخ إبراهيم ابن ادهم في كفيه غرفة ماء ما ليشرب، ويرى فيها أن الله تعالى يسقيه ليتقوى على القيام به لخدمته، فهؤلاء القوم (مرادهم) الوحيد ربهم، لذا صاروا يستشعرون حضوره في كل شيء يَرَوْهُ أو يلمسوه. إذًا، فلنصح مفهوم (المراد) وفقاً لمنطق أساتذة طريقتنا، فيكون المراد الوحيد هو الله، كل شيء سواه (مريد).



س208: ذكرتم في المحاضرات السابقة أنَّ المرشد يعمل بالصَّلوات على حضرة النبي ﷺ مع نية الإرشاد والمراقبة مع حضرة الشيخ (قدس الله سرّه العزيز)، ثم يخرج للإرشاد. فهل يمكن اعتبار ما سبق أدواتٍ لتحصيل "الدفعة" في سياق الإرشاد؟

ج: الدفعة أمر متوقّف على شيخ الطريقة، لا تأتي بعمل أو طلب. أما الذي ذكرته فهو القيام باجراءات (التوكل)، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.



س209: ذَكَرَ في الدرس: «رجالٌ إذا أرادوا أراد الله». فهل يُمكن للمريد أن ينال من هذه المرتبة في الإرادة، أم يحصل على نصيب منها، أم أنها تختص بالمشايخ (قدست أسرارهم) دون غيرهم؟

ج: لا إرادة خاصة في الطريقة الكسنزانية، بل كل شيء متاح للجميع على حد سواء للذكور والأناث، إلا (سجادة المشيخة) فهي توريث وتعيين إلهي محمدي اصطفائي خاص. سوى ذلك: الأمر كلُّ الأمر متعلق بالتقوى (الإيمان والعمل الواعي الجاد).

الإرادة درجات، وكل درجة تتطلب مؤهلات.

الذي يريد شهادة الابتدائية ليس مثل الذي يريد شهادة الدكتوراة، لهذا متطلباتها ولتلك مقتضياتها. والسلامة في رسم الأهداف القوية البعيدة والعمل التدريجي للوصول إليها.

لا يوجد في الكسنزانبي (حرق مراحل) أو قفزات عشوائية، بل ترقّ تدريجيّ (بعرق الجبين).

ضع أبعد هدف تريد الوصول إليه أمام عينيك، ثم اشتغل على ما يكملك في هذه المرحلة، فإن تجاوزتها، انتقل إلى المرحلة التي تليها وهكذا إلى أن تصل إلى هدفك النهائي الذي رسمته لنفسك.

إذا لم تُرد لنفسك، فمن يرد لك؟

إذا لم تعمل لنفسك، فمن يعمل لك؟

إذا لم تُقدّم لنفسك، فمن يقدم لك؟

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾.



س210: ذكرتم أنّ قوّة الإرادة تأتي من اللجوء إلى حلقات الذكر ومجالس السماع، فهل لهذا اللجوء أثرٌ أيضاً في تثبيتها واستمرارها؟ أم أنّ الثبات يُكتسب من عوامل أخرى مثل بركة الإرشاد أو الدعاء؟

ج: الثبات من النتائج وليس المقدمات.

المقدمات قائمة بأفعال الإيمان، مثل: اللجوء إلى حلقات الذكر والسماع.

النتائج قائمة بالأعمال الصالحة، مثل: الإرشاد والإنفاق في سبيل الله.

إذا أردت أن تثبت أمراً من أمور الدروشة (الطريقة الكسنزانبي) فعليك:

أن تلتمس أفعال الإيمان الخاصة بما تريد تثبيته (لأن الجزء من جنس العمل).

ثم ابدأ بالعمل الصالح المجانس لأفعال الإيمان تلك، وتواظب حتى يأتيك التثبيت.

مثال: لنفترض أنك تريد التثبيت في باب (المنفقين)، فعليك:

أن تلجأ إلى حلقات الذكر والسماع طلباً لمنحك همة الإنفاق في السر والعلن، وفي السراء والضراء وحين البأس. بهذا الإجراء أنت تفتح باطنك لقوة روحية تأتيك لتدفعك أو تعينك على الاستقامة فيما أردت.

أن تباشر عملياً بالإنفاق، وذلك أن تخصص حقاً معلوماً من مالك، ومن علمك، ومن موهبتك، لتعطيها للآخرين في سبيل الله، بدون انتظار جزاء أو شكر.

أن تواظب على الإجرائين، بالتتابع، فتحضر الحلقة مساء الاثنين لتستمد، وتبشّر العمل صباح الثلاثاء إلى الخميس، لتحضر الحلقة كي تجدد الاستمداد، وتبشّر العمل صباح الجمعة إلى يوم الاثنين. هذه هي دورة (الإيمان والعمل الصالح) الروحية الكاملة.

إن حافظت عليها يأتيك التثبيت.

الأمر نفسه يُطبّق إذا أردت أن تحصل على التثبيت في الإرشاد أو أي شيء آخر. إذ عليك أن تراعي المجانسة بين (فعل الإيمان والعمل الصالح).

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ⁽¹⁾﴾، لاحظ الإنفاق في الآية الكريمة وهو (عمل صالح) جاء مقترناً بـ (فعل إيمان) وهو ابتغاء مرضاة الله.

1 - [البقرة: 265].

لاحظ المجانسة بين طلب الرضوان مقابل الإنفاق، هكذا أرشدنا التنزيل الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽¹⁾، فلماذا يعطيك ربك؟ لأنك أعطيت أولاً، كان جزاءك من جنس عملك، أي يعطيك. وكم يريد العبد من عطاء الرب؟ يريد عطاءً كبيراً أو كثيراً أو عظيماً إلى درجة أنه يرضى عنه. ومن هنا تجد اقتران الإنفاق بمرضاة الله. فإن أعطيت الإنفاق حقه، نلت تثبيت النفس في مرضات الله.

التثبيت: تحصيل لازم، يعني إن عملت بذلك، فالتثبيت آت لا محالة.

السؤال هنا: كيف تعرف أن التثبيت قد أتاك؟

الجواب: إذا صار الأمر جزءاً لا يتجزأ من حياتك العادية، أي صرت مدمناً عليه.

أرأيت الذي يُدخل السجائر، ويحاول تركها كيف يعجز عن ذلك؟ هذا لأنه ثبت فيها وصار مدمناً.

تعرف نفسك أنك حصلت على التثبيت إذا أردت الترك ولم تستطع مهما حاولت.

أغلب الدراويش تعرّضوا لشتى صنوف المعارضة والممانعة من أهليهم أو المقربين منهم من غير المؤمنين بالطريقة، بل وبعض الدراويش هو بنفسه حاول ترك الإرتباط الروحي بالطريقة وشيخها ولم يستطع، لماذا؟ على ماذا يدل ذلك؟ يدل على أن تثبيته حصل.

إذاً، التثبيت قد يأتي من التكامل بين الدعاء (فعل إيمان) والإرشاد (عمل صالح) إذا تحققت شروط التكرار كما بينها بالتفصيل.

* * *

استكمالاً للإجابة لابد أن أقول:

واحدة من أعظم وسائل تثبيت المرشد في الإرشاد، هو مساعدته للآخرين على أن يرشدوا ويثبتوا في الإرشاد.

1 - [الضحى: 5].

خذوا على سبيل المثال الذي أقوم به معكم، ما الذي أستهدفُ منه في هذا السياق؟

استهدف أن يثبت بعضكم في الإرشاد، فإن ثبتوا، أعانني ذلك على ثباتي أنا، وهكذا إن قامَ كلُّ منكم بمساعدة آخرين على الثبات على الإرشاد، فإن ذلك يسهم في تثبيتهم.



س211: ذكرتم في الفقرة الخامسة من الدرس الثامن مفهوم «رخصة العمل في الآخرة». فهل يفهم من ذلك أن من يكتسب إرادة الإرشاد في الدنيا يمارس الإرشاد في الآخرة كنتيجة طبيعية لاكتسابه تلك الإرادة، أم أن ذلك يحتاج إلى تكليف مستقل؟

ج: فلنكن واضحين، كثرَ هم الذين يحصلون على رخصة الإرشاد ولا يعملون بها إلا قليلاً، فالرخصة بحد ذاتها ليست بشيء.

الذي عليه الاعتماد هو تطبيق مبدأ (الدنيا مزرعة الآخرة) السلطاني. يعني: أن يبتغي المرشد من إرشاده في الدنيا أن يكون مرشداً في الآخرة أيضاً، ولا ينسى نصيبه من الدنيا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾.

إذا كانت كميّة الإرشاد (العمل الصالح) مقترنة بالابتغاء المناسب (فعل الإيمان) كافية للتأهل لذلك، يحصل المريد على رخصة الإرشاد في الآخرة.

ليست مجرد أمنية أو دعاء، بل إرادة.

ماذا بشأن الذين لا يعلمون بهذه التفاصيل؟

إذا كانت عزيמתهم على الإرشاد قوية، فقد يتم تأهيلهم في الآخرة لهذا الأمر بحيث يستكملون المتطلبات ويمضون فيه.

لذا، الأفضل أن يعرف المريد، ما له وما عليه هناك قبل أن يذهب.

1 - [القصص: 77].



س212: ذكرتم في محاضرةِ الدرسِ الثامن أنَّ الهدايةَ تثبَّتْ بالمشاركة، وأنَّ المرشدَ عند إعطاءِ البيعةِ عليه متابعةُ المرشدِ لتحقيقِ ثبوتِ البركة. وفي حال قيامِ المرشدِ بالإرشادِ دونَ امتلاكِ رخصةِ إعطاءِ البيعةِ، بينما يتولَّى الخليفةُ إعطاءَ البيعةِ، ويقومُ المرشدُ بمتابعةِ المريدين، فالى من تُنسبُ ثمرةُ التثبيتِ والهداية: إلى المرشدِ أم إلى الخليفةِ الذي أعطى البيعةَ؟

ج: الذي يعطي البيعةَ يأخذ أجرَ عمله المخصص لهذا العطاء. وأما الأثر الروحي المترتب على تربية المريد ومتابعته والاهتمام بسلوكه، فهو من نصيب فاعله، سواء أكان هذا الفاعل مجاز بإعطاء البيعة أو لم يكن.

من جهة ثانية: لو كنت غير مجازاً بإعطاء البيعة، وأرشدت أحدهم، وجلبته للتكية كي يعطيه الخليفة الطريقة، ويتولى رعايته والعناية بأموره الصوفية، فسيكون لك أجر الإرشاد، ومثل أجر عمل الذي أرشدته إلى آخر حياته، حتى ولو لم تكن أنت المربي له. في حين أن الخليفة المربي يكون له: أجر إعطاء البيعة ومثل أجر أعمال المريد الجديد وكذلك الأثر الروحي.

يعني: المريدين الجدد، يُكسبون الخلفاء والمرشدين والأدلاء واردات من عملهم بالأوراد. أي الخليفة أو المرشد أو المُدَلِّ، يحصل على الواردات الروحية من أوراده، ومن أوراد المرشدين.



س213: هل يجوزُ أن تتعدَّدَ الإرادةُ في الوقتِ نفسه، بحيثُ تكونُ للمريدِ أكثرُ من توجِّهِ إراديٍّ في آنٍ واحدٍ؟

ج: لا يوجد ما يمنع، وإن كان ذلك فيه علامة ابتداء، وقد تقدَّمتِ الإجابة عن ذلك في سؤال سابق فليُراجَع للمزيد.



س214: ذكرتُم في المحاضرة أنَّ المرشد إذا أراد تقوية إرادته فعليه اللجوء إلى حلقات الذكر ومجالس السماع بهدف محوريٍّ هو طلب الإرادة. فهل يمكن اعتبار ممارسة الضرب على الدف والطبلة محققةً للغاية ذاتها التي يحققها الذكر من حيث طلب الإرادة؟

ج: جميع القائمين على أعمال التكية، من عمال نظافة وطباخين وحراس ومساعدين وسواقين ومضيفين وكهربائيين ومصورين، فضلاً عن يضربون الدف والطبلة، كلهم بلا استثناء يقومون بـ (ذكر العمل)، وهو الأعظم عند مشايخ الطريقة، والمسألة متوقفة على أيٍّ واحدٍ منهم، فإن أراد بعمله، ما يريده الذاكر في حلقة الذكر، كان له ما لُذَّك وأكثَر.

يوماً ما كان أحد حراس التكية يقوم بواجبه في الحراسة أثناء حلقة الذكر، وخلال حراسته رفَّ قلبه لحلقة الذكر، وقد أشتدت حرارة الذكر وعلت أصوات الذاكرين والأحوال بطريقة استثنائية وكأن فيضاً عظيماً من نور أو بركة هطلت عليهم. فرفع رأسه من وراء الحائط ونظر إليهم وقال في نفسه: (مبارك عليكم يا أهل حلقة الذكر، لوددت أن أكون معكم الآن).

ثم لما جلسوا للسماع، كررت حالة الحضور القوية جداً، فلم يتمالك نفسه، وبقي ينظر من الحائط لهم ويردد معهم، وظهره للطريق.

في لحظةٍ ما، لمح حصة الأستاذ (قدس سره)، فأشار إلى أحد إخوته الحاضرين، وأسرَّ له كلمات في إذنه أثناء مجلس السماع.

فمن فوره أتى المرسل إلى ذلك الحارس وقال له: حصة الشيخ يسلم عليك ويقول: "اهتم بواجبك واتقن حراسة الذاكرين، فكل واحد منهم حصته من البركة بقدره، إلا الحارس -أو العامل على خدمتهم- فيأخذ بقدر حصصهم جميعاً. فمثلما أخلصوا في عملهم، فاخلص أنت في عملك مثلهم".

إذاً، في الطريقة، كل ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾.



س215: من خلال فهمي للمحاضرة، تبين لي أَنَّ الإرادة تُفهم بوصفها إصرارًا على القيام بفعلٍ ما، غيرَ أَنَّ مشيئةَ الله سبحانه وتعالى سابقةٌ لكلِّ شيء. فهل توجدُ علاقةٌ بينَ الإرادةِ الإنسانيةِ ومشيةِ الله تعالى، وما طبيعَةُ هذه العلاقةِ من حيثُ التقدُّمُ والتأثير؟

ج: المشيئةُ متعلِّقةٌ بالأشياء الخارجة عن الذهن في الواقع الخارجي، وهي تخضع لقوانين الله تعالى الصارمة في الكون.

المشيئةُ الإلهية، هي الاحتمالات التي وضعها الله تعالى ضمن تلك القوانين.

المشيئةُ البشرية: هي الأفعال البشرية المنسجمة مع المشيئة الإلهية.

يستطيع الإنسان أن يشاء كل ما هو منفعل بالقوانين الكونية.

لا يستطيع الإنسان أن يشاء كل ما هو مخالف للقوانين الكونية.

وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽¹⁾.

مثال:

عباس ابن فرناس: شاءَ مشيئةً مخالفةً للقوانين الكونية وهو الطيران بأجنحة تشبه أجنحة الطير دون حساب لقوانين الجاذبية وتأثيرها الوزن وعلاقة ذلك بديناميكية الهواء.

الألماني ليلينثال: أول من شاءَ مشيئةً تنسجم مع مشيئة الله حين نفذ أول طيران شراعي عام 1891م. وذلك لأنه أجرى حسابات دقيقة بهذا الخصوص.

المشيئةُ الإنسانية المتعلِّقة بـ(الأشياء خارج الذهن) يجب أن تخضع لمشيئة الله في خلقه (القوانين الكونية) فإن لم تخضع لن تنجح ولا بأي شكلٍ من الأشكال.

نأتي على الإرادة..

الإرادة توجه وقصد باطني عند الإنسان، وله الحرية فيما يريد.

1 - [الإنسان: 30].

يستطيع الإنسان أن يريد ما لا يريده الله، فمثلاً: يستطيع أن يريد ظلم الناس مع إن الله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾⁽¹⁾.

لكنه لا يستطيع أن يشاء ما لا يشاء الله، كما بيّناه أعلاه.

السؤال كان عن العلاقة بينهما:

الإرادة إن كانت منسجمة مع المشيئة الإلهية أفلحت. وإن لم تكن كذلك فشلت وبطلت.

في علم التصوف: على المريد أن لا يريد إلا ما يسمح به شيخ الطريقة من إرادات تتوافق مع الطريقة، لأنّها إراداتٌ اختبرتها مشايخُ الطريقة وعلمت أنها لا تخالف المشيئة الإلهية في عالم الباطن، لذلك فهي آمنة ومتاحة، بل محبة.

على مشيئة المريد أن تكون من مشيئة الشيخ لأن مشيئة الشيخ من مشيئة الله.

وكل ما يريده المريد ضمن تلك المشيئة، منسجم مع الإرادة الإلهية غير مخالف لها.

بالنسبة للمريد هو لا يطبق آية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽²⁾، فقط بل يطبق قانون: وما تريدون إلا ما يريد الله أيضاً، فهو في الأمان والفلاح والنجاح.



س216: كيف يمكن للمريد التمييز بين صدق الإرادة لديه، وبين مجرد وهم الالتزام الذي قد يُنتج تكرار العمل دون حضور حقيقي في الباطن؟

ج: العمل الروتيني المكرر، ليس فيه إرادة حقة، ليس فيه حضور أو مراقبة أو تطور، هو مثل الجسم الميكانيكي بلا روح. فمن كان بهذه العلامات فهو يعمل كآلة بلا إرادة. وأما من كان صاحب إرادة، فهو يتقلب في الأحوال والمتغيرات، ويمر بالتجربة الروحية المطوّرة لشأنه في السلوك.

1 - [غافر: 31].

2 - [الإنسان: 30].



س217: دكتور، هل يمكن أن تتحقق الإرادة عند المرید دون أن يشعر بها شعورًا واضحًا ومباشرًا، أم أنّ الوعي والشعور بها يُعدّ شرطًا لوجودها أو دليلًا على تحققها؟

ج: قد يشعر المرید بتحقيق الإرادة في وقتها، وقد لا يشعر بها إلا بعد زمن قد يطول أو يقصر.

العلامة التي قد تساعد في اكتشاف ذلك هي: أنه إذا انصرف إلى إرادة أخرى من غير حول منه ولا قوة، فليُنظر هل إن انصرافه إلى الإرادة الجديدة أوقف تأثير السابقة أم لا تزال فعالة في أقواله وأفعاله. فإن كانت فعالة، فهذه علامة تحققه بها، وإن لم تكن كذلك، فعليه العودة لها لاحقًا عندما يحين الوقت المناسب لها.



س218: جاء في قول حضرة السلطان (قدّس سرّه العزيز) أنّ الأرواح المرشدة تُرشّد المؤمنين في عالم الأرواح. فهل يفهم من ذلك أنّ هذا الإرشاد يقتصر على عالم الأرواح دون تأثير في المؤمنين في الدنيا؟ وهل يُعدّ هذا النوع من الإرشاد خاصًا بمشايخ الطريقة (قدّست أسرارهم أجمعين) باعتبار استمرار دورهم الإرشادي في الدنيا والآخرة حتى بعد انتقالهم؟

ج: إرشاد الأرواح يقع على أهل الآخرة والدنيا على حد سواء، وهي ليست خاصة بالمشايخ بل بكل من جند نفسه لهذه الإرادة وسعى لها سعيها، وتأهل لها وأعطى الإجازة أو الترخيص بذلك.



س219: في الفقرة الثالثة من الدرس الثامن وردت عبارة: «فليُفرغ كلّ جهده وليبدّل أقصى طاقته في استظهار نور الذكر». فكيف يمكن تطبيق ذلك عمليًا في الواقع السلوكي للمريد؟

ج: استظهار نور الذكر يتم عن طريق أعمال العقل في العمل الظاهر، فعلى المرشد أن يدرس الآيات المناسبة للإرشاد وبعض الروايات، وأن يرتدي الملابس المحترمة اجتماعيًا، وأن يكون عضوًا صالحًا في

المجتمع، بحضور مناسباتهم بصدق ومحبة، وأن يشارك الناس في نشاطاتهم، فضلاً عن الأخلاق الراقية في التعامل سرّاً وعلانية. جميع هذه الأمور يستطيع المرشد أن يؤديها لأنه مُحمّل بقوة نور الذكر الروحية، وهي تساعد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الإرشاد الذي يبتغى به تحقيق الإرادة المرجوة. إذًا، داخل حلقة الذكر، نستبطن النور، أي نستحضره إلى بواطننا. وخارج حلقة الذكر نستظهره، أي نحضره إلى خارجنا في محيطنا بما نؤديه من أقوال وأفعال وأخلاق.



س220: تفضّلتُم في الدرس بالحديث عن أنّ الإرادة جهازٌ مستقلٌّ في الروح، وأنها حلقة مفاتيح الطريقة، كما ورد عن السلطان (قدّس سرّه) قوله: «نحن أهل المحاولة». فهل يفهم من ذلك أنّ هذا الجهاز الروحيّ ينعكس ظاهريّاً في صورة "المحاولة"، وبذلك يكون مختلفاً عن مفهوم النية من حيث الدلالة والوظيفة؟

ج: الفرق بين الإرادة والنية يتلخص في: أن النية تقوم بالقول الظاهر، في حين أن الإرادة تقوم بالتوجه الباطن المقترن بالعمل.

الفرق الأساسي بين النية والإرادة، إن النية تنطلق من منطقة التداخل بين الإرادة والعقل (انظر صورة الخمس المثاني). أما الإرادة فأوسع إذ هي تنطلق من الباطن المركزي، ولها تداخلات مع القلب والنفس والعقل.



س221: ورد في الدرس الثامن (الفقرة الخامسة: رخصة العمل في الآخرة) أَنَّ الآخرة لأهل الطريقة دارُ استكمالٍ للعمل والتقربِ إلى ما لا نهاية. فكيف يمكن فهم ذلك في ضوء ما قاله الرسول ﷺ: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له؟ وهل يمكن إدراج الإرشاد ضمن مفهوم العلم المنتفع به الوارد في الحديث؟

ج: تعمدت أن لا أصحح خطأ جوهرى في صياغة السؤال من أجل الفائدة للسائل وبقية الطلبة. وهو: عندما يذكر حديث نبوي شريف، يجب أن يُحترم ويوضع بين أقواس مناسبة، كما يجب صرف دقائق معدودة للحصول على نص الحديث الصحيح من الإنترنت، فالخلل في نقل الأحاديث اعتماداً على الذاكرة لا يقل في إثمه عن الخلل في كتابة الآية القرآنية بصورة غير دقيقة.

والجواب هو: بينا في إجابة سابقة أن الناس من حيث الموت قسمين: قسم يموتون وييقون ميتين (نائمين) إلى يوم القيامة، وهؤلاء الذين ينقطع عملهم من ثلاثة أشياء. والقسم الثاني لا يموتون، فلحظة إغماض العين تعقبها لحظة فتحها في العالم الآخر لينهض ويقوم بما عليه القيام به في عالم أحياء الدارين. وهذا القسم الثاني يأتيه وهو حيٌّ هناك من عمله النافع أو صدقته الجارية أو ولده الصالح الخيرات فينتفع بها مع عمله هو في عالم الأرواح.

الدرس التاسع المرشد وأسس علم التصوف

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المرشد وأسس علم التصوف

في علم تصوف الطريقة الكسنزانية، حدّد سلطان الطريقة أسس السير والسلوك المتسلسلة، ضمن إجراءات تربوية ثابتة ومنضبطة، تتفعل في المريد تلقائياً بقدر صدقه وسلوكه العملي في الطريق، وتتمثل هذه الأسس في:

١. البيعة أو اللمسة الروحية.

٢. الورد أو الذكر.

٣. المحبة.

٤. الطاعة.

٥. الفناء.

هذه الأسس الخمس، حلقات متداخلة، يبدأ بها المريد ظاهراً، ثم تتعمق في باطنه شيئاً فشيئاً، حتى ينتقل به من مجرد الانتساب إلى التحقق الروحي والسير الفعلي إلى الله تعالى. لندرس هذه الأسس الخمسة وفقاً لمنطق سلطان الطريقة وما قاله بشأنها:

الأساس الأول: البيعة أو اللمسة الروحية

هي الأساس الذي يتحقق عن طريقها الربط الروحي بين روح المريد وروح شيخ الطريقة إلى حضرة الرسول الأعظم ﷺ إلى الله تعالى. وهي التي بسببها يصير المريد مؤهلاً أن يأتيه الحال:

"الذي لا يأخذ البيعة، العهد، اللمسة الروحية من أين يأتيه الحال!"

ما الحال؟

"الحال نور وهو ثلاثة أنواع: حال من قوة الشيخ، وحال من نور الذكر والعبادة، وحال من حضرة الرسول ﷺ".

ما فائدة الحال؟

ينور باطن المريدي ليرى "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" كما في الرواية النبوية المطهرة.

ليرى الأمور الروحية، المريد لا يرى الدين والدنيا مثل الإنسان الاعتيادي، رؤيته مختلفة. فمثلاً: لا يرى العبادة أداءً واجباً ملزماً عليه أو مكرهاً وإلا سيعاقب، بل يراها وسيلةً للقرب والمحبة. ولا يرى الدنيا بمعزلٍ عن الآخرة، بل مترابطتان متكاملتان، وكما يؤكد حضرة السلطان: **"الدنيا مزرعة الآخرة"** فصاحب الحال مهما فعل هنا فهو في لحظة الفعل يرى الأثر في الجانب الآخر فوراً.

يقول السلطان (قدس سره): **"البيعة آخر منزلة من الدنيا وأول منزلة من منازل الآخرة"**.

كيف يصير المؤمن الاعتيادي بهذا الكيف المتطور روحياً؟
البداية من الربط الروحي، ويحدث عن طريق (اللمسة الروحية) أو البيعة.

إنَّ من خصائص البيعة الأساسية أنها تفتح الطريق أمام أنوار الأوراد. يقول حضرتهم: **"الأوراد كلها بإجازة من المشايخ، أنت جرب بأوراد غير مجازة من المشايخ، فإنك لن تستفيد منها شيئاً نهائياً"**.
البيعة إجازة بظهور خصائص الأوراد.

الأساس الثاني: بعدها يبدأ المريد الجديد بالأوراد والذكر

«الأوراد: هي عبارة عن أذكاء، بأعدادٍ محددة، وضعها مشايخ الطريقة بعد أن تَكشَّفت لهم أسرارها الروحية بفضل مكانتهم عند الله ﷻ، وعلمهم الرباني الذي أكرمهم به، ولهذه الأوراد فوائد عظيمة في تطهير قلب المريد من هوى النفس، وكل ما نهى عنه الله ﷻ ومساعدته في السير على درب الترقى الروحي الذي أخذ العهد على سلوكه»⁽¹⁾.

1 - الشيخ محمد الكسنزان، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار المحبة، (دمشق-بيروت)، ج21 ص414.

السير: يشير إلى التقدم في الطريق حالاً بعد حال، ومقاماً بعد مقام.
أما السلوك فيشير إلى المجاهدة العملية والالتزام بالأدب والذكر
والمراقبة والعمل، حتى يصير المريد أكثر صفاء ومعرفة بالله تعالى.

سؤال: لماذا يعطى المريد ورداً وذكراً كثيراً؟

يقول سلطانها (قدس سره الحاضر): "كثرة الذكر توصلك للحب،
أنت إذا أحببت شيئاً كان على لسانك وفي قلبك وفي تفكيرك دائماً. فإذا
أردت أن تُحب شيئاً أكثر من ذكره وأنت تريد حبه، ستحبه".

لدينا هنا معادلة في علم تصوف الطريقة الكسنزانية:

الذكر $\propto$ الحب

لكن لما كان الذكر قسمين: بحضور وبغفلة

فإن أثر الذكر بحضور يُفَعِّلُ خاصية الشعور المتشابك مع النفس
بالحب عند المريد (منطقة تشابك القلب والنفس) فيصير أثر الحب
ظاهراً عليه.

وإن أثر الذكر بغفلة لا يُفَعِّلُ خاصية الشعور المتشابك مع النفس
بالحب، فيصير أثر الحب باطنياً في النفس الباطنة أي لا يظهر عليه.

الآن لننظر في الوجه الآخر للمعادلة:

لو أن شاباً حدث معه موقف عجيب، وعلى إثره وقع في الحب،
فكيف نفهم الأمر؟

لنأخذ المثال الآتي: روي أن فضالة بن عمير أراد قتل النبي ﷺ،
وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: ماذا
كنت تُحدثُ به نفسك؟

قال: لا شيء، كنت أذكر الله.

قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على
صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن
صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

ما المتوقع أن يحصل لفضالة بعد ذلك؟
 حسب معادلة السلطان (قدس سره)، فإن المفترض أنه إذا جاء
 الحب، ينطلق اللسان بذكر المحبوب، فهل حصل ذلك مع فضالة؟
 إن كان قد حصل، فإن ذلك يكون مصداقاً واقعياً لمعادلة حضرة
 الشيخ، التي نتحدث عنها.
 عندما نعود إلى قصة فضالة نجد أن ما حصل يؤكد بالفعل معادلة
 سلطاننا.
 قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث
 إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:
 قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يابى عليك الله والإسلام
 لوما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
 لرأيت دين الله أضحى بيننا ... والشرك يَغشى وجهه الإظلام⁽¹⁾.
 مما تقدم نصل إلى إجابة حاسمة عن سبب إعطاء المريد أوراداً
 كثيرة وهي: ليستنير القلب بنور الحب، وليكوى الفؤاد بحب النور.
 ولكن، لماذا يريد مشايخ الطريقة منا أن نقع بهذا النوع من
 (الحب الأبيض) أو الطاهر أو النقي؟

1 - ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى
 البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1955، ج2 ص214.

الأساس الثالث: المحبة

لماذا نريد المحبة؟

هذا أمرٌ يعلّق فيه عددٌ كبيرٌ من المريدين، ويتوقّف بهم السير والسلوك في مقامه.

المحبة أمرٌ يسلبُ اللَّبَّ، ويكوي الفؤادَ، فيصعبُ على كثيرٍ ممن يتذوّق أحوالها و مقاماتها الكثيرة، وهي: الألفة- الافتتان- الهوى- الوله- الدهش- الشغف- الصبابة- الغرام- الوداد- العشق- التيمم- الخلّة⁽¹⁾.

يخطئ كثيرٌ من حين يتوهمون أنّ (الحُب) هو الغاية القصوى من التصوف والطريق، فهذا شأن المتقدمين مثل المشهورة السيدة رابعة العدوية، وشهيد العشق الإلهي الشيخ العارف الحسين بن منصور الحلاج.

أما في طريقتنا فإنّ الحب، وسيلة لما هو وراءه، أي للوصول إلى أمرٍ آخر وهو الإطاعة.

يقول السلطان: "بعد الحب الإطاعة".

المقصود بذلك: أنّ الذي يأتي بعد المحبة هو الإطاعة بالضرورة الروحية، ويمكن توضيح ذلك من خلال أبيات للإمام الشافعي (رحمه الله تعالى):

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحب لمن يحب مطيع

إذا لم يتحول حب المريد إلى إطاعة، بل وربما قد يكون مخالفاً، فحبه آتٍ من الهوى لا من الهدى.

إبليس كان يذكر الله، شأنه كشأن أي من الجن المؤمنين بالله

1 - عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب، تحقيق هـ. ريتز، دار صادر، بيروت، ص39-40.

الذاكرين ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾⁽¹⁾، وهذا يعني أنه كان يملك قدراً من الحب، حسب المعادلة السلطانية، فلما وُضِعَ ذلك الحب على محك الطاعة ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽²⁾، فتبين أن حبه حبّ بالهوى لا بالهدى.

المرشد الواعي يرى نفسه في هذا الأمر أين هو، ويستطيع أن يقيس قوة أو حجم حبه بمقدار الاستجابة الظاهرية للإطاعة. كما أنه يستطيع أن يساعد المريد في هذا الأمر إذا جاءه سائلاً عن هذه الأمور، طالباً سبيل المعرفة فيها.

تنويه وتنبيه صوفي:

لا يُسمح في الطريقة أن يحكم مرشد على مريد، فيقول: أنت لا تطيع فأنت لا تحب. لماذا لا يستطيع ذلك؟

لأن شيخ الطريقة نفسه لم يفعلها مع مريديه، فكيف يسوِّغ له ما لا يسوِّغ لشيخه.

مهمة المرشد، أن يجيب المريد إن بادر بالسؤال، وتكون إجابته إعطاء القاعدة العامة، وترك المريد أن يقرأ نفسه بنفسه.

الدروشة بالنسبة للمرشد: التربية على معرفة النفس.

المرشد: يرشد، أي يقول القاعدة العامة ولا يحكم.

الذي يقول لدرويش أنت ناقص في كذا، يُعرّض نفسه لمسألة روحية من مشايخ الطريقة، فكل شيء إلا كسر القلوب، ولا شيء يكسر القلوب مثل أن تنطق عليها بحكم لا إجازة عندك بنطقه. فاللسان اللسان، والتواضع التواضع.

1 - [الكهف: 50].

2 - [البقرة: 34].

الأساس الرابع: الإطاعة

طاعة: «ليونة الشيء وتأتيه لما يُراد منه»⁽¹⁾، أي استجابته.

يقال: ناقة طيعة أي لينة لا تنازع قائدها.

المطيع هو صاحب رحمة اللين ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾⁽²⁾.

يقال أيضاً: هذا الحديد مطاوع، يعني: معدن صلب، لكن فيه خاصية تقبل إعادة التشكيل بالتسخين والطرق والتبريد.

المريد -عادة- قبل السلوك في الطريقة يكون كالفولاذ الصلب غير المطاوع، قد تقوّل اجتماعياً على معتقدات وسلوكيات متوارثة، وتكون عنده ممانعة شديدة لما يراه من شعائر وممارسات عند أبناء الطريقة، فضلاً عن التصحيحات العقديّة والفكريّة التي لا تتماشى مع ما نشأ فيه وتآلف عليه.

بسبب الذكر والأوراد المجازة من أستاذ الطريقة الحاضر، فإنّ فؤاد المريد يحترق بنور الحب، والنفس -بسبب التشابك مع القلب- تتأثر بشدة بذاك الأثر فتستطعمه أو تشعر به باطنياً بجنون، وتصير مريدة للمزيد.

هنا تكتشف النفس أنّ السرّ في الحصول على المزيد هو الانغماس في الطاعة، فتهرع لها مستجيبة بكل خصائصها في الانقياد والخضوع والخشوع، وبهذا تدخل مرحلة اللين بعد الغلظة، والرقة بعد القسوة، فتسمى مطيعة.

فالحب نقلها للإطاعة.

والسؤال هنا: ما الذي تحقّقه الإطاعة للشيخ الحاضر في الطريقة الكسنزانية؟

الجواب: الذي تحقّقه الإطاعة في الطريقة الكسنزانية هو إعادة

1 - د. محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010م، ج3 ص1328.

2 - [آل عمران: 159].

تركيب الصورة الباطنة، لتتحول من صورة رمزية للشيطان أو الحيوان -كلٌ بحسبه- إلى صورة ملائكية، ثم نورانية، قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾⁽¹⁾.

إذا ما اكتملت إعادة تركيب الصورة الباطنة للمريد بسبب إطاعتها وعدم مخالفتها أو معارضتها، نصل إلى المرحلة النهائية في الطريقة وهي التأهل للفناء.



1 - [الانفطار: 8].

الأساس الخامس: الفناء

يقول سلطان الطريقة (قدس سره):

"الفناء في الشيخ، يعني أن تُحب الشيخ إلى درجة أن تؤمن أن الشيخ دائماً حاضرٌ وناظرٌ وراقيبٌ عليك في جميع سكناتك وحركاتك وأوقاتك.

إذا آمنت بهذا الإيمان، يعني أنزلت الشيخ في قلبك، جسّدته في قلبك.

الفناء يعني تجسيد الشيخ في قلب المريد.

يجب أن يتجسد الشيخ في قلبك، أي يحضر في قلبك، يثبت في قلبك؛ بصورته، وصوته، وكلامه، وأحواله، ودروشته، وكله، حتى لا ترى سواه. به تتكلم وله تتكلم... تصير نسخةً منه.

فإذا كان الشيخ في قلبك، فهذه أول مرتبة من مراتب الفناء.

نحن في الطريقة عندنا مراتب، ثلاثة مراتب: الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول ﷺ، الفناء في الله تعالى.

تقول: كيف أعرف أو أصل أو أحصل هذه الأمور؟

إذا كنت تحب شيخ الطريقة، فأنت تطيعه وتخاف أن تخالفه، ولأنك تخاف أن تخالفه فأنت تجسده في قلبك، أي تحمل كل حركاته وسكناته فيك، فيكون عندك ترك النفس والرجوع إلى الشيخ بالحركة والسكون، أي تكون فانياً فيه.

كل هذا العمل لأنك تخاف المخالفة، لأن الذي يخالف يخرج من الفناء إلى النفس.

فإذا خفت من المخالفة وأحبت الشيخ وضعته في حركاتك وسكناتك، وكل أمورك فتهوّل المحبة والإطاعة إلى الرسول ﷺ، تقول:

شيخي هكذا حضرة الرسول ﷺ وهو أكبر من شيخي؟ فتؤمن بالرسول ﷺ بمثل ما يؤمن به شيخك، ولأنه يراه نور الله، ينتقل حضرته ﷺ عندك، ويصبح حاضراً وناظراً وشاهداً وراقياً.

هنا يتحول حُب الشيخ إلى حضرة الرسول ﷺ ويتجسد في قلبك وفي فكرك، فإذا صرت هكذا، فلا تستطيع أن تعمل السيئات ويصبح كل شيء عندك فداءً للرسول ﷺ، وتصبح عندك الطاعة الكاملة له وهو الفناء به ﷺ.

ثم ينتقل هذا الحب وهذه الطاعة، إلى الله تعالى، إلى الحضرة الإلهية، فإذا وصلت إلى الحضرة الإلهية ودخلت، فلا يغيّب عنك شيء، إذ أنت في الحضرة الإلهية، عندها تسمع بالله وتبصر بالله، وكل شيء بالله، كل هذه الأمور للوصول إلى الحضرة الإلهية إلى حضرة الملك".



تمارين الدرس التاسع

التمرين الأول: أسئلة الفهم والاستيعاب

١. ما الأسس الخمسة التي حدّدها الدرس للسير والسلوك في الطريقة؟
٢. ما المقصود بالبيعة أو اللمسة الروحية في هذا الدرس؟
٣. ما معنى الحال، وما أنواعه كما وردت في النص؟
٤. ما أثر البيعة في تهيئة المريد لتلقي أنوار الأوراد؟
٥. لماذا يعطى المريد أوراداً كثيرةً وذكراً متكرراً؟
٦. كيف يُفسرُ الدرس العلاقة بين الذكر والمحبة؟
٧. لماذا لا يُعد الحب في الطريقة الغاية القصوى، بل وسيلة لما بعده؟
٨. ما العلاقة التي يقيمها الدرس بين المحبة والإطاعة؟
٩. ما المقصود بالطاعة من الناحية الروحية في هذا السياق؟
١٠. ما الذي تُحقّقه الإطاعة في الباطن بحسب الدرس؟
١١. ما معنى الفناء في الشيخ؟
١٢. ما المراتب الثلاث للفناء كما وردت في النص؟
١٣. بماذا خُتمَ الدرس، وما الذي عدّه السبب الأعظم في الوصول؟

التمرين الثاني: التعريفات المفهومية

عرّف المصطلحات الآتية بحسب الدرس:

البيعة - اللمسة الروحية - الحال - الورد - السير - السلوك -
المحبة - الإطاعة - الفناء - الحب الأبيض

التمرين الثالث: سؤال تركيبى

اكتب فقرة علمية مترابطة تشرح العلاقة بين: البيعة - الورد -
المحبة - الطاعة - الفناء

التمرين الرابع : أسئلة التعليل والتحليل

١. علل: البيعة عُدت آخر منزلةٍ من الدُّنيا وأول منزلةٍ من منازل الآخرة.
٢. علل: لا تظهر خصائص الأوراد الكاملة إلا في ظل الإجازة المتصلة بالبيعة.
٣. علل: الذكر الكثير يؤدي إلى تولد المحبة.
٤. علل: الذكر بحضور يختلف في أثره عن الذكر بغفلة.
٥. علل: ليس كل حب صالحاً في الطريق، فقد يكون حُبّاً بالهوى لا بالهدى.
٦. علل: إذا لم تتحول محبة المريد إلى طاعة بقيت ناقصة أو مشكوكاً في اتجاهها.
٧. علل: لا يجوزُ للمرشد أن يحكم على مريد فيقول له أنت لا تُحب أو أنت ناقص.
٨. علل: الطاعة وُصفت في الدرس بأنها انتقال من الغلظة إلى اللين.
٩. علل: الإطاعة تؤدي إلى إعادة تركيب الصورة الباطنة.
١٠. علل: الفناء في الشيخ لا يعني مجرد تقليدٍ خارجي لهيئته.
١١. علل: الخوف من المخالفة عنصرٌ جوهريٌّ في الانتقال من المحبة إلى الفناء.
١٢. علل: ختم الدرس بالأوراد بوصفها المفتاح الجامع لبقية المراتب.

التمرين الخامس : ضع علامة صح أو خطأ مع التصحيح

١. الأسس الخمسة في الدرس مراحل منفصلة لا ترابط بينها.
٢. البيعة تربط روح المريد بروح شيخ الطريقة إلى الحضرة المحمدية ثم إلى الله تعالى.
٣. الحال في الدرس نوعٌ واحدٌ فقط.

٤. الورد والذكر يأتيان بعد البيعة لا قبلها.
٥. يرى الدرس أن كثرة الذكر تُورث المحبة.
٦. الذكر بغفلة لا يترك أي أثر في النفس مطلقاً.
٧. المحبة في الطريقة هي الغاية النهائية التي لا شيء بعدها.
٨. الحب الصادق يستلزم الطاعة.
٩. مهمة المرشد أن يحكم على الناس من ظاهر طاعتهم ومقدار حبهم.
١٠. الطاعة في الدرس مجرد انقياد اجتماعي خارجي.
١١. الفناء في الشيخ هو أول مراتب الفناء.
١٢. مراتب الفناء الثلاث هي: الفناء في الشيخ، ثم في الرسول، ثم في الله.
١٣. يقرر الدرس أن الأوراد لا صلة لها بالوصول إلى المراتب النهائية.

التمرين السادس : استخراج من النص

- استخرج من الدرس ما يدل على:
١. معنى البيعة أو اللّمسة الروحية.
 ٢. أنواع الحال.
 ٣. أثر البيعة في تفعيل خصائص الأوراد.
 ٤. العلاقة بين الذكر والمحبة.
 ٥. الفرق بين الذكر بحضور والذكر بغفلة.
 ٦. فهم المحبة بوصفها وسيلة لا غاية.
 ٧. القاعدة العامة التي تربط الحب بالطاعة.
 ٨. تنبيه الدرس إلى عدم كسر القلوب بالأحكام.
 ٩. دلالة الطاعة على إعادة تركيب الصورة الباطنة.

١٠. مراتب الفناء الثلاث.

١١. العلاقة بين الخوف من المخالفة واستحضار الشيخ.

١٢. خاتمة الدرس في شأن الأوراد.

التمرين السابع: تحليل حالة

الحالة: مُريدان في الطريق. الأول يُكثر من الذكر، ويظهر عليه تعلق وجداني، لكنه لا يلتزم بالطاعة، ويعترض كثيرا، ويرى أن مجرد الحب يكفيهِ. والثاني يكثر من الذكر، فتولدت في قلبه المحبة، ثم حملته هذه المحبة على الطاعة، وصار يخاف المخالفة، ويستحضر شيخه في حركاته وسكناته.

المطلوب:

١٣. حلل الفرق بين الحالتين في ضوء الدرس.

١٤. بين أي المريدين أقرب إلى منطق السير والسلوك في الطريقة.

١٥. استخرج القاعدة العامة التي يريد الدرس ترسيخها في العلاقة بين الذكر والمحبة والطاعة.

١٦. وضح كيف يُمكن أن ينتقل المريد من المحبة إلى الفناء بحسب النص.

التمرين الثامن: سؤال المقارنة

قارن بين: المحبة بوصفها غاية متوهمة وبين المحبة بوصفها وسيلة إلى الإطاعة. على أن يراعى في المقارنة بيان:

١. الفرق في الفهم

٢. الفرق في الوظيفة الروحية

٣. الفرق في أثرها على سلوك المريد

٤. الفرق في النتيجة النهائية في الطريق

التمرين التاسع : سؤال تطبيقي

كيف يمكن للمرشد أن يشرح للمريد الجديد أسس علم التصوف في الطريقة من غير أن يثقل عليه، ومن غير أن يحكم على باطنه أو يكسر قلبه؟ على أن يراعى في الجواب بيان:

١. التدرج في البيان
٢. تقديم القاعدة العامة دون إصدار أحكام
٣. شرح وظيفة البيعة والأوراد
٤. إبراز أثر المحبة والطاعة في النفس
٥. التنبيه إلى المقصود الصحيح من الفناء

التمرين العاشر : اختبار

١. ما الأسس الخمسة للسَّير والسلوك في الطريقة؟
٢. ما معنى البيعة أو اللَّمسة الروحية؟
٣. ما المقصود بالحال؟
٤. لماذا يعطى المريد أوراداً كثيرة؟
٥. ما العلاقة بين الذكر والمحبة؟
٦. لماذا ليست المحبة غاية نهائية في هذا الدرس؟
٧. ما علامة الحب الصادق كما يفهم من النص؟
٨. ما الذي تُحقِّقه الطاعة في الباطن؟
٩. ما مراتب الفناء الثلاث؟
١٠. ما الذي أوصل المريد في النهاية إلى هذا المقام بحسب خاتمة الدرس؟

التمرين الحادي عشر: مقال

اكتب موضوعاً من صفحة واحدة بعنوان: من البيعة إلى الفناء: البناء التربوي لأسس الطريقة الكسنزانية. على أن يراعى في الموضوع:

١. وضوح المُقدمة.
٢. الاعتماد على مفاهيم الدرس.
٣. شرح ترابط الأسس الخمسة.
٤. بيان أثر الذكر في توليد المحبة.
٥. إبراز انتقال المحبة إلى الطاعة.
٦. توضيح معنى الفناء ومراتبه.
٧. خاتمة موجزة.



سين جيم الطلاب والطالبات

س222: يلاحظ أنّ بعض المرشدين عند ممارستهم للإرشاد داخل الطريقة أو خارجها، وبسبب شدة محبتهم للمشايخ وانغماسهم الروحي في الأوراد والأذكار، قد يغلب عليهم الحال فيتحدثون بمعلومات أو إشارات تتعلق بمشايخ الطريقة أو بأسرار خاصة لم يسبق تداولها. ثمّ يعقب ذلك شعور بالخوف أو القلق أو الندم بعد انتهاء الإرشاد، مع تساؤل داخلي حول سبب الإفصاح عما قيل. فكيف يمكن تفسير هذه الحالة، وما السلوك المنهجي المناسب الذي ينبغي للمرشد اتّباعه عند وقوعها؟

ج: هذا الأمر وراّد كثيراً وخاصةً بين المرشدين في مراحل السير والسلوك، وسببه يعود إلى أمرين متلازمين:

الأمر الأول: القوة الروحية الفائقة في الطريقة الكسنزانية، والتي تنشط ويظهر تأثيرها بشكل فوري وخاصةً في الإرشاد.

الأمر الثاني: انفتاح باطن المرشد (أو الخليفة أو المريد) على الاستقبال الروحي، بشيء من (العلم اللدني)، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾⁽¹⁾.

نعم، هذا شيء من (العلم اللدني)، وهو يخضع لقانون المشيئة (إلا بما شاء)، وقد بينا في إجابة سابقة أنّ المشيئة قانون موضوعي، يعني: إن توفرت شروطه تُفعل تلقائياً. وهنا: لو أنّ باطن المريد لم يكن مؤهلاً لذلك الشيء من (العلم اللدني)، لما وجدت تلك المعلومات الروحية طريقها للانتقال من الباطن إلى الظاهر عن طريق اللسان.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "المتصوف عندما تسأله يجيبك، حتى ولو لم يكن يعرف الإجابة من قبل. تقول: كيف؟ إذا كان صاحب زيادة في العبادة، صاحب بيع وشراء، هم يجعلون في قلبه (العلم اللدني)، ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽²⁾".

1 - [البقرة: 255].

2 - [الكهف: 65].

قد يتبادر للذهن الآن السؤال: هل يعني ذلك أن المرشد الذي يحصلُ عنده مثل هذا المقدار من العلم اللدني صار من الأولياء مثل العبدِ الصالح؟

الجواب: نعم، قد بينا في درسٍ سابقٍ أنَّ شيخَ الطريقةِ يحثُ المرشدينَ على الإرشاد لأنها تُكسبهم أحوالَ (ولاية الإرشاد) كما تُكسبهم أحوالَ (العلم اللدني).

هذا لا يعني أنَّ المرشدَ صار مثلَ العبدِ الصالح على الدوام، بل هذا مقتصرٌ على زمنِ الإرشاد وتوقيتهِ (حالٍ) يحولُ بانتهاء الإرشاد، إذ يهبطُ إلى مقامه الذي هو فيه بعد أن ارتفع في الإرشاد.

لهذا، كلما زاد الإرشاد وتكرر، كلما زادت الرفعاتُ الروحية، حتى تصلَ إلى الكمِّ الكافي للتحويل إلى الكيف الجديد.

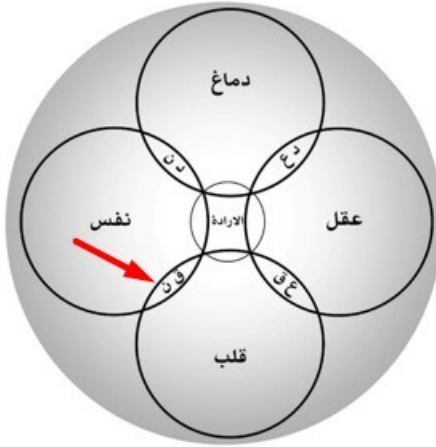
* * *

إذًا، من حيثُ المبدأ، نطقُ المرشدِ بتلك الأمور الاختصاصية هي علامةُ حصولِ مبانٍ يكونُ المرشدُ مؤهلًا لاستقبال العلم اللدني والنطق به شيءٌ، وأنَّ ينطق به في غير زمانه أو مكانه أو غير أهله شيءٌ آخرٌ تمامًا.

إنَّ فعلَ ذلك فإنه يخالفُ قاعدةً مهمَّةً من قواعدِ الحكمةِ ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁽¹⁾، والمتمثلة في: "أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم".

أولُ من يعاتبه على هذه المخالفة (النفس اللوامة)، إذ تلومه على ما فعل، وقد يشعرُ بوحشةٍ أو ضيقٍ أو ما شابه.

1 - [البقرة: 129].



ما الذي يعنيه ذلك في علم
التصوف؟

الذي يعنيه ذلك في علم
التصوف، أنَّ هذا المرشد، ما
يزال سائراً في الطريق (فوق
المبتدئ ودون المنتهي).

الوحشة التي تصيبه تحدث
في منطقة التشابك بين

(القلب والنفس ق ن)، فهي من أحوال الباطن الشريفة، وبالتالي هي
تريده أن يتربى على أمرين متلازمين:

الأمر الأول: أن يوقن بأنَّ البركة تأتي بلا شك في الإرشاد.

الأمر الثاني: أن يعلم أنَّ البركة لوحدها لا تكفي، بل عليه أن يُمِرَّن عقله
(وتحديداً عقل الدماغ د ع) لكي ينطق بما يأتي في قلبه بأسلوب
منطقي أو شرعي مقبول عند المستمع.

الوحشة أو الخوف أو القبض أو أي من هذه الآثار الجوانية التي
تحدث إثر الخطأ في التعامل مع العلم الروحي، ليس عقوبة بقدر ما
هو عملية تربوية توعوية، كاشفة للمرشد عن نقطة ضعف عليه
العمل على تجاوزها، ليصير لسانه ناطقاً بالحكمة، وهي: القول
المعقول أو الشرعي المستبطن للحقيقة، النوراني، وبالتالي قوله يؤثر
في المستمع بخلاف من يقول مثله وهو ليس بمرشد مجاز فلا يؤثر
لأنه صورة بلا روح.

على المرشد، أن لا ينغمر بالعلم اللدني من جهة، وأن لا يجلد الذات من
جهة أخرى.

بدلاً من ذلك، عليه أن يعرف نفسه، وأن يسعى في سبيله.



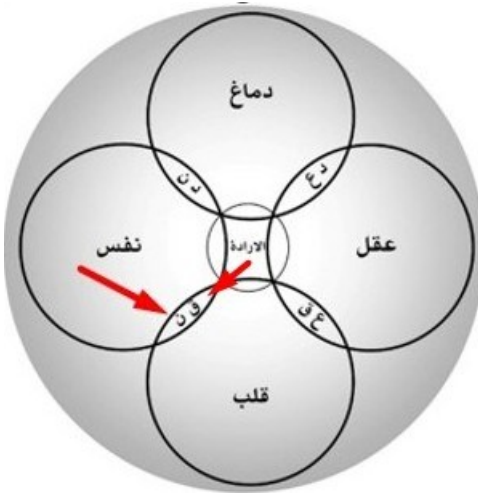
س223: كيف يمكن للمريد تقييم درجة طاعته لنفسه؟ هل تُقاس الطاعة بالالتزام التام بالعبادات والأوراد والامتثال الكامل لأوامر الشيخ، أم يمكن اعتباره وجود قدر من التقصير ضمن دائرة الطاعة بنسب متفاوتة؟ وهل يمكن للمريد أن يعد نفسه مطيعاً إذا امتثل لتوجيهات الشيخ مع وجود تقصير في الورد أو الصلاة؟

ج: في الطريقة الكسنزانية، هناك فرق بين تنفيذ الأمر، وبين الإطاعة. الإطاعة في الطريقة، هي ثمرة المحبة.

الإطاعة لا تكون إطاعة إلا إن كان في الباطن لينٌ بسبب المحبة. لاحظ: الله تعالى أمر بإقامة الصلاة.

أنت تأتي فتقول: هذا أمر إلهي، وعليّ تطبيقه ولا مجال للمخالفة، فهذا أنت تنفذ الأمر.

لكن إن أتيت لهذا الأمر ورأيت فيه حبّ الله تعالى لك، أنه تعالى أمرك به لك لا له، وأردت أن تبادل الحبّ بالحب، فتنفذ الأمر محبةً فيمن أمرك، فتلك هي الإطاعة. الفرق جد كبير. هل علي أن أفكر في كل أمر بالحب؟



الحب ليس من جنس التفكير، بل من جنس المشاعر، حيث يتولد في منطقة التداخل بين القلب والنفس (ق ن).

إذا صار في هذه المنطقة الكم الكافي من الحب، فإنه يحضر تلقائياً خلال تنفيذ الأمر، وبدون تفكير.

انظر إلى الأم كيف تحتضن صغيرها بكل حب في جميع أفعالها معه، فتطعمه، وتحمله، وتغني له، وتجذ لذاتها في إرضاءه،

وحمايته، وإسعاده. هي لا تفكر في الحب، بل هو حاضر في سلوكها مع صغيرها (فلذة كبدها).

بهذه الكيفية، إذا تمكن المريد من استحضار الكم الكافي من الحب، يكون حاضراً تلقائياً في تطبيق أوامر الشيخ (قدس سره) أو الامتناع عن نواهيه، وحين ذاك يُسمى هذا الفعل أو الترك من المريد بالإطاعة.

كيف نحصل على هذا القدر الكبير من الحب لیتَمَّ تضمينه في تنفيذ الأوامر تلقائياً؟

المعادلة واضحة: الإرادة + الذكر الكثير (الذي يكثر من ذكر شيءٍ يحبه). يعني: تنفيذ الأمر قد يكون مصحوباً بشعور معين من مشاعر المحبة، وقد لا يكون مصحوباً بذلك الشعور.

* * *

إذاً، كيف يعرف المريد أنه مطيع؟

الجواب: إذا شعر بالحب أو بالانجذاب أو بأي شيء وجداني أثناء تنفيذ أي أمر أو ترك أو نهى.

لا أحد يعرف الدرويش مثله هو بنفسه.

أنا أنظر لنفسي أثناء أي عمل فأعرف هل أنا في (حال طاعة) أو في (حال تنفيذ أمر) فقط، وذلك من خلال العلامة المبينة أعلاه.

لربما النقطة التي قد تشغل بال السائل هي: في النهاية هل أنا مطيع أم غير مطيع إن كانت عندي أخطاء أو قصورات؟

وجوابها بسيط: لا يوجد حكم كلي في هذا الموضوع بل حكم نسباني.

مثل ذلك كمثال السؤال: هل أنا محسن أم مسيء؟

الواقع يفرض علي أنني محسن ومسيء، فلو كنت محسناً فقط لكنت ملاكاً أو رbotenاً. ولو كنت مسيئاً فقط لكنت شيطاناً رجيماً (والعياذ بالله). والحق أنني بشر، والبشر يحكمهم قانون النسبانية.

يعني:

- أنا مُطيعٌ بقدرٍ ما أنفذُ أوامرَ أو أنتهي عن نواهي بسببِ اختياري الحرِّ للاتباع (فقد أقرنُ الاتباعَ بالحبِّ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾، أي بسببِ حُبِّ القُرْبِ أو خوفِ البُعد.
- وأنا منفذٌ للأوامرِ أو منتهٍ عن النواهي فقط، بسببِ غفلتي عن اختياري الحرِّ للاتباع.
- وأنا مخالفٌ بقدرٍ مخالفاتي.

كل هذه الاعتبارات قائمةٌ فيَّ بنسبٍ متحركةٍ في الوقتِ نفسه، تزدادُ وتقلُّ بحسبِ نوعِ استجاباتي، فمثلها كمثلي مؤشراتِ أسهمِ البورصة. لا تنظر إلى نفسك نظرةً أحادية، ولا تتوهم أنك يمكنُ أن تكون مجرداً بالمطلق عن المخالفاتِ أو السيئاتِ، فهذا فهمٌ طوباويٌّ أي غيرَ واقعي (وهمي).

اللهُ تعالى و حضرةُ الرسولِ الأعظم ﷺ وأستاذُ الطريقةِ الحاضر، جميعهم يعرفونَ بهذه الحقيقة، والمطلوبُ أن يعرفها الدرويشُ وأن يتحرى زيادةَ أسهمِ الطاعةِ بحيثُ تكون أكثرَ بأضعافٍ من المخالفة، فبهذا، لا يؤثرُ الحسابُ على درجةِ القربِ كثيراً، وذلك بعد إنقاصٍ أو تكفيرٍ للمخالفاتِ بـ(1).



1 - [آل عمران: 31].

س224: ذكرتم نقلًا عن حضرة السلطان (قدّس سرّه) قوله: "الدنيا **مزرعة الآخرة**"، وببينتم أنّ صاحب الحال، مهما فعل في الدنيا، يرى أثر فعله في الجانب الآخر لحظة وقوعه. فكيف يمكن فهم هذه الآلية؟ وهل تكون هذه الرؤية ذات طبيعة قلبية تتجلى في مشاعر كالسكينة والانشراح أو الضيق، أم أنّ لها أبعادًا إدراكية أخرى؟

ج: سأحاول تبسيط الإجابة عن هذا السؤال قدر المستطاع.

عين الرأس ترى الظاهر، وعين القلب ترى باطن الظاهر.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾⁽¹⁾

كيف؟

أعطانا التنزيل الحكيم الكثير الكثير من الأمثلة عن تلك الكيفية، ومنها:

مثال1: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾⁽²⁾

علمياً، يتحدثون عن دورة المياه في الطبيعة المعروفة.

دينياً، الله تعالى هو الذي يُنزل الماء من السحاب الثقال.

ما يراه العلم صحيح ولكن بدلالة (عين الرأس).

ما يراه الدين صحيح ولكن بدلالة (عين القلب).

الآن: ما يراه صاحب عين الكمال

الماء ينزل من السحاب بسبب دورة المياه في الطبيعة التي خلقها الله تعالى.

فبعين رأسه رأى الظاهر (دورة المياه)، وبعين قلبه رأى باطن الظاهر (الله).

مثال2: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾⁽³⁾، عين الرأس: ترى الفلاح يحرق ويزرع.

1 - [البلد: 8].

2 - [الواقعة: 68-69].

3 - [الواقعة: 63-64].

عين القلب: ترى حول الله تعالى وقوته في شخص الفلاح الذي حرث، وفي قدرة الله تعالى في الإحياء والإنبات والإنماء في الزرع. صاحب عين الكمال: بعين الرأس يرى الظاهر وهو الفلاح سبب الحراثة والزراعة، وبعين القلب يرى باطن الظاهر وهو الله تعالى المسبب المُمِدُّ للأسباب.

الآن صوفياً:

عندما تذهب إلى العمل، ولنفترض أنك موظف مسؤول عن معاملات الناس.

صاحب الدنيا: يراها وظيفة في الدولة بكسب المعاش الشهري (عين الرأس).

صاحب (الدنيا مزرعة الآخرة): يراها وظيفة لكسب المعاش في سبيل الله.

قلنا سابقاً: كل عمل تستهدف منه مساعدة الآخرين يمكنك أن تنويه في سبيل الله فيكون عملاً صالحاً.

كسب المعاش يمكن أن يكون من أجل العيال، فيكون ذا أثر دنيوي فقط. كما يمكن أن يكون من أجلهم في سبيل الله، فيكون ذا أثر في الدنيا (رزق العيال) وآخروي (صالحات للعامل).

بهذه الكيفية، يمكن التعميم على جميع حركاتنا وسكناتنا، فتكون الدنيا مزرعة الآخرة.

علينا أن نعي أن العمل زوجي: ظاهر وباطن مثلما نبذل الجهد لأداء العمل الظاهر، علينا أن نبذل الجهد للعمل الباطن.

العمل الظاهر مقتدر باليد أو الجسم. العمل الباطن مقتدر بالنية أو التوجه. إذا أنجزت عملاً ولو كان رفع حجر من الطريق، فاجعل عملك زوجياً،

يعني: ارفع الحجر بيدك (هذا هو جانب العمل الظاهر)، وانوي أن يكون عملك هذا خدمةً للناس في سبيل الله (ونيتك هذه أو توجهك هي جانب العمل الباطن).

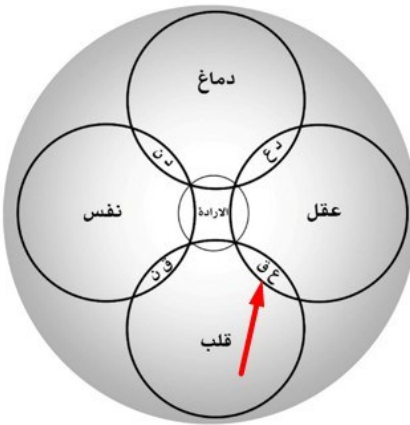
بهذا تكون أديتَ عملاً زوجياً، وكانت دنياك مزرعةً للآخرة. في الحقيقة هناك أبعداً عديدةً لهذه المسألة، ولكن هذا ما يتسعُ له المقال في هذا المقام.



س225: هل تُعدُّ رؤية الآخرة إدراكاً قلبياً معنوياً ينعكسُ في صورة أحوال كالسكون أو الضيق، أم أنَّها مرتبةٌ أرقى من الكشف تتجاوز مجرد الشعور إلى نوعٍ من اليقين الشهودي؟

ج: ألفاظٌ مثل الكشف والشهود واليقين والأحوال والرؤية، لكلٍّ منها خصوصيتها من حيث المعنى والمغزى، بالتالي تؤثر على طرح السؤال والإجابة. بذا سوف أتجاوز عنها إلى فكرة السؤال بصورة عامة، وهي فكرة تكررت من أكثر من طالبٍ بالآفاقِ متقاربةٍ وكأنَّ أحدهم ينسخُ عن الآخر!

رؤية الآخرة في الدنيا، لا علاقة مباشرة لها بالمشاعر، وبخاصة الأحوال المذكورة (السكون والضيق) أو ما شابه.



رؤية الآخرة تكون بـ(عين القلب) وهذه العين محلها منطقة التشابك بين القلب والعقل (عق)، فهي من جنس المنطق، وتحديدًا هنا (منطق الغيب)، في قبالة (عين الرأس أو الدماغ) والتي تعمل بـ(منطق الشهادة).

وقد قلنا إن المنطق ليس فيه عاطفة أو شعور، بل فيه عملٌ سببيٌّ.

أنت تخرجُ للعمل يومياً ليس لأنك تشعر يومياً بالعاطفة تجاه العمل، بل لأنك ترى عقلياً، ماذا يوفّر لك العملُ من مالٍ هو سببٌ لديمومة معاشِكَ ومن تعول. فهذه رؤيةٌ سببيةٌ بعينِ عقلِ الشاهدة.

يوجدُ نظيرٌ لها، وهو أن ترى أن ربطكَ للعملِ بالله تعالى يسببُ لك منافعَ أخروية تكونُ كفيلاً بضمان حياةٍ كريمةٍ في حياتك الآخرة.

اهتمامك بالآخرة الآن كاهتمامك بالدنيا، هو من منطقِ عقلِ القلب. رؤية الآخرة بعين القلب لا تقلُّ وضوحاً أو دقةً عن رؤية الدنيا بعين الرأس.

أنت ترى محتاجاً، ولديك مالٌ لا تستطيع أن تهبه إياه لوجه الله تعالى. ولكنك تستطيع أن تُقرضه إلى أجلٍ، فيعبرُ من محنته، ويسدّدك حين ميسرة، فتبقى مالكاً الذي أنت بحاجة.

إنسانياً، يمكنك أن تفعلَ ذلك، وتكونَ صاحبَ فضلٍ على هذا الشخص، يفترضُ أنه لن ينساه لك، وأن يقابلَكَ بالمثل إن وقعتَ في حاجةٍ مستقبلاً وكان بإمكانه مساعدتك. فإن لم يفعل: حقٌّ لك معاتبته بلسانك، أو بالعتبِ عليه بقلبك.

صوفياً، الأمرُ أعمق، بإمكانك مساعدته، ولكن ليس من باب الفضلِ عليه، بل من باب أن تتوجه إلى عملية (إقراض الله)، فتقول سأقرضُ الله قرضاً حسناً، ووسيلتي في الإقراض هذا المحتاج. ولماذا تفعلُ ذلك؟ أنت تستهدفُ أن يكون لك في الآخرة أضعافاً مضاعفةً من المال الآخروي ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾⁽¹⁾. وفي هذه الحالة، لا يحقُّ لك إطلاقاً طلبُ الشكرِ أو العِوضِ لاحقاً. ولو أن هذا الشخص الذي أقرضته المالَ (في سبيل الله) كان بإمكانه مساعدتك وتكرّر لك، فلا يحقُّ لك أن يحصلَ مثل ذرة عتبٍ في داخلِك عليه. لماذا؟ لأنك لم تقرضه، أنت أقرضتَ الله، والله أعطاك أضعافاً مضاعفةً كثيرةً، فما وجهُ عتبك على هذا المسكين.

1 - [البقرة: 245].

ولو احتاج مجدداً، وجدت إقراض الله عن طريقه، فأنت الصادق الصدوق في عملك لله وليس للجانب الإنساني.

لاحظ الآن:

حسبة الجانب الإنساني مقتربة برؤية الدنيا وحساباتها.

وحسبة الجانب الآخروي مقتربة برؤية الآخرة وحساباتها.

فأنت حين تقرض الله وأنت موقن بأن الله تعالى صادق الوعد، وأنه يضاعف لك قرضك فوراً أضعافاً كثيرة لأنه سريع الحساب، فإن كل هذه العملية فيك تُسمّى الرؤية بعين القلب. والسبب أنها متعلقة بالباطن أو الغيب.

لا يستطيع الإنسان غير المؤمن أو الذي إيمانه ضعيف أن يفعل ذلك أو يكرره كثيراً لأن ارتباطه مع الآخرة ضعيف وبالتالي رؤيته القطعية لما يحصل عليه فوراً فيها عشو أو عمه، الأمر الذي يجعله مرتبط بما يراه في الدنيا ومكاسبها فقط.

في جميع ذلك الأمر لا علاقة له بالمشاعر بصورة مباشرة، بل بالمنطق والحسابات العقلية (الماغية والقلبية).



س226: ذكرت في الدرس أن النفس تكتشف أن سر الحصول على المزيد هو الانغماس في الطاعة. فهل يتم هذا الاكتشاف بصورة واعية ومقصودة من المريد، أم أنه يحدث على مستوى الباطن بشكل تدريجي دون إدراك مباشر منه؟

ج: إذا كان المريد صاحب حضور قلبي وإرادة أثناء الذكر، فإنه بلا شك يعي تمام الوعي بما يحدث في داخله من (كشوفات) روحية. أما إن كان صاحب ذكر أو خدمة بلا حضور قلبي أو إرادة، فما قد يحصل عليه من شيخ الطريقة يحدث له بلا وعي منه، فلا يدري أين هو في الطريق، ولا أي حال حصل أو مقام وصل.



س227: كَيْفَ يُمْكِنُ فَهْمُ تَحَوُّلِ حَالِ الْإِنْسَانِ تَحَوُّلاً جَذَرِيًّا بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ - كما في التعبير عن "لمسة" من حضرة الرسول ﷺ تُبَدِّلُ حَالَ الْكَارِهِ إِلَى مُحِبٍّ - في حين تُؤَكِّدُ التَّربِيَّةَ الصُّوفِيَّةَ عَلَى ضَرُورَةِ الْمَجَاهِدَةِ وَالْإِلْتِمَازِ بِالْأُورَادِ وَالْأَذْكَارِ لِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَالتَّرَقِّيِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمُحِبَّةِ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُنَالُ إِلَّا بِبَذْلِ الْجُهْدِ وَالْمَكَابِدَةِ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ مُعَالَجَةُ هَذَا الْإِشْكَالِ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُ الْعَدَالَةِ، بِحَيْثُ يَبْدُو أَنَّ بَعْضَ التَّحَوُّلَاتِ تَقَعُ بِلَحْظَةٍ، بَيْنَمَا يَحْتَاجُ آخَرُونَ إِلَى مَسَارٍ طَوِيلٍ مِنَ السَّعْيِ وَقَدْ يَبْلُغُونَ أَوْ لَا يَبْلُغُونَ؟

ج: سؤال منطقي مهم.

نعم من العدل أن يحصل ذلك. وتعليل ذلك يتم بكلمة واحدة سبق أن درستموها وهي (الدفعة) وكل دفعة حال، وكل حال يحول. ما حصل عليه فضالة، دفعة مثل أي مريد أو مؤمن آخر، يحصل عليها ليندفع بتأثيرها ثم ينتهي أجلها، ليتعين عليه العمل لكسبها بعرق الجبين.

البعض يحصلون عليها مقدماً، آخرون يحصلون عليها أثناء السلوك، وقلة ربما قبل الممات. البعض يحصلون على دفعات كثيرة متفرقة. كل هذه الاحتمالات واردة بعدالة ضمن الظروف والمؤهلات المناسبة. فلا يأخذ أحد ما لا يستحق، ولا يمنع أحد مما يستحق.

البيعة.. وما أدراك ما البيعة...! أوليست نور فيه دفعة؟ بعضنا أتى يسأل وأعطيتها، وبعضنا ذهب إليه المرشد وكلمه وأعطاه إياها.

وهكذا، نظام الدفعات الروحية متاح، ولكن التعويل كلُّ التعويل على الكسب والعمل الحقيقي للجميع بلا استثناء.

حتى شيخ الطريقة، بعد أن يُصطفى ويجلس على السجادة يُطالَبُ بأعمالٍ وأمور روحية تفوق الدراويش والناس بأشواط.

بل رسولنا المعظم ﷺ حين أعطى الدفعة وأنزل عليه القرآن أخذ يتلو

ويقوم بعزم وهمة لا نظير لها، حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾⁽¹⁾.

إذًا، فضالة لا يختلف في شيء عني وعنك وعن أي أحد، إنما كل يحدث الأمر مع كل شخص بحسبه.

سوى ذلك ينبغي التمييز بين: العدالة والمساواة.

أن يحصل الأمر للجميع بنفس الكيفية فهذه مساواة، وهي باطلة لأن الناس ليسوا نسخ متطابقة ليتم تفعيل خاصية المساواة.

الحواسيب (الكومبيوترات)، لأنها متطابقة في المكونات (الهاردوير) فإن أنظمة التشغيل تأتي فيها متساوية.

لكن البشر ليسوا كذلك، هم مختلفون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾⁽²⁾، بالتالي، فإن يحصل الجميع على نفس الشيء بالمساواة هو ظلم أو يخرق العدالة.

العدالة لن تكون الفرصة متكافئة للجميع، لكن كل يحصل عليها بحسبه كما وكيفاً.

إذًا، منطقيًا، العدالة سارية في الجميع، عن طريق ثنائية (الدفعة والكسب).



س228: هل تقتصر المحبة على الالتزام بالأوراد المخصصة بوصفها الأساس في البناء الروحي، أم أنها تشمل أيضًا أفعالًا أخرى كالخدمة وزيارة الشيخ، وما موقع كل منها في تحقيق معنى المحبة وتثبيتها؟

ج: الأوراد هي الأساس، نعم، لكن جميع أنواع الخدمة والطاعة وعلى رأسها الإرشاد لها آثارها المعتبرة في الطريقة.

1 - [طه: 2].

2 - [هود: 118-119].



س229: تفضّلتم في الدرس بذكر رواية قصة فضالة، والتي دلّت على أنّ هناك حالاتٍ يتقدّم فيها الحبُّ على الذكر. فهل يفهم من ذلك أنّه قد توجد حالاتٌ تتقدّم فيها الطاعةُ على الحبِّ؟ وإن لم تتقدّم، فهل تُعدُّ الطاعةُ – في هذه الحالة – من قبيل الهوى لا الهدى؟

ج: نعم، يمكن أن تتقدّم الإطاعةُ على الحب، فالمعادلة التي ذكرتُ بخصوصِ الذكرِ والحبِّ، يمكنُ تعميمُها بخصوصِ الحبِّ والطاعةِ. الحبُّ يؤدّي إلى الطاعة، والطاعةُ تؤدّي إلى الحب.

* * *

فيما يتعلق بشق السؤال: هل تُعدُّ الإطاعةُ المتقدّمةُ من الهوى أم الهدى؟

الجواب: إذا كان المريد يسمع من الشيخ ويطبق، فهذه إطاعةٌ هدىً بالتأكيد، لأنها قائمةٌ على اتباع خارج النفس. أما إذا كان المريدُ يجتهدُ من نفسه، أو يطبقُ بعض الأمورِ والتي تتطلبُ الإجازةَ ويعملُ بها بلا إجازة، فهذا هو الذي يُسمّى بالهوى.



س230: في حلقات الذكر الكسنزانية، تلاحظ لدى بعض الخلفاء والمريدين حركات خاصة وأصوات قد تكون بغير لغة مفهومة، يُعزى ظهورها إلى ما يُعبر عنه بـ«الحال» الناتج عن التأثير الروحي. فهل يندرج ذلك ضمن أنواع معينة من «الحال»، وهل توجد تصنيفات متعددة له كما يُنقل أنه يتجاوز السبعين نوعاً؟

كما يُثار تساؤل آخر حول البكاء والدموع الملازمة في حلقات الذكر وخارجها عند ذكر المشايخ أو حضرة النبي ﷺ: هل تُعد من مظاهر «الحال»، أم تُفسر بوصفها شوقاً ومحبة؟

ومن جهة أخرى، إذا كان الارتباط الروحي بالبيعة يُعد أساساً في التأهل للحال، فهل المقصود بالمريد هنا هو من سلك طريق الالتزام بالسير والسلوك، أم يشمل ذلك كل من أخذ البيعة ولو لم يلتزم بالأوراد؟

ج: نظراً لتضمين السؤالِ تفرعاتٍ، ستكون الإجابة في نقاط، وكما يلي:

- لا يوجد ما يسمى مقام "الحال"، فإما مقامٌ مقيمٌ وإما حالٌ يحول.
- أنواع الحال بحسب النص الموثق لحضرة السلطان (قدس سره) والذي وصلكم في الدرس هي ثلاثة أنواع: "الحال نورٌ وهو ثلاثة أنواع: حالٌ من قوة الشيخ، وحالٌ من نور الذكر والعبادة، وحالٌ من حضرة الرسول ﷺ".

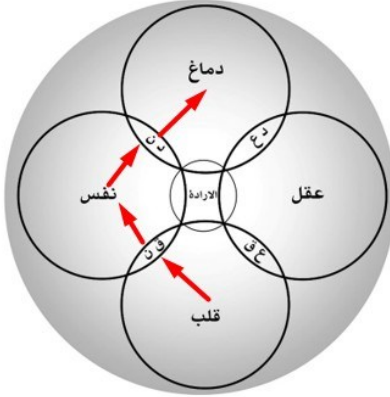
- البكاء والدموع والحركات والأصوات وغيرها ليست أحوالاً بالمعنى الصوفي الكسنزاني الدقيق، إنما هي (وجدٌ أو مواجيدٌ) أي -يجب التركيز هنا- آثارٌ للحال، الذي هو النور حين يحل في القلب.

نُقل عن حضرة الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره المعظم) أنه قال: «الوجدُ على عشر أوجهٍ... ومنها البكاء والتألم، ومنها الخوف والحزن، ومنها التأسف والحيرة عند ذكر الله تعالى، ومنها التحسر والندامة، ومنها التغيّر في الظاهر والباطن، ومنها الطلب لرضاء الله تعالى والشوق، ومنها الحرارة والمرض والتعرق»⁽¹⁾.

1 - الشيخ عبد القادر الكيلاني، سر الأسرار ومظهر الأنوار، ص 75. نقلاً عن موسوعة الكسنزان، ج2 ص 164.

نعم، نطلق عليها اسم (أحوال) مجازاً، لأن هذا هو المتعارف عليه عند غير أهل الاختصاص، وصحيح، هذه المواجهيد (الأحوال مجازاً) تتجاوز في عددها السبعين.

* * *



الذي يحدث هو الآتي: يأتي النور من لدن حضرة الشيخ (قدس سره) مثلاً، وكل نور هو بطبيعته الوجودية، كاشفٌ لظلمةٍ أو ظلماتٍ معينة، فحين يقع كشف الظلمة في منطقة التشابك بين (القلب والنفس ق ن) يحدث تأثر لمشاعر النفس، فينتقل ذلك التأثير عن طريق التشابك بين

(النفس والدماغ د ن) وحين يصل الأمر إلى الدماغ يتحول إلى إشارات حسية تظهر على صورة بكاءٍ أو نحيبٍ أو يتحول إلى رد فعل عضلي فتظهر على الجسم حركات من اهتزازٍ أو رعشةٍ أو قفزاتٍ أو حتى حركاتٍ في أرجاء المكان، إلى غير ذلك من ردود الأفعال الكثيرة التي يمكن قياسها وفقاً للتفسير المتقدم.

لاحظ جميع هذه الصور من ردود الفعل، يُسميها الدراويش (حال) وهذا مفهوم في المنطق العام (السطحي)، لكن في (علم أحوال مقامات الطريقة) يُعدُّ هذا القول غير دقيقٍ علمياً. ردود الأفعال أو الآثار التي تظهر على البدن مهما كان شكلها هي (مواجهيد) تحدث بسبب الحال أو نتيجةً للحال، وليست حالاً.

الحال نورٌ يكشف ظلمةً في الباطن، يكون مصحوباً بأعراض جانبية، وتلك الأعراض هي تلك (المواجهيد) التي أشرنا لها، وهي على الأغلب تظهر بكثرة عند المبتدئين السالكين، لكنها لا تظهر كثيراً عند المنتهين والكاملين.

* * *

عندما يبلغ المريد مبلغ الرجال في الطريقة يصير مثل الجبال، فلا تظهر عليه المواجيد مهما كان في باطنه من أحوال، سُئِلَ حضرة الشيخ الجنيد البغدادي (قدس سره) عن سكونه وقلة إضطراب جوارحه عند السماع، مع أن الحاضرين تصدر منهم أصوات كثيرة وزعقات وبكاء وصياح واستمدادات، فقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾⁽¹⁾. إشارة إلى أَنَّ القلب مضطرب جائل في الملكوت بسبب نزول النور، والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة⁽²⁾، فشبه قوة الرجال بالجبال، بمعنى أَنَّ احتواء أثر الحال (النور) بحيث يبقى لا يظهر على الجسم يتطلب قوة مثل قوة الجبال، في حين أن الباطن يتفاعل معه وبما يتناسب مع ما يرى أو ينكشف له بعد الخروج من ظلمة إلى نور.

وروي عن سهل بن عبد الله التستري، وكان بالبصرة أنه سمع مرة قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يُومِنُ بِالْحَقِّ لِلرَّحْمَنِ﴾⁽³⁾، فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال: "قد ضَعُفْتُ"⁽⁴⁾. أي صار يظهر الوجد على ظاهره.

* * *

في هذا السياق، نرى لأساتذة الطريقة في الذكر مواجيد، يمكن وصفها بأنها (أنيقة دقيقة) وذلك أنهم يتحركون بحركات تبدو عادية مثل حركة اليد، أو حركة الباكورة، لكنها، في واقع الأمر نتيجة لفيضات من الأنوار التي تتعاضد في تنزلها على قلوبهم الطاهرة، ومنها تنبعث في قلوب مريديهم.

ونعم، لاحظنا أن حضرة السلطان (قدس سره) حين تقدم فيه العمر، كان يظهر عليه الكثير من وجد (البكاء) أثناء السماع، في حين

1 - [النمل: 88].

2 - الأمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج2 ص303.

3 - [الفرقان: 26].

4 - المصدر السابق، والجزء والصفحة نفسها.

أَنَّ الشَّيْخَ الحَاضِرَ، ولأنَّه في مرحلةٍ أشدَّه، تبدو على حركاته القوَّة والعزيمةُ وخاصةً في إشاراتِه أثناءَ الذِّكْرِ أو السَّماعِ بعلامةِ النصرِ أو قبضةِ الكف.

فالميزةُ التي نجدُ بموضوعيةٍ أنَّها يمكنُ إثباتها لمواجيدٍ مشايخ الكسنزان بسببِ أحوالهم العظيمة، أنها لا تخالفُ في صورتها ظاهرَ الناسِ حينَ يتمايلونَ قليلاً أو يتفاعلونَ بصورةٍ طبيعيةٍ، أي أنهم لا يزعمونَ أو يقفزونَ أو ما شابهَ، فهذه كما ذكرنا (مواجيدُ أهلِ الإبتداءِ وقليلٌ من السالكين).

- الفرعُ الأخيرُ في السؤال، يطرحُ عمَّا إذا كان الحالُ يأتي لجميعٍ من يأخذُ البيعةَ أم للسالكين؟

نورُ البيعة، متخصصٌ بالربطِ الروحي وليس بالحال، فمن يأخذُ البيعةَ فقد ارتبط، سواء سلك أم لم يسلك، وسواء أعتَرَف أم أنكر. لا شيءٌ أكثرَ من ذلك في نورِ البيعة، فمتى ما أمسك هذا المبيعُ المسبحةً، بدأ يعملُ بالوردِ ولو بعدَ خمسينَ عاماً من أخذِ العهدِ، فإن حالَ الطريقةِ يبدأ بالسريانِ في باطنه كما يسري في باطنِ أي مريدٍ مستجدٍ.

إذاً لا علاقة للبيعةِ بالحال، بل الحالُ متعلِّقٌ بـ(الرسول ﷺ أو الشيخ أو الورد) حصراً.

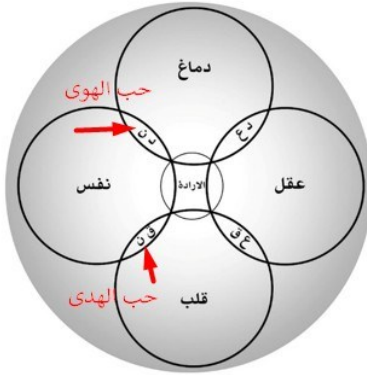
من جهةٍ ثانية: لا حالَ بلا بيعة.

مَثَلُ (البيعة) كمَثَلِ (مقبسِ الكهرباءِ)، لا يسري التيارُ في السلكِ ليصلَ إلى المصباحِ (المريد) فيُضيءُ إلا إنْ وُضِعَ السلكُ (يُدِ المبيع) في المقبسِ، وفي الوقتِ نفسه، فإن التيارَ ليس من المقبسِ بل من مصدرِ الطاقةِ نفسها (الرسول ﷺ أو الشيخ أو الذكر).



س231: ذكرتم في الأساس الثالث أنّ المحبة نوعان: حبٌّ بالهوى وحبٌّ بالهوى. فما التعريف الدقيق لكل منهما من حيث المفهوم والآثار السلوكية؟ وهل توجد تقسيمات أو أنواع أخرى للمحبة ضمن هذا الإطار أو خارجه؟

ج: حبٌّ بالهوى: يقع في منطقة التشابك بين (الدماغ والنفس د س) فيولد عواطفاً إنسانيةً ويثير شهوةً غريزيةً (الجنس). ولأنه يحصل في النفس فهو يكون قريباً من القلب.



الآن، إذا كان هذا الحب متعلق بذات المحبوب نفسه، أي بهويته الباطنة، من حيث هو هو، لا من حيث صورته الظاهرية أو منزلته الاجتماعية أو حتى أخلاقه، بل المحب يتعلق

بنفس المحبوب، بحيث لا يهتم من المحبوب أمر الغريزة أو الشهوة الجنسية، فهذا الحب يكون شفافاً أو كما يسمى (عذرياً) أو (افلاطونياً) ويمس منطقة التداخل بين (النفس القلب ن ق) فيحدث أثراً في القلب، كأن يكون حرارةً أو شيئاً من هذا القبيل، فهنا باطنٌ أثر في باطنٍ، وينتج عن ذلك مشاعر في منطقة التداخل تلك، فيكون مميزاً بين المحبين، ومن الأمثلة المشهورة في ذلك: مجنون ليلي أو جميل بثينة أو غيرهم الآلاف من المحبين الذين لم يشتهروا.

بدرجات أخف أو درجات أقل تحصل مشاعرٌ وقتية عند عموم المحبين، وهي تظهر من وقت إلى آخر، في مواقف أو حالات رومانسية، أما غالب العلاقة فيكون المسيطر عليها الأحاسيس الآتية من النظر والتلامس الحسي وسماع الكلمات الغزلية أو حتى الداعمة، ومن الشهوة الآتية من جهاز التناسل، أي أنّ منطقة التأثير هنا هي (د ن).

المشكلة في هذا النوع من الحب أن بروز آثاره ليست بمستمرة، بل

دورية، تحدثُ بدفقاتٍ غير منتظمةٍ عندما تتوفرُ ظروفٌ بيولوجيةٌ (هرمونية) وتتوافقُ مع ظروفٍ خارجيةٍ مناسبةٍ (رومانسية)، عندها يشعرُ المتحابينَ بتلك اللحظاتِ خارجَ الزمنِ (الوردية)، وهذه قد تبقى لثوانٍ أو دقائقٍ وربما ساعاتٍ وفي حالاتٍ قليلةٍ أياماً، ثم تذهبُ وتبقى الذكرى العالقة.

هذا الأمرُ يجعلُ عيونَ الذكور تستمتعُ بنساءٍ أخرياتٍ، وتجعلُ النساءُ يستمتعنَ بمدحِ زينتِهِنَّ أو أخلاقِهِنَّ أو عقولِهِنَّ من آخرين (ذكوراً وإناثاً) مع الزوج سواءً أكانوا مقربينَ أو غيرَ مقربين.

بحسبِ قوانينِ الغريزة، يفترضُ أن تنتهي العلاقةُ بين الذكرِ والأنثى بمجردِ انتهاء تلك الفورة من الحب والشهوة. يعني تنفُّصُ كما تحصلُ عند الحيوانات تماماً. لكن الله تعالى تدخلَ وجعلَ في الطبيعة الإنسانيةَ أمراً مضافاً اختلفت فيه عن الحيوانات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

ليحدثَ السكنُ بين الزوجين، والسكنُ هو محلُّ الإقامة الثابت والسكونُ عن الحركة إلى مكانٍ آخر. فإن الله تعالى فعلَ خاصيةَ (الجعلِ) والجعلُ قرآنيّاً هو عمليةُ إحداثِ تعديلٍ في الصيرورة، يعني أن يصيرَ الشيءُ شيئاً آخر. فمثلاً تقول: الماءُ عديمُ اللونِ والطعمِ والرائحةِ، فإذا وضعتَ فيه مادةً ملونةً بطعمٍ حلوٍ ورائحةٍ، صارَ الماءُ بلونٍ وطعمٍ ورائحةٍ. عمليةُ التصييرِ تلكَ تسمى قرآنيّاً (الجعلُ)، فأينما جاءت في التنزيلِ الحكيم، فإن قانوناً إلهياً موازياً تدخلُ لإحداثِ تعديلٍ في الطبيعة التكوينية.

يعني: الجعلُ الإلهي تدخلُ فأضافَ (المودةَ والرحمةَ) في العلاقة الزوجية، والهدفُ هو (السكنُ)، أي أن لا ينفصلَ الزوجانِ بعد فتور الإحساسِ والشهوة، فلا يكون الإنسانُ مثلَ الحيواناتِ التي لا رابطَ فيها

إلا الإحساس والشهوة الجنسية وهذا من التكريم الإلهي للإنسان⁽¹⁾.
في رابطة التكريم المجعول في الإنسان بهدف السكن، جرى إضافة أمرين متسلسلين هما: المودة وهذه اقتضت الرحمة.
ما المودة؟ وما الرحمة؟

المودة أمرٌ كسبي، يخضع للإرادة، فإن أرادهُ الشخصُ شريكاً، بقوةٍ كافيةٍ وقَدَّم له أشياءً تتناسبُ مع الولاء (كالمهر أو الصداق) وتعهّد بالالتزام طوال العمر، فإن تلك الأفعال من هذا الشخص وبحسب قوتها تؤثر في الجانب الروحي له، بحيث يرتبط وجدانياً مع الشريك من جهة (النفيس) وليس (القلب). وفي المقابل فإن الأمر يقتضي إرادة مكتسبة من الشريك (الزوجة) تتمثل بالقبول الصميغي للعرض الذي قَدِمَ لها، فإذا أرادت القبول يحدث في نفسها استعدادٌ للتعديل.

هذا التأثير بين إرادة الطلب وإرادة القبول يحتاج إلى شيءٍ ليبقى قائماً، وهذا الشيء هو (الرحمة) في نفس كلٍ منهما كي يصير ساكناً مع الشريك الآخر.

التعديل الذي يحصل في النفس هو أن طبيعتها تُستبدل، فبدلاً من أن تكون مستقلة 100% تصير مرتبطة بنسبة أقل من 100%.

يعني، لا يستطيع الزوج أن يتخلى عن زوجته ولا العكس، في المرض أو الخوف أو القلق أو الجوع أو كافة الظروف الحياتية فأحدهما يسند الآخر. الأمر الأهم، كلٌ منهما يفكر بالانفصال مئات المرات خلال حياتهم، ولكنهم لا يفعلون، التفكير يكون مجرد صورة ناتجة عن أحاسيس وقتية بسبب الشجار أو الخلاف. وهم لا يفعلون لأن (الرحمة) ربطت إرادتهما لبعضهما عند العرض والقبول.

فلما كانا مربوطين بالرحمة، فإنه لا خيار لهما إلا اللجوء إلى (المودة)

1 - نعم هناك تجمعات حيوانية تبقى مع بعضها، وبعض الحيوانات تختص بزوجة واحد، وأمر قد تشبه البشر لكنها ليست شمولية فلا تشمل كل أنواع الحيوانات، وهي في الحد الأدنى المقصر على ممارسة الجنس لأجل التكاثر، وتخضع للغريزة العمياء غير الواعية، بخلاف البشر.

بعدَ الشجارات، لكي تعودَ العلاقةُ إلى مسارها القائم على (السكن). ولما قلنا أنَّ المودةَ أمرٌ كسبيٌّ، وقد زرعَ فينا بالجعل، فالمخطأ من الزوجين سيسعى لتقديم عرض الصلح والاعتذار للآخر، وفي المقابل، فإن الآخر وبسببِ المودة التي زرعها الله فيه ليسكن إلى زوجته، يقبلُ العرضَ ويسامحُ، وتمضي الحياة.

في العديد من النزاعات تكونُ القراراتُ أثناء النزاع: الفراقُ واتخاذُ المواقف الدائمة، ولكن بعدَ فترةٍ قد تكونُ قصيرةً وقد تمتدُّ لأشهرٍ طويلة، تفعلُ المودةُ الإلهيةُ المزروعةُ فيهما فعلها، فتجعلُ أحدهما يُقدِّمُ على تقديم التنازل بصرفِ النظرِ عما هو مصيبٌ أو مخطأ، ويتقبلُ الآخر العرضَ مثلَ عرضِ الزواج، وتعودُ حياتهما.

الوعي والقرار الحر والغريزة عواملٌ تخبرنا باستحالة إقامة الحياة الزوجية بالمطلق، لأنها تمنعُ استقلاليةً مطلقةً تتعلقُ بالهوية الذاتية نفسياً وبيولوجياً، ولكن التدخلَ الإلهي بالجعل، عدلَ من ذلك فصار المستحيلُ ممكناً، وصار الناسُ يتعايشونَ مع بعضهم ولو كانوا غير متفاهمين.

المودةُ في هذا المورد لا تعني المعنى العاطفي الجميل الذي يفهم من اللفظة، بل تعني الحد الأدنى من القبول ولو على مضضٍ، بحيث تستمرُّ العشرة.

لاحظوا الآيات الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾.

تلقونَ إليهم بالمودة، تفهمك أن المودةَ أمرٌ كسبيٌّ، أي تتوددونَ لهم بالعهود أو العطاءات أو الولاءات. وكلُّ أمرٍ كسبيٍّ هو متعلِّقٌ بالارادة من حيث الأصل وليس العاطفة.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾⁽²⁾.

1 - [المتحنة: 1].

2 - [الشورى: 23].

فأن يطلب المودة بدل الأجر المادي، فهذا يعني أن المودة كسبٌ إراديٌّ.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾⁽¹⁾

فالمودة في الأقوال والأفعال والولاءات والعهود والعطاءات التي تكسب الآخر القبول عند المتودد.

العلاقات الزوجية معقدة في تفاصيلها، لكنها لا تخرج عن فضاء دراستها وتحليلها خارج هذا الإطار القرآني.

* * *

(الحب) في العلاقة الزوجية شأنه كشأن (الحال) ووقتٍ.

(المودة والرحمة) في العلاقة الزوجية شأنه كشأن (المقام) دائماً.

يظهر الحب بقدر ما يعمل الزوجين على التماس ظهوره في أحاسيسهما، فيحل، وتتبدى العاطفة، ثم يضمُر لينتظر حتى يستحضراه مجدداً.

أما (المودة والرحمة) فهي قائمةٌ فيهما. وفي حالةٍ واحدةٍ يستطيعان كسرهما، وذلك إذا أرادا بصدقٍ كليهما (الطلاق)، وسيكون مؤلماً غالباً لأن جزء الرحمة الذي جعله الله تعالى فيهما سيفصل. مثل ذلك في الباطن كمثل قطع يد أو عضو من الجسم في الظاهر. كل منهما سيشعر ببعض النقص، ولو أنه كسب حريته الفردية مجدداً، لكن الأثر سيبقى اعتراف به أو أنكره، والذكريات ستبقى تزورهما بحسب المؤثرات الخارجية التي تستدعيها. رغم أن الفراق كان الحل الأمثل لأحدهما أو كليهما.

* * *

إذاً، (حب الهوى): توجه النفس نحو الارتباط الباطني مع شريك.

أما (حب الهدى): فمحله منطقة التشابك بين (القلب والنفس ن ق)، وهذا يحدث حين يأتي النور إلى القلب فيضرب منطقة التشابك هذه،

فتنجذبُ الروحُ إلى ما وراء عالم الشهوة والحس. إلى الأصل النوراني الذي مسها، فيحدثُ عند هذا الممسوسين بنور الله، العزوف عن الشهوة الدنيوية والغرائز البشرية، ولا تطيبُ له طيبات الحياة الدنيا، فضلاً عن خبائثها.

تظهر آثارُ هذا الحبِّ على بدنه، فلا يشتهي الأكل ولا ينام الليل، ويصابُ بما ذُكِرَ في المصنفات المطولة بهذا الخصوص.

حتى إذا استوفى جميعَ شروطِ التحقُّق بهذا الحبِّ، كُشِفَ له عن بصيرته، أن لهذا النور أثرٌ في كل شيءٍ حوله من الطيبات، وأنه بعيدٌ عن الخبائث، يعودُ المحبُّ إلى سيرته مع الناس في اللبس والأكل والسلوك الاعتيادي، غير أنه مختلفٌ عنهم، هم يستطيبون بطعم الطعام، وهو يستطيبُ بطعم الطعام ويطعم النور الذي فيه. فإن رأى الخبيث (المحرم) انصرف عنه لأنه لا يرى فيه أثر النور.

الحديثُ في هذا الباب، له أولٌ وليس له آخر، فلنكتفِ بهذا القدر.

* * *

تتمة السؤال: هل يوجد أنواعٌ أخرى من الحب؟

الجواب: توجد أقسامٌ وليس أنواعاً، فيوجد مثلاً: حبُّ الأم، وحبُّ الأخوة، وحبُّ الناس، وحبُّ العمل، وحبُّ الوطن، وما شابه ذلك كثيراً.

جميعُ هذه الأقسام تندرجُ ضمن (حبِّ الهوى) ابتداءً، ثم إنها تصيرُ مندرجةً تحت بند (حبِّ الهدى) لاحقاً وذلك بعد تنوُّر القلب بالحبِّ الالهي من الربِّ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾⁽¹⁾.

يعني: صاحبُ حبِّ الهدى، كان سابقاً يُحبُّ أمه أو وطنه بالهوى، ولكنه بعد أن يصير من أصحاب مقام (حبِّ الهدى)، يتحولُ ليحبَّ أمه أو وطنه بالهدى (بالله).

الأمر يفهم في سياق: قبل وبعد.

قبل الهدى: كل شيء بالهوى.

بعد الهدى: كل شيء بالهدى (بنور الله).



س232: ورد في الدرس أنه لا يجوز للمرشد أن يحكم على المريد بالنقص. فكيف يمارس المرشد دوره الإرشادي في توجيه المريد عند وجود تقصير في الأوراد أو الطاعة دون الوقوع في "الحكم" عليه؟ وأين يقع الحد الفاصل بين التوجيه التربوي والحكم القيمي على المريد؟

كما ذكر في الأساس الثالث أنه لا يُسمح في الطريقة أن يقول المرشد للمريد: "أنت لا تطيع إذن أنت لا تحب"، باعتبار أن شيخ الطريقة (قدس سره) لم يعتمد هذا الأسلوب مع مريديه.

فما هي المهمة الأساسية للمرشد تجاه المريد في ضوء هذه القاعدة التربوية؟

ج: الحد الفاصل يتلخص في:

أولاً: الحكم على فعل المريد وليس على المريد نفسه.

ثانياً: نذكر القاعدة العامة أو القانون بدون إصدار حكم مباشر.

مثال: يرى خليفة مريداً مقصراً بالورد مثلاً أو بخدمة ما كُلف فيها.

يُسمح أن يقول للمريد: التزم بالأوراد، أو بالخدمة الفلانية فذلك ضروري لأن أجره وقوته الروحية كذا وكذا، والتقصير فيه عاقبته كذا وكذا.

ولا يسمح بالقول المباشر: أنت مقصر في كذا، وسوف تكون عاقبتك كذا وكذا.

أو أن يقول: لن يعطيك المشايخ كذا من الهمة لأنك كذا وكذا.

توجيه الحكم المباشر للمريد باسم المشايخ، غير مسموح.

التذكير بالقواعد والعواقب بشكل عام على تلك الأنواع من التقصيرات هو الحد الفاصل في التوجيه:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، والتذكرة تعني النصح أو الإرشاد العام غير المباشر.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾⁽²⁾، يعني: لا تجبر أحداً، بل ذكر بالقرآن، أي اتل الآية المذكرة فينتبه ويعي هو بنفسه.

وكذلك اذكر أقوال مشايخ الطريقة وتذكيراتهم.

* * *

في أحد الأيام، أجبر أحد الخلفاء الدراويش على النهوض بالقوة إلى صلاة الصبح في التكية الرئيسية في السلمانية، فسحب الأغطية من فوقهم بالقوة وصاح فيهم: قوموا لصلاة ربكم يا غافلين عن ذكر ربكم. ما هي إلا أن أتى الضحى، حتى استدعاه حضرة السلطان (قدس سره) ونهاه عن ذلك قائلاً له - فيما معناه -: مهمتك أن تؤذن، وأن تقيم الصلاة فقط، بذلك تكون قد ذكرت، من يأتي فلنفسه، ومن لا يأتي فعليه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾، لا تعد لمثل ذلك، واستغفر ربك إنه غفور رحيم.

هذا الخليفة بحسن نية، حكم على النائمين عن صلاة الصبح على أنهم غافلين، وتعامل معهم بطريقة الحاكم الذي يكره المحكوم على الفعل، فجاء لسان الحكمة بالتقويم له ولجميع الخلفاء والمرشدين.

* * *

1 - [الذاريات: 55].

2 - [ق: 45].

3 - [يونس: 99].

في علم التصوف: المرشدُ الذي يريد أن يتعلم قاعدةً تربويةً في معاملته مع المريدين، عليه أن يعملَ (دروشته الخاصة) والمقصود بها:

- أن يريدَ من أستاذِ الطريقة تعليمه على تلك القاعدة لتكون خصلةً من خصاله الجديدة فتسري فيه بلا تكلفٍ أو تفكيرٍ، وذلك أن الأستاذَ مرجعُ التعليم والتزكية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾⁽¹⁾.
- أن يمارس -بمعزلٍ عن الدراويش- زياداتٍ في العباداتِ ضمنَ منهجِ الطريقة، من قيامٍ أو ورعٍ أو خدمةٍ أو وردٍ، بالإضافة إلى أعماله المعتادة في حلقات الذكر وتوجيه المريدين، كل ذلك يوجّهه على نية الوصولِ إلى مُرادِهِ والوصولِ عليه وهو هنا: التعلُّمُ الروحيُّ لتلك القاعدة التربوية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾⁽²⁾.



س233: وردَ في الدرسِ أنّ «من يُخالفُ يخرجُ من الفناءِ إلى النفسِ». فهل توجدُ مرتبةٌ يصلُ فيها المريدُ إلى فناءٍ مستقرٍّ لا يُخشى بعده الرجوعُ إلى النفسِ الأمّارة، وما السُّبُلُ أو الضوابطُ التي يُفهمُ من خلالها الوصولُ إلى هذا الاستقرارِ الروحيِّ؟

ج: نعم، إذا اجتازَ المريدُ مرتبةَ (النفسِ الملهمة) وهي التي تنشطُ في مرحلة (السير والسلوك) حتى إذا وصلَ مرتبةَ (النفسِ المطمئنة) فما فوقَ، فقد استقرَّ النورُ في باطنه، ويصيرُ صاحبَ مقامٍ (ذي درجةٍ معلومةٍ قابلةٍ للزيادةٍ بلا نقصان).

من يصلُ إلى هذه المراتبِ؟

المريدُ، العاملُ من أجلِ تحقيقِ إراداته.

1 - [البقرة: 129].

2 - [البقرة: 282].

المريدُ الباذلُ الغالي والنفيس للحصولِ على إرادته.
المريدُ الذي يقولُ لشيخه هذه إرادتي وسوف أعطيك الوردَ والعملَ والطاعةَ التي تريدُ مقابلَ إيصالي لها، هناك يأخذُ منك ما يُريدُ، ويعطيك ما تريدُ (بيعٌ وشراء).



س234: في الدرس التاسع ذُكرَ أَنَّ السيرَ والسلوكَ في الطريقةِ يقومُ على أسسٍ تربويّةٍ متسلسلةٍ تشملُ: البيعةَ، والوردَ، والمحبةَ، والطاعةَ، ثم الفناء.

فما الحكمُ إذا انشغلَ المريدُ بطاعةٍ أخرى كالدراسةِ أو العملِ أو الخدمةِ أو الإرشادِ، ففاته وقتُ الوردِ بسببِ ذلك؟ وهل يُعدُّ هذا الفواتُ تقصيراً في حقِّ الوردِ، أم يُنظرُ إليه ضمنَ بابِ تراحيمِ الطاعاتِ؟ وهل يترتبُ على ذلك أثرٌ في مقامِ الطاعةِ أو المحبةِ عندَ المريدِ؟

ج: الدراسةُ أو العملُ أو الخدمةُ، كلها من طاعاتِ شيخِ الطريقةِ، جميعها من ضمنِ أوامره، الحدُّ الفاصلُ يكمنُ في النيةِ والتوجيهِ. لاحظ: طالبٌ يدرسُ بهدفِ الحصولِ على شهادةٍ إعداديةٍ مثلاً.

لماذا يدرسُ؟

إن كانت نيتهُ أن يدخلَ كليةً مثلاً ويتخرجُ في مهنةٍ محترمةٍ تنفعهُ وأهله، كانَ مصيباً ولكن متوقفاً عن السيرِ والسلوكِ.

وإن كانت نيتهُ أن يدخلَ كليةً مثلاً ويتخرجُ في مهنةٍ محترمةٍ تنفعهُ وأهله وطريقتهُ ومجتمعهُ (في سبيلِ الله)، كانَ مصيباً ومستمراً في السيرِ والسلوكِ.

الإرادةُ، إرادةُ وجهِ الله تعالى في كل شيء، تجعلُ المريدَ مستمراً في السيرِ والسلوكِ.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، أن لا تُقدِّمَ الدراسةَ أو العملَ أو أي التزامٍ آخر كعذرٍ للانقطاعِ الكلي عن الوردِ أو الذكر، بل لا بدَّ من وجودِ أوقاتٍ فراغٍ أو استراحةٍ، هناك يُستغلُّ هذا الوقتُ بالقليلِ من الوردِ

أو الذكر طلباً للهمة والقوة وتحقيق الهدف في سبيل الله، فهذا يجعل الدفع الروحي مستمراً.

إذاً، الوصول والوصول في الطريقة موجود في كل شيء في الحياة، والحكمة تقتضي تنظيم الأمور وتنسيقها وأخذ النصيب من كل شيء. الطالب المريد محظوظ لأن له أبوين يفرحان لنجاحه في الدراسة: أبوه الطيني وأبوه الروحي.

والعامل محظوظ لأن له عائلتين تدعوان له وتنتظرانه: عائلته الطينية وعائلته الروحية.

بهذا التكامل ينهض المريد ويعطي كل شيء حقه ومستحقه.



س235: ورد في الدرس التاسع نصّ لحضرة السلطان (قدس سرّه) جاء فيه: "الأوراد كلها بإجازة من المشايخ، أنت جرب بأوراد غير مجازة من المشايخ، فإنك لن تستفيد منها شيئاً نهائياً".

فهل تُعدّ الأذكار النبوية الواردة في السنة النبوية، والمحدّدة بأعداد وفضائل معيّنة، داخلة في مفهوم "الورد" من حيث الشكل (العدد والمرجو من الأثر)، وبالتالي مشمولة بهذا الكلام؟ أم أنّ المقصود بالأوراد غير المجازة هنا هو ما يُنقل من مجربات الآخرين أو أوراد الطرق الأخرى؟

ج: ما يسمى (الأذكار النبوية) جميعها تُعدّ بعد انتقال حضرة الرسول الأعظم ﷺ من باب الأدعية العامة، وليست أوراداً ذات خصائص روحية، بل يحصل المؤدي لها على الأجور الأخروية.

قضية الأوراد المجازة تشترط الحضور الظاهري للولي المرشد المجيز. فالذين كانوا في زمن الحضرة المحمدية المطهرة، كانت لهم إجازة في تلك الأذكار من حضرته ﷺ، فلما انتقل النور إلى النور، وقام باب مدينة العلم المحمدي، مولانا الإمام علي عليه السلام، من بعده، انتقلت صلاحيات الإجازة بيده، فمن شاء أن يحصل على القوة التي كانت

في زمن الحضرة المحمدية، فعليه أن يذهب إلى الإمام ليجد له الإجازة أو يُعطيه ما يناسبه، وهكذا إستمر انتقال الإجازات الروحية إلى الشيخ الحاضر.

فلو أن مريداً كان عنده وردٌ خاص من حضرة السلطان (قدس سره) فبعد انتقال السلطان يتحول إلى دعاءٍ إلا أن يذهب المريد إلى الشيخ الحاضر، ليرى رأيه في تجديد الإجازة من عدمها.

هكذا هي الأمور الروحية، لا تنفصل عن الأمر الناهي الظاهر، فالباطن لا يعمل بلا ظاهر.



س236: تفضلتم بذكر قول حضرة السلطان (قدس سره): «الأوراد كلها بإجازة من المشايخ، جرب بأوراد غير مجازة من المشايخ فإنك لن تستفيد منها شيئاً نهائياً».

فهل يفهم من ذلك الحكم على مسألة سماع سورة البقرة، أو الرقية الشرعية للتحصين من الحسد أو السحر، وكذلك أذكار الصباح والمساء عند تكرارها يومياً، من حيث الجواز أو عدمه ضمن هذا الإطار؟

ج: هذا موضوع حساس في علم التصوف.

الطريقة الكسنزانية لا تقول بما يسمى الرقي الشرعية والتحسينات المتعارفة عند الناس أبداً.

رقيتنا وتحسيننا قائم في أوردنا وأذكارنا فقط لا غير ذلك على الإطلاق، وخصوصاً ورد (لا إله إلا الله).

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "كلُّ مشكلةٍ حلها بالذكر وأعطيك ضماناً بذلك، اعمل ختمة (لا إله إلا الله) لفلان موضوع، إذا أنت صادق، مؤمن، معتقد، وذكرك صحيح، تنتهي مشكلتك: ﴿لا إله إلا الله حصني من دخل حصني أمن من عذابي﴾، هذا حديث قدسي عن الله ﷻ".

الكسنزانيون لا يعملون بأدعية أو أذكار بصورة مكررة (ورد) بلا إجازة.

بكلماتٍ أخرى: الأدعية العامة أو أو الأذكار الشائعة كلها مقبولة في حدود أنه دعاء عام.

أما اعتماده كمصدرٍ لتحقيق أثرٍ روحي، وارتباط إرادة باطنية به، فهذا فيه مخالفة، وكل مخالفة يترتب عليها أثر سلبي مثل (1-).



س237: في الأساس الثاني ذكر في المحاضرة: الذكر بحضور وبغفلة، وبيّنت أن الذكر بغفلة يوئد حبا باطنيا، ويؤدي أيضا إلى طاعة وإن كانت بنوع من الانقياد غير الواعي. فهل يفهم من ذلك أن العبرة في النهاية هي الوصول إلى الطاعة والتطبيق بوصفه النتيجة المشتركة، أم أن اختلاف "الحضور" في الذكر يُنتج فروقا جوهرية في طبيعة الأثر التربوي؟

ج: في علم التصوف، النتيجة ليست واحدة.

تقول أليس المهم الوصول إلى الطاعة؟

الجواب: الطاعة مهمة لكن لوحدها ليست بكافية.

فمن يصل إلى الطاعة بغفلة يقف عندها، ولا يرقى لما وراءها.

لماذا؟ لأن السير يقتضي الرؤية، فأنت إذا خرجت في طريق تحتاج أن ترى طريقك، والرؤية تقتضي الحضور وليس الغفلة.

دعني أوضح بمثال:

الفرق بين المطيع الغافل والمطيع الحاضر كالفرق بين الأعمى والبصير.

تخيل مريدان: أحدهما أعمى والثاني مبصر، كلاهما يسيران مع شيخ الطريقة في عوالم الروح.

الأعمى موجود، لكنه لا يرى ما يرى شيخ الطريقة والمريد المبصر.

ومن لا يد لا يعلم، ومن لا يعلم لا يكتمل عنده النور والقرب والحضور.

الأعمى لا يترك لوحده، لذا هو دائما قاصر ومقصر.

المبصر بعد أن ينضج يترك لوحده لكي يكتمل ويكمل.

الفوراق جسيمة بين (الغافل) و(الحاضر)، ولو كانا متساويان في النتيجة، لَمْ فَرَّقَ بينهما مشايخُ الطريقة.

يقول حضرة السلطان قدس سره: " يجب أن تكون الصَّلوات بحضور القلب، أنت كيف تصلي عليه وأنت غافل، أما تستحي تتكلم مع حضرة الرسول ﷺ وقلبك ليس معه ﷺ، عينك وقلبك بغير مكانٍ وتقول: أنا أصلي على الرسول ﷺ.

يجب أن يكونَ عندكَ الوضوءُ وحضورُ القلبِ، يجبُ أن تتصورَ نفسك أنك أمامَ حضرةِ الرسولِ ﷺ وتتكلمُ معه ﷺ، ففي هذه الحالة أنت تربحُ أكثرَ بمحبةِ الرسولِ ﷺ، أكثرَ من أنك تصلي عليه وليسَ عندكَ وضوءٌ.

أقلُّ شيءٍ في حالِ الصلاةِ على الرسولِ أن يكونَ قلبك حاضراً معه ﷺ، لأنَّ الصَّلوات عبارةٌ عن نداءٍ رُوحِيٍّ خاصٍ يتوجهُ على إثره حضرةُ الرسولِ ﷺ إلى مواجهةِ قلبِ المصلي، فإذا توجهَ ﷺ على قلبك، فينبغي أن لا يجده مشغولاً بالدنيا، وإلا فإنه يُعرضُ عن المريدِ روحياً، وقد يؤثرُ هذا في حالك.

فليسَ من الأدب أن تنادي على شخصٍ وحين يلتفتُ إليك تتركه وتكلمُ غيره، فلا شكَّ أنَّه لن يرضى عنك، وهكذا هي الصَّلوات، إنها نداءٌ يربطُ قلبك بالرسولِ ﷺ من خلال الشيخ. وهكذا الحالُ مع الختمات".

* * *

تنبيهٌ مهمٌ: هذا التوضيحُ لا يعني أنني لا أذكرُ أو أسبِّحُ إلا إذا كنتُ في حضورٍ.

إطلاقاً ليسَ هذا هو المقصود.

المقصودُ أن لا نركنَ لذكرِ الغفلةِ ونعدهُ أمراً كافياً مغنياً ولا حاجةَ لنا في بذلِ الجُهدِ إلى ذكرِ الحضور.

على ذكرِ الغفلةِ أن يكونَ اضطرارياً وليسَ اختيارياً.



س238: ذكرتم أن من يقول إن الدرويش ناقص في أمر ما يعرض نفسه للمساءلة الروحية من مشايخ الطريقة. فهل يفهم من ذلك وجود ضوابط خاصة في توجيه الملاحظات أو النقد؟ وهل تجوز النصيحة إذا وجد في الدرويش سلوك أو أمر معين يحتاج إلى تصحيح، وما حدود ذلك وآدابه؟

ج: بيّنا فيما تقدم من إجابة على سؤال سابق، أن القول متعلق بالحكم على مريد وليس على فعله، فليراجع للاستزادة. أما الإضافة هنا فمتعلقة بموضوع (النصيحة):

النصح ينقسم إلى قسمين: نصح بالهدى ونصح بالهوى.

- نصح الهدى: هو الذي يكون بصورة عامة، للناس أو لمجموعة بعينها، وليس للأفراد، ويكون عبارة عن محاولة وصل بين الهادي والمهتدي.
﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾،
فلاحظ النصح للقوم.

- نصح الهوى: وهذا يكون مع الأفراد عادةً، ولا يبتغى فيه وجه الله سبحانه وتعالى، بل فيه مأرب في النفس. ومثاله:

وسوسة الشيطان لآدم وزوجه ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽²⁾، ونعلم أنه كاذب.

أخوة يوسف عليه السلام ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾⁽³⁾، ونعلم أنهم كانوا يريدون أن يلقيه في غيابة الجب لا أن يعلموه الصيد في البر مثلما قالوا.

السؤال: ماذا إذا كنت أريد أن أنصح فرداً في سبيل الله (للهدى وليس الهوى)؟

1 - [الأعراف: 61-62].

2 - [الأعراف: 21].

3 - [يوسف: 11].

الجواب: يُنصَح بهذا النصح في حالتين:

- الحالة الأولى: إذا كنت موقناً من أذى أو مضرة ظاهرية ستقع أو تلحق بذلك الشخص، فيمكن أن أبادئه النصح لأخذ الحذر، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽¹⁾، فهذا الرجل نصح النبي موسى ﷺ ابتداءً لأنه تيقن من أن سوءاً سيقع عليه.
- الحالة الثانية: إذا سألك الشخص بنفسه النصيحة، فحينها تقدمها له بلين لا بصراحة فظة.

عدا هاتين الحالتين، أي إذا لم يكن هناك أذى ظاهراً متوقعاً، أو أن المريد أو المريدة لم يسألا النصح، وكنت ترى مصلحة في النصح، فالأفضل هو ذكر النصيحة في مجموعة للجميع وهو من بينهم، فإن كان يريد الاستفادة من النصح، فسوف يتلقفها بطريقة غير مباشرة منك وينتصح. وإن لم يأخذ بها، فحتى لو نصحته مفرداً ما كان ليأخذ بها، وفوق ذلك كان سيحصل في نفسه شيء تجاهك، ولست تريد ذلك بالتأكيد.

بقيت نقطة أخيرة:

في حالة ارتكب أحد المريدين خطأ في حق غيره، أو في حق التكية، بحيث يستحق التوجيه المباشر، فحذار ثم حذار من فعل ذلك أمام ثالث معكما أو أمام البقية، وكما يقول الإمام الشافعي: تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي أَنْفِرَادِي .. وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ .. مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي .. فَلَا تَجَزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةٌ



س239: كيف يمكن للمريد التمييز بين الطاعة الواعية والطاعة غير الواعية (العمياء) من حيث الفهم والسلوك والأثر التربوي؟

ج: هذه نقطة دقيقة في علم التصوف، وقد يصعب على غير الواقفين عند مفترق طرقها أن يقعوا على فهم الإجابة، ولكن سنحاول:

الأصل في الطاعة الإرادة الحرة.

حتى السماء والأرض عندما سألهما الله تعالى ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾⁽¹⁾.

الآن، قبل الطريقة بإمكان المؤمن أن يفعل ما يشاء من أوراد. بعد الطريقة، يُمنع منعاً باتاً على المريد أن يعمل بغير أوراد الطريقة المجازة.

السؤال: هل طاعة المريد في ذلك عمياء أم مبصرة؟

الجواب:

- إن كان قد قرر أن يمارس التجربة الروحية ليكتشف الفوائد التي أخبر عنها شيخ الطريقة، وسار وسلك في ذلك، فإن طاعته والتزامه بالأوراد المقررة دون سواها هو قائم على أساس الطاعة الواعية.
- أما إن كان قد قرر أن يُسبِّح بهذا العدد فقط لأنهم قالوا له ذلك، وأنه يثق أنهم صادقون مسبقاً، بصرف النظر عن رؤية آثار الأوراد من عدمها في نفسه، فإن هذه الطاعة عمياء.

أي الطاعتين صحيحة؟

كلاهما، فبعض المريدين، حالتهم النفسية والباطنية غير مؤهلة إلا للطاعة العمياء.

في حين أن حالة آخرين النفسية والباطنية لا تتقبل إلا المعرفة، فهؤلاء أصحاب الطاعة المبصرة.

قولنا كلتاهما صحيحتان لا تعني المساواة، بل العدالة، إذ لكل طاعة حقها ومستحقها، بما يتناسب وشأنها.

* * *

إذًا، صاحب الطاعة العمياء يتنازل عن إرادته الحرة بمحض إراداته. وصاحب الطاعة المبصرة، يُبقي إراداته الحرة، وهو يفعلها دائماً في كل أمرٍ بمحض إراداته الحرة، لا لمجرد أن أمراً أنه فهو ينفذ بلا قرارٍ خاص.

مثلاً، يقول: شيخ الطريقة أخرجوا للإرشاد.

صاحب الطاعة العمياء: يقول الشيخ أرادَ وأمرَ، سأنفذُ.

صاحب الطاعة المبصرة: يقول الشيخ أرادَ وأمرَ، أنا أريدُ تنفيذَ ما أمرَ به الشيخُ، سأنفذُ.

سيتوهم البعض هنا: أن هناك (أنا) في هذه العملية وهي مذمومة؟ الحقيقة: ليست كل (أنا) مذمومة.

ال(أنا) التي تأمرُك باتباع (الهوى) مذمومة.

ال(أنا) التي تأمرُك باتباع (الهدى) في كل مرةٍ، محمودة.

الأنا التي جاهدها الصوفية ولا زالوا بكل قوتهم، هي (أنا الهوى) وليست أنا الهدى.

نعم، هناك مرحلة من السلوك الصوفي، تنغمس فيها ال(أنا) في حب ال (هو) لتفنى عن هواها وتبقى في هدى (هو).

بعد التحقق بمقام الفناء تعود إلى شأنها الأول، وحين تعود تكون (أنا هدى) لا (أنا هوى) فقد تخلت وتحلت وتحققت.

قد يغلب على هذه الإجابة بعض الرمزية، لكنها هنا ضرورية، وقد نوهت مسبقاً إلى خصوصية هذه الإجابة.



س240: هناك بعض الأشخاص يأخذون البيعة بدافع قضاء حاجة معينة، فتراهم يلزمون الأوراد ويقبلون على التكية، ثم عند انقضاء حاجتهم يتركون ذلك، وإذا وقعوا في ضيق آخر عادوا إليه مرة أخرى.

فما الحكم التربوي في التعامل مع هذا النمط من السلوك؟ وهل يمكن أن تتحقق لهم المحبة والترقي الروحي مستقبلاً عبر الاستمرار في نصحهم وإرشادهم بعدم ترك الطريق في جميع الأحوال، أم يترك أمرهم لكون دافعهم في الأصل مرتبطاً بالمصلحة فقط؟

ج: بل الإرشاد الإرشاد، والتذكرة التذكرة.

لا حكم عليهم، لا اتخاذ موقف مسبق منهم، بل التذكرة.

في كل مرة يجري التعامل مع أحدهم وكأنها أول مرة له.

مع أخذ ملاحظة مهمة بنظر الاعتبار:

إرشاد هؤلاء ليس بالتعمد، يعني: ليس المقصود أنه كلما حدث لقاء أن تصير مبادرة للإرشاد. ليس الأمر هكذا.

بل الأمر يكون: عند سؤال أحدهم عن الطريقة مثلاً. أو أن يكون الحديث أمامهم بصورة غير مباشرة، أو أن يكون حديثاً عن النفس كأن تتحدث مع أحدهم وتذكر أنك ذهبت للتكية وحصل كذا وجرى كذا من باب إذكاء التشويق والترغيب.

الإرشاد عملية شاقة شيقة، ولهذا أجراها هو الأعظم.



س241: كيف يسهم حضور القلب في تحويل الذكر من مجرد تكرار لفظي إلى حالة محبة فاعلة تؤثر في بناء السلوك الروحي للمريد؟

ج: هذه النقطة هي القلب النابض لعلم التصوف في الطريقة.
كل عمل له تأثير فيما يجانسه.

عمل الظاهر له تأثير فيما يجانسه في عالم الظاهر.

عمل الباطن له تأثير فيما يجانسه في عالم الباطن.

إذا رأيت سائلاً، وأشفقت عليه، وأخرجت ما في جيبك وأعطيته إياه، فهذا عمل ظاهر، أثر في وضع السائل، وساعده المأل الذي أنفقته عليه.

أنت بذلك أحدثت تغييراً في عالم الظاهر، وهذا التأثير وقع في (واقع خارجك) أعني السائل الذي تحسن واقعه.

أنت ماذا استفدت في الظاهر، لنقل: شعرت ببعض الرضا عن نفسك، وأنت عملت حسناً، وهذا وارد، بل هذا ما عليه الأمر بالنسبة لجميع المحسنين.

لكن السؤال: هل كان بالإمكان أفضل مما كان؟

أي هل كان بالإمكان أن تحقق أكثر من فائدة في هذا العمل؟

الجواب: نعم، كان بالإمكان أن تعمل عمليين في الوقت نفسه: عمل في الظاهر وعمل في الباطن.

أما العمل في الظاهر: فأن تُنفق لتساعد الآخر.

وأما العمل في الباطن: أن تنوي بأن يكون عملك في سبيل الله (وليس مجرد شفقة إنسانية).

بنيتك أن يكون الإنفاق في سبيل الله، فإن الأثر يصير فوراً زوجياً:

السائل يتغير شيء من حياته في الدنيا فوراً.

وأنت تتغير شيء من حياتك الروحية (القلبية) والأخروية فوراً أيضاً.

يدك، أثرت في الظاهر ونفسك. ونيتك، أثرت في الباطن وقلبك.

* * *

بالطريقة نفسها يمكن التعامل مع الذكر.

الذكر لفظ ظاهر، ونور باطن.

إذا ذكرت بلسانك فقط، أي بظاهر الذكر فقط، يكون لك أجر الظاهر فقط. وأجر الظاهر خارج عن قلبك، إنه هناك في آخرتك.

أما إذا ذكرت بلسانك واستحضرت نور الذكر لإنزاله في قلبك، فالفعل الواحد سيحقق أمرين: أجر في آخرتك، وأجر في الدنيا تحصل عليه فوراً هناك.

ونور الذكر ينزل في قلبك وأنت داخل الدنيا هنا فوراً.

وكل نور من لفظة من ألفاظ الذكر ينزل في القلب، يعمل عمل المغناطيس، الذي يجذب إلى أصله ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹⁾، وبانجذاب أنوار الذكر إلى الله تعالى، يجذب قلبك إليه.

وهنا يأتي دور شيخ الطريقة، فهو صاحب النور الأعظم في الطريقة، لكونه المجاز بمشيخة الطريقة، وكونه الفاني في نور الله تعالى ورسوله ﷺ، فأقرب مرتبة يتواصل معها النور الذي نزل في قلبك هو نور شيخك الباطني.

وبانجذاب القلب إلى الشيخ تتأثر دائرة التداخل بين (القلب والنفس ق ن)، فتظهر مشاعر الحب، وتشعر بها، فأول من تحبه هو النور الأكبر الأقرب لك، شيخك.

فإن أحببته، أثر حبه فيك، إذ تنهض بهمة الحب وعزيمته على طاعته، لا تريد جزاء ولا شكوراً.

فإن نهضت في الطاعة، يكون متاحاً لك أن تريد جميع إرادات الطريقة، فتستهدف الذي أنت أحوج ما تكون إليه، وتريده، خلال

ذكركَ ومحبتكَ وطاعتكَ، وهنا تُحَصِّلُ الجائزةَ الكبرى:

مثلما تَذْكُرُ، تَذْكُرُ أكثر.

ومثلما تُحِبُّ، تُحِبُّ أكثر.

ومثلما تُطِيعُ، تُطَاعُ أكثر.

نعم شيخُ الطريقةِ يطِيعُ المريدَ أكثرَ من طاعةِ المريدِ لشيخِ الطريقةِ.

أنت تسارعُ بمحبةٍ إلى الذكر والخدمة والعمل القلبي (الإرادة) وهو يسارعُ إلى تزويدك بالأحوالِ وتعبيرك للمناماتِ ويسيرُ بك، بل أحياناً يطيرُ بك في مراقي الروح، دونَ أن يشعرَ أحدٌ من الذين حولك بما لديك من لدنه.

فهذا غيْضٌ من فيضِ تأثيرِ الذكرِ بحضورٍ على السيرِ والسلوكِ.



س242: ذكرتُ أَنَّ الطاعةَ تُعدُّ وسيلةً لإعادةِ تشكيلِ البنيةِ الباطنيةِ للمريد. فكيفَ يمكنُ التمييزُ بينَ الطاعةِ التي تنبُعُ من المحبةِ، وبينَ الطاعةِ التي تكونُ مدفوعةً بالخوفِ؟

ج: أحسنتَ السؤالَ.

الحُبُّ والخوفُ وجهانِ لحقيقةٍ واحدةٍ، وآثارهما في علمِ التصوفِ: الجمالُ والجلالُ.

لا يكتملُ الجمالُ إلا بالجلال، ولا يكتملُ الحُبُّ إلا بالخوفِ (وهذا يغيب على كثيرين).

صاحبُ الوجدِ يخافُ الفقدَ.

الخوفُ من فقدانِ، الخوفُ من الإبعادِ، الخوفُ من الإيقافِ، الخوفُ من الحَجَبِ، الخوفُ من، ومن، ومن..

الخوفُ جزءٌ لا يتجزأ من السَّيرِ والسُّلوكِ، كيفَ لا وهوَ مقامٌ من مقاماتِ الطريقةِ.

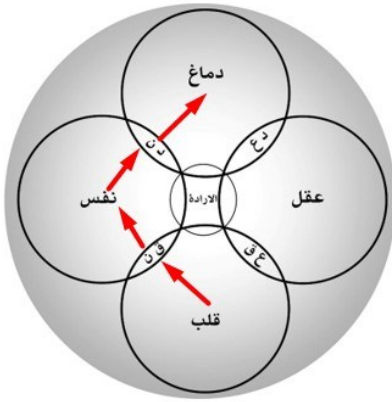
يقول سلطان الطريقة (قُدس سره): "يَجِبُ أَنْ تَطْلُبَ الْحَبَّ، وَإِذَا صَارَ عِنْدَكَ الْحَبُّ يَجِبُ أَنْ تَخَافَ".

ويقول حضرته (قُدس سره): "الذي ليسَ عندهُ خوفٌ ليسَ عندهُ عبادة".

السؤال: لماذا الخوف؟

الجواب: لتحقيقِ أمورٍ كثيرة، أهمها: أنه يُثْمَرُ الانتِهَاءُ عن الهوى تلقائياً وبلا تكلف، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾⁽¹⁾.

لاحظ، أن دائرة الخوفِ تقعُ في منطقتي التشابكِ بينَ (القلبِ والنفسِ



ق ن)، فالقلبُ إن نزلَ فيه نورُ الجلالِ (حالٍ) فإنَّ تلكَ المنطقةَ تصابُ

بمشاعرِ الخوفِ من الإبعادِ ومن

الحجبِ عن ذلكَ النورِ المهيّب، وهي

تشعرُ بذلك ترسلُ للنفسِ قوةً رادعةً

عن ارتكابِ أي مخالفة، فينتقلُ هذا

التوجيه الباطنيُّ عن طريق منطقةِ

التشابكِ بينَ (النفسِ والدماغِ ن د)

إلى الدماغ، فيجدُ المريدُ نفسهُ ممتنعةً تلقائياً عن المنهيات، و يهربُ

حتى من التفكيرِ في المخالفة.

كيف تميز:

إن كنتَ تركزُ في طاعتك على فعلِ الأوامرِ فأنتَ أقربُ إلى أهلِ المحبة.

وإن كنتَ تركزُ في طاعتك على الانتِهَاء عن المنهيات فأنتَ أقربُ إلى

أهلِ الخوف.

أما إن كنتَ بينَ هذهِ وتلكَ، فقلبك يتقلبُ بينَ الجمالِ والجلال.



س243: هل يُعدُّ نقصُ الوردِ أو عدمُ إتمامه دليلاً على ضعفِ محبةِ المريدِ لمشايقه، أم أنَّ المحبةَ تُعدُّ حالةً قلبيةً مستقلةً لا يُحكمُ عليها من خلال الالتزام الكمي بالوردِ فقط؟

ج: ليس دائماً.

أحياناً نعم، يكونُ نقصُ الوردِ دليلاً على نقصِ محبةِ المريدِ.

وأحياناً لا، لا يكونُ نقصُ الوردِ دليلاً على نقصِ المحبةِ.

الأمر يتوقفُ على العديد من المتغيرات:

هل المريدُ مبتدئٌ أم سالكٌ، أم واصلٌ، أم منتهٍ؟

هل المريدُ قد بلغَ مبلغَ الفناء، وفي أي مقامٍ منه، أم لا؟

هل المريدُ، مريدٌ، أي يريدُ، أم هو لا يريدُ؟

هل المريدُ صاحبُ تجربةٍ صوفيةٍ في الطريقةِ كاملةً أو جزئيةً أم ليس

صاحبَ تجربةٍ؟

هذه الأمورُ وغيرها، يجبُ أن تعرفَ بدقةٍ ليقالَ عنه أنَّ القصورَ في

وردهِ يؤثرُ على محبتهِ أو لا.

وذلك أنَّ حالاتٍ معينة ومعرفةٍ في التصوفِ، لكنها خاصةٌ جداً يكونُ

فيها الوردُ حجابٌ عن الحب، ففي حالاتٍ خاصةٍ يوصفُ للمريدِ الإكثارُ

من الوردِ، وفي حالاتٍ أخرى التخفيفُ أو حتى التوقفُ المؤقت.

هذا يختلفُ عن تركِ الوردِ، تهاوناً أو كسلاً أو نسياناً أو غفلةً أو

انشغالاً عنه أو عدمَ إعطائه أولويةً.

من يشخصُ ذلك، أستاذُ الطريقةِ روحياً، وإذا توفرَ خليفةٌ صاحبُ

تجربةٍ روحيةٍ كاملةٍ وإجازةٍ بالتربية، فيمكنُ أن يُشخصَ ذلك أيضاً،

ويعرفُ تماماً ماذا يقولُ للمريدِ وكيف يعُبِّرُ به إلى بر الأمانِ لاستكمال

مسيرتهِ الروحية، وذلك لأنه هوَ سبقُ أن اجتازَ ذلك بنفسه. وقلنا هذا

علمٌ، قابلٌ للتكرار، باستخدام الآلياتِ نفسها.



س244: تفضّلتُم بالحديث عن الفرق بين الحضور والغفلة في إظهار أثر الحب، كما بيّنتُم الفرق بين الذكر والمذكور في ورد الصلاة، وأن استحضار الإرادة يحقق المُرَاد. فهل يمكن فهم أن هذا المعنى ينسحب أيضًا على الأوراد عمومًا؟ وإذا كان كذلك، فما جهة حضور القلب تحديدًا: هل يكون مع الإرادة، أم مع الذكر، أم مع المذكور؟ وكيف تُفهم آلية حضور القلب في هذا السياق؟

ج: نعم، ينطبق على الأوراد.

أما مع من يحضر القلب؟ مع الإرادة؟

القلب شيءٌ والإرادة شيءٌ آخر، هما ملكتان باطنيتان، ولكلٌ منهما عمله. الإرادة، ليس فيها حضورٌ بل التوجُّه العامُّ لما تريدهُ في يومك هذا أو عملك هذا.

أما القلب، فهو صاحبُ الحضور، محلُّ عرشِ الرحمن، وهو بيتُ الذكرِ (التيكَةُ الباطنة)، بمعنى المحلِّ الذي ينزلُ فيه الذكرُ. القلبُ يستحضرُ الذكرَ، الذكرُ أمرٌ خارجيٌّ يتمُّ تنزيلُهُ بالنطقِ والرابطةِ في القلب.

القلبُ يستحضرُ المذكورَ، كيف؟

يقول السلطان (قدس سره): "عليك أن تُغلقَ عينك وتفتحَ قلبك إلى قلبِ الشيخ، ومن قلبٍ إلى قلبٍ إلى قلبِ الرسول ﷺ، إلى الله تعالى، وهذا يسموه: حضورُ القلبِ، ربطُ القلبِ، الرابطةُ".

كيف تفتحُ قلبك؟ أن تتصوّرَ نفسك أمامَ حضرة الشيخ حقًّا وحقيقة. وفي حالة الصَّلوات تتصوّرُ أنك أمامَ حضرة الرسول الأعظم ﷺ.

هذه هي كيفيةُ إستحضارِ المذكور.

التسلسلُ العمليُّ:

هل تريدينَ الحبَّ؟

الإرادة: هي التوجُّه العامُّ للحصولِ على الحب.

النية: تحديد مقولة معينة، مثل: على نية الحصول على حبّ الشيخ، مدد يا الله مدد يا رسول الله مدد يا أستاذ الطريقة.
الرابطة القلبية: إغماض العينين واستحضار أنك بين يديه أو هو حاضر قربك يراقب ظاهرك وباطنك.

الذكر: البدء بالورد (ورد العصر مثلاً) بصوت مناسب مع تخيل أنك تنزل نور الذكر في القلب أمام حضرة الشيخ.
قبل ذلك كله: الوضوء. والجلوس على الركبتين مثل وضعية الجلوس في الصلاة، أو الترتيع. هذه آداب وقواعد الدخول المثالية لحضرة الذكر والمذكور.

ثم، هناك تساهيل بحسب الظرف والزمان والمكان والحالة، تقدّر بأقدارها.



س245: هل يُسهّم "الحال" أو النور الناتج عن الأذكار والعبادات، إلى جانب آثاره الروحية، في تحقيق نوع من المجانسة أو التناسق بين الروح والجسد، بحيث يقلص الفجوة أو التباين بينهما من حيث التأثير والتوجه والسلوك؟

ج: إطلاقاً لا يمكن أن تحدث مجانسة بين طبيعتين متميزتين تمايزاً حاداً كالمادة العادية والمادة الروحية.

يوجد بينهما تشابك يتم بنور الله تعالى، وهو تشابك في مستواه العام لجميع الكائنات والكينونات.

الذي يحصل في الطريقة أن يصبح عند مريديها نسب تشابك فائقة أو غير تقليدية، تعدّ مستحيلة من الناحية العلمية، لكنها عادية عندهم، فيحصلون على خصائص روحية لا توجد عند سواهم.



س246: هل يُعدُّ من صلاحيات الخليفة تنظيم مسألة "الأحوال" داخل التكية، بحيثُ يَمنعُ ظهورَها أو التعاملَ معها، أو يحاسبُ من يظهرُ عليه حالٌ باعتباره غيرَ صادقٍ أو غيرَ معتبرٍ؟ وما الضوابطُ التربويَّةُ أو المنهجيةُ التي يُفهمُ من خلالها هذا النوعُ من التنظيم؟

ج: الخليفة مسؤولٌ إداريٌّ، يشرفُ على تنظيم أمورِ التكية بجانبها الظاهريِّ والتربويِّ الصوفيِّ.

نعم، إن رأى الخليفة أن بعض السلوكيات تجاوزت حدود السلوك الصوفيِّ المعتاد، أو أنها تؤثرُ سلباً على المريدين أو التكية، فله التدخلُ في التنظيم، على أن لا يعمم، فيمنعُ كلَّ شيءٍ بالمطلق، أو أن يتدخلَ في كل صغيرة وكبيرة، بل يؤشِّرُ إلى الحالة السلبية، ويوضحُ الخللَ فيها، ويرشُدُ إلى تجنبها.

الخلفاء بحسبِ ممارساتهم وحضورهم المئات وربما الآلاف من حلقات الذكر، تتراكمُ عندهم خبرةٌ يشعرونَ من خلالها بمن هو صاحبُ حالٍ، أو من يتكلفه، أو من يبدأ بحالٍ ثم يستطيبُ ويكرره تكلفاً بلا حال. الحكمة والأبوية والأسلوبُ الربانيُّ مطلوبٌ في تربية المريدين على معرفة أنفسهم وأحوالهم.

لا يعني هذا أنهم لا يخطئون، لكنَّهم يعملونَ بحسبِ مكنتهم ومقاماتهم على حملِ هذه المسؤوليةِ الكبيرة. المشايخُ، حاضرون وناظرون، وسوف تجدُ لصاحبِ الحالِ الحق، الوضعَ الأمثلَ له.

النصيحةُ الأمثلُ للخلفاء: لا إفراط ولا تفريط، وابتغوا بينَ ذلك سبيلاً.



الدرس العاشر

قواعد الاستعداد للخروج إلى الإرشاد

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ
أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

القاعدة الأولى: الشروع بتجديد الإرادة

ينبغي أن يُباشِر الإرشادُ بإرادةٍ واعيةٍ حاضرة، فإن لم يتمكن المرشدُ من استحضارها، استعان بالذكر والاستمداد من الشيخ لطلبها، فإن لم تكن حاضرةً لديه ولم تُطلب، فطاعةُ أمرٍ أستاذ الطريقة معتبرة، وأجرُ الإرشاد وأثره يُقدَّر بقدرها.

المرشد صاحب الإرادة:

علامته أنه يحب الإرشاد ويرغب في أدائه دائماً، سواء أتى توجيهه من شيخ الطريقة بالإرشاد أم لم يأت. هذا المرشد، يجد قوته، وسعادته الروحية، في الإرشاد، فهذا صاحب مقام من مقامات الهداية وليس بصاحب حال.

وعلامته كذلك هو ألا يهتم كثيراً في حالة عدم استجابة بعض الناس لإرشاده، أو إذا أُوذِيَ في سبيل الله بالصد أو القول السيئ أو ما شابه فسرعان ما يجتاز ذلك التأثير إذ يُشفي جراح نفسه بآية من الذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽¹⁾، فوعيه بأنَّ عملُ يُدخله في فريق الصابرين المحسنين، وهم أصحاب المعية الإلهية. إنَّ حضور هذه المرتبة العليا في باطنه تجعله متوهجاً بهمة الإرشاد، فيشفى بسرعة وتزداد همته باستمرار. فهذا المستوى هو الأكمل، وهو الأصل فيمن يسمى "المرشد الكسنزاني".



المرشد طالب الإرادة:

هو الذي لا يجد في نفسه تلك الإرادة الملحة الملزمة، لكنه يشعر بحاجته إليها، فيلجأ إلى أستاذ الطريق، ويستثمر حلقات الذكر واستمدادها، وكذلك الورد، والتسبيح، ليرتقي من أهل الرغبة إلى أهل الإرادة.

توضيح: هناك فرق بين الرغبة والإرادة

الرغبة: هي ميل داخلي إلى شيء تحبه النفس أو تستحسنه، وقد تكون عاطفة سريعة، أو أمنية لطيفة، أو اشتهاً مؤقتاً. والرغبة قد تشتد وتضعف بحسب المزاج والظرف، وقد تبقى في حدود التمني دون أن تتحول إلى فعل. لذلك يمكن أن يرغب الإنسان في الخير وهو لا يفعله، ويرغب في التغيير وهو لا يبدأ.

الإرادة: هي قرار واع ملزم للنفس، يترجم الميل إلى التزام، ويحول التمني إلى عمل. الإرادة ليست مجرد إحساس، بل هي قوة توجيه وضبط، تجعل الإنسان يختار ويثبت ويستمر، حتى عندما تخف الرغبة أو تعارضها الراحة أو العادة. ولذلك قد يضعف الشعور، لكن الإرادة تبقى وتدفع إلى الإنجاز.

تذكير: في الكسنزانية، من يدق الباب يأتيه الجواب.

يعني: من يواظب على الاستمداد على إرادة حقة، ولو كان يريد الإرادة نفسها، ويطلب مقابل ذكره وورده تلك الإرادة، فإنه يستجاب له، ويعطى ما سأل، فيعمل بتلك الإرادة ويجني من الأجور أضعاف ما أنفق.

هذا المستوى من المرشدين محمود، لأن صاحبه نظر في نفسه وأدرك نقصه، فلم يكتف بذلك بل طلب من شيخه الكمال، وكل شيخ حق أب، لا أجمل على قلبه من أن يساعد ابنه الروحي.

المرشدُ المنفُذُ بلا إرادةٍ:

هو المرشدُ الذي لا يجدُ في نفسه ذلك الشغفَ أو الاستعدادَ للإرشادِ ولا يطلبُ الإرادةَ من شيخه، إما لجهله بهذا الأمرِ أو لتهاونه، ولكنه مع ذلك يلتزمُ بتنفيذِ الأمرِ الصادرِ إليه من أستاذه على وجه الطاعةِ والانضباطِ الوقتيِّ.

هذا عملٌ حسنٌ، وله أجره من جهةِ الامتثال، وإن كان مما يُعدّ من بابِ أضعفِ الإيمانِ في مقامِ الإرشاد، فهو عملٌ كريمٌ، إذ ما دونه التقصير. وعليه، فإنَّ الإرشادَ الأكملَ ما صدرَ عن إرادةٍ ذاتيةٍ مُهذَّبةٍ بالذكرِ، ويليه ما طُلبَ بالتزكية، ويبقى الامتثالُ المجردُ عملاً مقبولاً في ميزانِ الطاعةِ، وإن تفاوتت ثماره التربوية.

القاعدةُ الثانيةُ: تقديمُ النيةِ (القولية) قبلَ الإرشادِ

يقولُ أستاذُ الطريقةِ الحاضر (قدس سره): "على الخلفاء أن يذكروا المريدين بأنَّ النيةَ هي أساسُ كلِّ عملٍ... وأنهم لن يجدوا أثراً لأعمالهم إلا إذا صحت نياتهم"⁽¹⁾.

أي أن القاعدةَ تقولُ: يلتزمُ المرشدُ في أن يُراجعَ نيَّتهُ وأن ينطقَ بها قبلَ كلِّ إرشاد، ويُفضَّلُ أن تتضمنَ البسملةَ والصَّلوات والاستعدادَ، وأن تكونَ في سبيلِ الله، وذلك أنَّ الإرشادَ عملٌ صالحٌ، وقد قال رسولُ الله، المرشدُ الأعظمُ سيدنا محمد ﷺ: ﴿إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكلِّ إمريٍّ ما نوى﴾⁽²⁾.

يُفضَّلُ أيضاً أن يفتتحَ اليومَ بها ولو كان المرشدُ متجهاً إلى عمله أو شأنٍ عائليٍّ أو دنيويٍّ، فقد تأتي نعمةُ الإرشادِ في أي لحظةٍ ودونَ توقع، فضلاً عن أنَّ لها أجراً مباركاً، ففي جميع الأحوالِ ينعمُ المرشدُ بخيرها.

وهنا قد يطرحُ أحدهم السؤالَ: هل يحتاجُ المرشدُ إلى مراجعةٍ

1 - في حضرة الطريق، مصدر سابق، مسألة 220.

2 - صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [6311]، ج6 ص2461.

نيتِه والتَّحَقُّق منها؟ ولماذا؟ يجيبُ حضرةُ الشيخ الحاضرِ عن ذلك بالقول: نعم يحتاج "لأنَّ النفسَ تميلُ إلى المدح، والعقلُ يحبُّ المكانة، فإذا لم يراقب المريدُ نيتَه، دخلَ الهوى إلى قلبه دون أن يشعر. فالمریدُ الصادقُ دائمٌ التَّفَقُّدِ لنيته، وكلما أحسَّ بشائبةٍ، اجتهد في تصفيتها حتى يكونَ عمله لله وحده" (1).

إنَّ للنيةِ الصادقةِ المتجددةِ أثرٌ ملموسٌ عندَ المرشدِ إذا ما اعتنى بها، يتبينُ ذلك من مقولةِ حضرة الشيخ: "إن كانت نيةُ المريدِ لله، وجدَّ أثرَ العملِ نوراً في قلبه، وسكينةً في روحه، وإن لم تكن صافيةً، لم يجدْ لذلك العملِ أثراً، بل قد يناله التعبُ بلا ثمرة، لأنَّ العملَ إذا لم يكن لله، فهو سرابٌ لا يُغني عن العبدِ شيئاً" (2).

القاعدة الثالثة: التوبة والطهارة والوضوء

أن يحافظَ المرشد على طهارته ووضوئه ما استطاعَ لذلك سبيلاً، وأن يكونَ ذلك على نيةِ استحضارِ الهمةِ والبركةِ من أستاذِ الطريقةِ، فالتطهرُ بهذا التوجهِ يبعدُ عن المرشدِ الكثيرَ من الأمورِ التي تشتتُه أو قد تؤذيه وهي المشارُ إليها بـ(الرَّجَسِ) في الآيةِ المباركة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (3). وخلال عمليةِ التَّطَهُّرِ والوضوءِ يحضِرُ قلبه ليجدَّ التوبةَ ومفتاحها الاستغفارُ عن جميعِ الذنوبِ والسيئاتِ، التي تقعُ في الإنسانِ بقصدٍ أو عن غيرِ قصدٍ، فهذا العملُ يفتحُ له بابَ المحبةِ الإلهيةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (4).

المحبةُ هنا (حالٌ) لأنها مقترنةٌ بالتوبةِ والتطهيرِ (بضمينه الوضوء) المتكرراً، فكلما جدَّ المرشدُ ذلك كلما أدخلَ نفسه في أهلِ المحبة.

1 - في حضرة الطريق، مصدر سابق، مسألة 219.

2 - المصدر نفسه، مسألة 218.

3 - [الأحزاب: 33].

4 - [البقرة: 222].

لا تُطَلَّبُ المحبةُ في هذا الشأنِ لأجلِ الجانبِ العاطفي، فهذا الجانبُ محلُّه في (حلقة الذكر) حينَ يشتغلُ المريدُ بعملِ الإيمانِ لنفسِهِ وعلاقتهِ بربه. أما قصدُ المحبةِ في حالِ التوجهِ للإرشاد، فهي من بابِ العملِ الصالح، يطلبُ منها المرشدُ أمراً آخرّاً وهو أن يكونَ في أعينِ الله تعالى، قال عزّ من قائلٍ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾⁽¹⁾، وإلى ماذا تشيرُ كلمةُ الأعين هنا؟

عينُ الحفظِ والعزةِ الإلهية، وعينُ سلطانِ الإرشادِ الأعظمِ سيدنا محمد ﷺ، وأعينُ أغواثِ الطريقةِ (قُدّست أنوارهم المباركة)، وعينُ حضرةِ السلطانِ الخليفةِ محمد المحمد الكسنزان ومعه عينُ الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (قُدس سرهما الجامع). تلكَ هي الأعينُ التي يبتغي المرشدُ أن تكونَ حاضرةً ناظرةً فيه، وله، ومعه، والسبيلُ لذلك الحضورُ أن يأتيه حالُ المحبة، وحالُ المحبةِ يأتي من التوبةِ والتطهّرِ على نيةِ الإرشادِ.

هذا بالنسبةِ للمرشدِ القوي، الذي يكون حضوره مؤثراً في الصمتِ كالنطق، وفي السكونِ كالحركة، فكل ما يقوله أو يفعله ولو كان عادياً في المقاييس العامة، فإنَّ الأنفسَ تستشعرُ قوته، والسببُ وجودُ أعينِ العنايةِ والرعاية التي تحفه ظاهراً وباطناً، والتي اشتغلَ على قيامها به. أما المرشدُ المتوسطُ أو حتى الضعيفُ، فهو الذي يحصلُ عنده مثلُ هذا الحالِ بشكلٍ متقطعٍ أو متباعِدٍ، لسببين: أما أنّه في وقتٍ من الأوقاتِ يستوفي شروطَ هذه القاعدةِ فيستحقُّ ذلكَ الحضورَ المبارك والقوةَ التي يشعرُ بها لحظةَ الإرشاد، وتنتهي بإنتهائه. وأما لأن مشايخ الطريقةِ يكونُ لهم شأنٌ خاصٌ مع الذين يرشدهم المرشد، فيحضرّون بالهمّةِ والمددِ لأولئك الناس. فإذا انتهى الإرشاد، زال التأثيرُ الروحيُّ من المرشد، وأخذ أجره. في حين الذين أرشدهم يبقون في حالةٍ من النعمةِ الروحيةِ الجاذبةِ لبابِ الرحمة.

1 - [الطور: 48].

إِنَّ أَعْيَنَ الْعَنَایَةِ تَلَازِمُ أَوْ تَرَافِقُ الْمُحِبِّينَ التَّائِبِينَ الْمُتَطَهِّرِينَ
أَهْلِي النِّيَّةِ وَالْإِرَادَةِ بِاسْتِمْرَارٍ، فَيَتَذَوَّقُونَ الْقُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ بِكُلِّ
أَصْنَافِهَا مَا دَامُوا مُوَاضِبِينَ عَلَى ذَلِكَ الشَّأْنِ الْعَالِي.

القاعدة الرابعة: النظافة الظاهرية وترتيب الهيئة

يُقَصَّدُ بِالنِّظَافَةِ الظَّاهِرِيَّةِ التَّزَامُ الْمُرْشِدِ بِأَنْ يَكُونَ فِي هَيْئَةٍ
حَسَنَةٍ وَمُرْتَبَةٍ أَمَامَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَفَقَ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ
الْوَاقِعِ الْمُحَلِيِّ وَالْأَعْرَافِ السَّائِدَةِ، وَبِحَسَبِ الْقُدْرَةِ الْمَادِيَّةِ، مِنْ
غَيْرِ تَكْلُفٍ وَلَا تَصْنَعٍ.

تَوْضِيحٌ: النَّاسُ يَلْبَسُونَ غَالِبًا اللَّبَاسَ نَفْسَهُ، لَكِنْ بَعْضُهُمْ يَتْرُكُ
أَثْرًا طَيِّبًا بِحَسَنِ الْعَنَایَةِ وَالتَّرْتِيبِ، وَهَذَا مِمَّا يُحَبِّبُ النَّاسَ
وَيُشْعِرُهُمْ بِالرَّاحَةِ. وَالْمُرْشِدُ أَوَّلَى بِهَذَا الْخَلْقِ، لِأَنَّهُمَا (العناية
والترتيب) يَحْمِلَانِ رِسَالَةً، وَقُدُوتَهُ فِي ذَلِكَ أَسْتَاذُ الطَّرِيقَةِ. وَلِأَنَّ
حُسْنَ الْهَيْئَةِ وَالنِّظَافَةِ قِيَمَةٌ دِينِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ، وَهِيَ مِمَّا يَزِيدُ
الْقَبُولَ وَيَتْرُكُ أَثْرًا حَسَنًا فِي النُّفُوسِ.

إِذَا، يُقَيَّمُ التَّزَامُ الْمُرْشِدِ بِحَسَنِ الْهَيْئَةِ وَالنِّظَافَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِوَصْفِهِ
جُزْءًا مِنْ تَمَثِيلِ الرِّسَالَةِ وَاحْتِرَامِ النَّاسِ، فَلَا تَهَاوَنَ فِي ذَلِكَ.

القاعدة الخامسة: البشاشة وحسن المعاملة

يَلْتَزِمُ الْمُرْشِدُ بِالْبَشَاشَةِ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَعَذُوبَةِ اللِّسَانِ، وَكَفِّ
الْأَذَى اللَّفْظِيِّ، مَعَ إِخْفَاءِ هُمُومِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَعَدَمِ إِظْهَارِهَا عَلَى
مَحْيَاهُ، فِي الشَّارِعِ، وَالْعَمَلِ، وَالدرَاسَةِ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ يَتَوَاجَدُ فِيهِ.
التَّوْضِيحُ: يَكُونُ ذَلِكَ اقْتِدَاءً بِالْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالسُّلْطَانِيَّةِ،
إِذْ يُعَدُّ حُسْنَ الْخُلُقِ وَبَشَاشَةُ الْوَجْهِ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْقَبُولِ،
وَمِنْ الشَّهَادَةِ السُّلُوكِيَّةِ الَّتِي تَسْبِقُ الْكَلَامَ وَتَفْتَحُ الْقُلُوبَ.

إِنَّ التَّزَامَ الْمُرْشِدِ بِالْبَشَاشَةِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَعَذُوبَةِ اللِّسَانِ
لَيْسَ سُلُوكًا شَكْلِيًّا، بَلْ تَرْبِيَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ تَنْعَكُسُ أَثَارُهَا عَلَى الْمُرْشِدِ
أَوَّلًا قَبْلَ غَيْرِهِ؛ إِذْ إِنَّ إِخْفَاءَ الْهُمُومِ الشَّخْصِيَّةِ وَعَدَمَ تَحْمِيلِهَا لِلنَّاسِ

يَدْرَبُ النَّفْسَ عَلَى ضَبْطِ الْإِنْفَعَالِ، وَيُنَمِّي الْقُدْرَةَ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنِ
الْإِخْلَاقِ الْخَاصِّ وَالْوُضُوفَةِ الرَّسَالِيَّةِ الْعَامَةِ، فَيَحْفَظُ لِلْمُرْشِدِ تَوَازُنَهُ
وَهَيْبَتَهُ وَسَلَامَتَهُ النَّفْسِيَّ.

وَعَلَى مَسْتَوَى الْإِرْشَادِ، تُعَدُّ الْبَشَاشَةُ وَلَيْنُ الْخُطَابِ مِنْ أَقْوَى
مِفَاتِيحِ الْقَبُولِ، لِأَنَّ النَّاسَ تَنْفَرُ مِنَ الْمُتَجَهِّمِ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَهُ،
وَتَأْنَسُ بِمَنْ يَلْقَاهَا بِوَجْهِ طَلْقٍ وَقَلْبٍ مَفْتُوحٍ. فَالْمُرْشِدُ الَّذِي يُقَابِلُ
النَّاسَ بِابْتِسَامَةٍ صَادِقَةٍ وَلِسَانٍ عَذْبٍ يَفْتَحُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْقُلُوبِ قَبْلَ
الْعُقُولِ، وَيَجْعَلُ الْإِرْشَادَ دَعْوَةً تُسْتَقْبَلُ بِالطَّمَأْنِينَةِ لَا بِالتَّحَفُّظِ.

أَمَّا أَثَرُ هَذَا السَّلُوكِ فِي النَّاسِ، فَهُوَ أَثَرٌ تَرَاكُمِيٌّ عَمِيقٌ؛ إِذْ يَشْعُرُونَ
بِالْأَمَانِ وَالْاحْتِرَامِ، وَيَجِدُونَ فِي الْمُرْشِدِ صُورَةً إِنْسَانِيَّةً رَاقِيَةً تُخَفِّفُ
عَنْهُمْ ثِقَلَ الْحَيَاةِ، وَتَمْنَحُهُمْ نُمُودَجًا عَمَلِيًّا لِلْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ
وَالسَّلْطَانِيَّةِ فِي الْوَاقِعِ الْيَوْمِيِّ. وَمِنْ هُنَا، تَتَحَوَّلُ الْبَشَاشَةُ وَحُسْنُ
الْمُعَامَلَةِ إِلَى رِسَالَةٍ صَامِتَةٍ، تَزْرَعُ الثِّقَّةَ، وَتَوْقُظُ الرِّغْبَةَ فِي الْإِقْتِدَاءِ،
وَتَجْعَلُ الطَّرِيقَ مَقْبُولًا قَبْلَ أَنْ يُعْرَفَ، وَمَحْبُوبًا قَبْلَ أَنْ يُنْتَسَبَ إِلَيْهِ.



أخطاء شائعة عند المرشدين

- رغم صفاء المقصد في أصل الإرشاد، إلا أنَّ الممارسة قد يشوبها بعض الأخطاء التي تُضعف الأثر، أو تُسيء إلى روح الطريق، وغالباً ما تقع دون قصد، نتيجة غياب المراجعة أو الجمود على أسلوب واحد، والتنبيه عليها هنا ليس بقصد المحاسبة، بل بقصد التوقي والتصحيح.
- من أبرز هذه الأخطاء تحويل الإرشاد إلى سلطة؛ حين يتعامل المرشد مع موقعه بوصفه أمراً لا خادماً، فيغلب عليه التحكم بدل التربية، والتوجيه القسري بدل المصاحبة الرحيمة. الإرشاد في أصله خدمة، فإذا تحول إلى سلطة أضعف القلوب بدل أن يوقظها.
- ومن الأخطاء الشائعة أيضاً الاكتفاء بإعطاء البيعة دون متابعة، بحيث يُغلق دور المرشد عند حد الربط الأولي، دون رعاية أو توجيه لاحق. هذا الأسلوب، وإن كان صحيحاً في أصله، إلا أنه يبقى في حده الأدنى، ولا يحقق مقصود التزكية، لأن البيعة باب لا بناء، وبداية لا نهاية.
- ويُضاف إلى ذلك خلط الشخصي بالروحي، حين تختلط آراء المرشد الخاصة، أو ميوله، أو انفعالاته، بمقام الإرشاد، فيقدّم ما هو شخصي على أنه توجيه روحي. هذا الخلط يربك المريد، ويشوش صورة الطريق، ويجعل الإرشاد مرتبطاً بالأشخاص لا بالمبادئ.
- ومن الأخطاء كذلك الجمود على أسلوب واحد وعدم مراعاة اختلاف الزمان والناس والظروف، فيستخدم خطاب واحد لكل الحالات، مع أنَّ الحكمة تقتضي تنوع الوسائل مع ثبات المقصد.
- كما يلاحظ أحياناً التوسع في الوعود الروحية دون ربطها بالعمل والسلوك، فينشأ تعلق بالنتائج دون التزام بالأسباب، وهذا يُضعف الجدية، ويربك الفهم الصحيح لمعنى السير في الطريق.

- إن إدراك هذه الأخطاء والوعي بها يُعدُّ خطوةً أساسيةً في ترقية الإرشاد، لأنَّ سلامة الطريق لا تتحقَّق فقط بصحة النية، بل بحُسن الممارسة، ومراجعة الذات، والالتزام الدائم بأنَّ الإرشاد أمانة تُؤدَّى، لا سلطة تُمارَس، ولا شكلاً يُكتفى به.



تمارين الدرس العاشر

التمرين الأول: أسئلة الفهم والاستيعاب

١. ما المقصود بتجديد الإرادة قبل الخروج إلى الإرشاد؟
٢. ما الفرق بين المرشد صاحب الإرادة والمرشد طالب الإرادة والمرشد المنفذ بلا إرادة؟
٣. لماذا يعد المرشد صاحب الإرادة هو المستوى الأكمل في هذا الدرس؟
٤. ما الفرق بين الرغبة والإرادة كما شرحه النص؟
٥. لماذا شدد الدرس على تقديم النية القولية قبل الإرشاد؟
٦. ما الخطر الذي قد يدخل على عمل المرشد إذا لم يراجع نيته؟
٧. ما أثر النية الصادقة المتجددة في قلب المرشد وروحه؟
٨. كيف يربط الدرس بين التوبة والطهارة والوضوء وبين حال الإرشاد؟
٩. ما المقصود بحضور أعين العناية والرعاية في سياق الدرس؟
١٠. لماذا عدت النظافة الظاهرية وترتيب الهيئة جزءاً من الرسالة؟
١١. ما أثر البشاشة وحسن المعاملة في نفس المرشد وفي الناس؟
١٢. ما أبرز الأخطاء الشائعة التي نبه عليها الدرس في ممارسة الإرشاد؟

التمرين الثاني: التعريفات المفهومية

عرّف المصطلحات الآتية بحسب الدرس:

تجديد الإرادة - المرشد صاحب الإرادة - المرشد طالب الإرادة -
المرشد المنفذ بلا إرادة - الرغبة - الإرادة - النية القولية - أعين
العناية - النظافة الظاهرية - البشاشة الرسالية.

التمرين الثالث: سؤال المقارنة

قارن بين: الرغبة والإرادة. على أن يراعى في المقارنة بيان:

١. الفرق في الطبيعة
٢. الفرق في الثبات
٣. الفرق في العلاقة بالفعل

٤. الفرق في الأثر على الاستمرار في الإرشاد.

التمرين الرابع: أسئلة التعليل والتحليل

١. علل: لا يكفي الميل النفسي إلى الإرشاد ما لم يتحول إلى إرادة.
٢. علل: من يطلب الإرادة من شيخه يعدُّ محموداً وإن لم يكن قد بلغ كمال الإرادة بعد.
٣. علل: الامتثال المجرد للإرشاد عمل مقبول وإن كان أضعف المراتب.
٤. علل: يحتاج المرشد إلى مراجعة نيته قبل كل إرشاد.
٥. علل: النفس والعقل قد يفسدان العمل إذا غابت مراقبة النية.
٦. علل: التوبة والطهارة والوضوء ليست أموراً شكلية في هذا الدرس.
٧. علل: حال المحبة المقترن بالتوبة والتطهر يهيئ المرشد لحضور أعين العناية.
٨. علل: حسن الهيئة يزيد القبول ويترك أثراً حسناً في النفوس.
٩. علل: البشاشة ليست سلوكاً شكلياً بل تربية داخلية.
١٠. علل: تحويل الإرشاد إلى سلطة من الأخطاء التي تضعف روح الطريق.
١١. علل: الاكتفاء بإعطاء البيعة دون متابعة لا يحقق مقصود التزكية كاملاً.
١٢. علل: سلامة الإرشاد لا تتحقق بصحة النية فقط بل بحسن الممارسة أيضاً.

التمرين الخامس: ضع علامة صح أو خطأ مع التصحيح

١. المرشد صاحب الإرادة لا يخرج إلى الإرشاد إلا إذا صدر إليه توجيه مباشر.
٢. المرشد طالب الإرادة يدرك نقصه ويحاول معالجته بالذكر والاستمداد.
٣. الرغبة والإرادة في الدرس مترادفتان لا فرق بينهما.
٤. من يدق الباب يأتيه الجواب قاعدة ذكرت في سياق طلب الإرادة.
٥. النية ليست شرطاً أساسياً في أثر العمل الإرشادي.
٦. قد يتعب المرشد في الإرشاد من غير ثمرة إذا لم تصف نيته.

٧. التوبة والتطهر يفتحان باب المحبة الإلهية.
٨. أعين العناية المذكورة في الدرس ترمز إلى الحفظ والرعاية والبركة.
٩. حسن الهيئة أمر ثانوي لا يدخل في تمثيل الرسالة.
١٠. إخفاء الهموم الشخصية عن الناس جزء من التربية السلوكية للمرشد.
١١. من الأخطاء الشائعة خلط الشخصي بالروحي في مقام الإرشاد.
١٢. من الحكمة استعمال خطاب واحد لكل الناس وفي كل الظروف.
١٣. التوسع في الوعود الروحية دون ربطها بالعمل خطأ منهجي في الإرشاد.
١٤. سلامة الطريق تقتضي مراجعة الذات وحسن الممارسة لا مجرد حسن المقصد.

التمرين السادس : استخراج من النص

استخرج من الدرس ما يدل على:

١. مراتب المرشدين الثلاثة من حيث الإرادة
٢. الفرق بين الرغبة والإرادة
٣. أثر النية في قبول العمل
٤. سبب الحاجة إلى مراجعة النية
٥. صلة التوبة والطهارة بحال الإرشاد
٦. معنى أعين العناية والرعاية
٧. مكانة النظافة الظاهرية في تمثيل الرسالة
٨. أثر البشاشة وحسن المعاملة في الناس
٩. خطأ تحويل الإرشاد إلى سلطة
١٠. خطأ الاكتفاء بإعطاء البيعة دون متابعة
١١. خطأ خلط الشخصي بالروحي
١٢. خطأ الجمود على أسلوب واحد.

التمرين السابع: تحليل حالة

الحالة: مرشدان يخرجان إلى الإرشاد. الأول يحافظ على النية، ويجدد التوبة والوضوء، ويهتم بهيئته، ويعامل الناس ببشاشة، ويتابع من أخذ البيعة، ويراعي اختلاف الأشخاص والظروف. والثاني يكتفي بإعطاء البيعة، ويخلط آراءه الشخصية بالتوجيه الروحي، ويتحدث بوجه متجهم، ويكرر أسلوباً واحداً مع الجميع، ويكثر من الوعود من غير ربطها بالعمل.

المطلوب:

١. حلل الفرق بين الحالتين في ضوء الدرس.
٢. بين أي المرشدين أقرب إلى قواعد الاستعداد الصحيحة للخروج إلى الإرشاد
٣. استخرج القاعدة العامة التي يريد الدرس ترسيخها في باب حسن الممارسة.
٤. وضح كيف تؤثر التفاصيل السلوكية الصغيرة في قوة الأثر الإرشادي.

التمرين الثامن: سؤال تركيب

اكتب فقرة علمية مترابطة تشرح العلاقة بين:
الإرادة - النية - التوبة والطهارة - حسن الهيئة - البشاشة - سلامة الإرشاد

التمرين التاسع: سؤال تطبيقي

كيف يمكن للمرشد أن يضع لنفسه برنامجاً عملياً قبل الخروج إلى الإرشاد يراعي فيه قواعد هذا الدرس؟ يراعى في الجواب بيان:

١. طريقة تجديد الإرادة
٢. كيفية استحضار النية
٣. دور التوبة والطهارة والوضوء
٤. الاستعداد الظاهري من حيث الهيئة

٥. الاستعداد السلوكي من حيث البشاشة وحسن المعاملة

٦. كيفية تجنب الأخطاء الشائعة أثناء الممارسة

التمرين العاشر: اختبار قصير تمهيدي

١. ما الفرق بين المرشد صاحب الإرادة والمرشد طالب الإرادة؟

٢. ما الفرق بين الرغبة والإرادة؟

٣. لماذا تعد النية أساس كل عمل إرشادي؟

٤. ما أثر التوبة والطهارة في المرشد؟

٥. ما المقصود بأعين العناية؟

٦. لماذا تعد النظافة الظاهرية جزءاً من الرسالة؟

٧. ما أثر البشاشة في قبول الناس للإرشاد؟

٨. اذكر ثلاثة أخطاء شائعة نبه عليها الدرس.

التمرين الحادي عشر: مقال

اكتب موضوعاً من صفحة واحدة بعنوان: الاستعداد الباطني والظاهري للمرشد قبل الخروج إلى الإرشاد. يراعى في الموضوع:

١. وضوح المقدمة

٢. الاعتماد على مفاهيم الدرس

٣. بيان مراتب الإرادة

٤. شرح دور النية

٥. إبراز أهمية التوبة والطهارة

٦. ربط الهيئة والبشاشة بالأثر الإرشادي

٧. التنبيه إلى بعض الأخطاء الشائعة

٨. خاتمة موجزة

سين جيم الطلاب والطالبات

س247: ورد في الدرس العاشر مصطلح (الدروشة العالية)، مما يشير تساؤلاً حول المقصود بوصف "العالية" في هذا السياق: هل يشير إلى مرتبة روحية مخصوصة، أم إلى مستوى متقدم من السلوك والتزكية؟ وعليه، كيف يمكن بلوغ هذه المرحلة؟ هل يتحقق ذلك من خلال الالتزام بالأوراد، والاستمرار في الإرشاد، وتطبيق ما تم تلقيه في الدورة، أم أن هناك متطلبات والتزامات إضافية ينبغي مراعاتها للوصول إلى هذه الدرجة من السلوك الروحي؟

ج: مصطلح العلو آت من الدرجات العلى المذكورة في الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾⁽¹⁾.

وقد ذكرنا في درس سابق أن المشمولين بهذه الدرجات هم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم، ووضحنا بالتفصيل أن مقام (الصالح) يُطلب في الطريقة، وفصلنا كيف يتم ذلك، فليراجع في محله.

ومن باب الشيء بالشيء يذكر، فإن الآية ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾⁽²⁾.

تتضمن الإشارة إلى (العالين) وهم الذين لم يكونوا مشمولين بالسجود لآدم، وذلك أن مرتبتهم الروحية أعظم وأعلى من ذلك. بل ربما آدم يسجد لهم (والمقصود الجنس البشري)، وهو سجد (ذكر ومحبة وطاعة وفناء) لا سجد تأليه.

لدينا شاهد قرآني على هذا النوع من العلو والسجود، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾⁽³⁾، وفي واقعنا الصوفي، فالأولياء الكاملون يسجد لهم تأدباً وتوقيراً ومحبة، فهم أولو رُتبٍ عالية.

كل مريد في الطريقة الكسنزانية، يمكن أن يصل إلى مرتبة (الصالحين) يدخل في العالين -وكما سبق أن شرحناه في درس سابق- فالدروشة

1 - [طه: 75].

2 - [ص: 75].

3 - [يوسف: 100].

العالية، هي استخدام كافة الوسائل في منهج الطريقة من إرشاد وأوراد وطاقات وقربات للوصول لمثل هذا المراد.

الوصول لا يكون برفع الكف بالدعاء، بل بالعمل الجاد ليلاً نهاراً سراً وعلانيةً للتحقق بالمراد.



س248: هل يمكن للمرشد الذي يمارس الإرشاد بوصفه منفذاً بلا إرادة أن يرتقي إلى مرحلة المرشد طالب الإرادة، ثم إلى مرحلة المرشد صاحب الإرادة، وذلك في حال التزامه بالسلوك الصحيح، وسيره وفق الضوابط المعتمدة، واستيفائه لشروط وقوانين الإرشاد في الطريقة، مع المواظبة والاستمرارية في أداء مهامه الإرشادية؟

ج: نعم، إذا التزم المرشد في سلوكه وسيره الصحيحين بكافة شروط وقوانين الإرشاد في الطريقة ومداومته واستمراريته في الإرشاد، فإنه ينتقل إلى مرحلة المرشد طالب الإرادة وبعدها ينتقل إلى مرحلة المرشد صاحب الإرادة إن شاء الله تعالى.



س249: هل يُعَدُّ المرشد صاحب الإرادة هو ذاته صاحب مقام الفناء، أم أن مقام الإرادة يختلف من حيث الحقيقة والمرتبة عن مقام الفناء، بحيث يكون كلُّ منهما مقاماً مستقلاً في مسار السلوك الروحي؟

ج: هذا شيء وذاك شيء آخر، فقد يكون هناك مرشدٌ قويٌّ جداً، لكنَّه ليس بصاحب مقام الفناء والعكس صحيح، قد يكون فانياً لكنه ليس بصاحب إرشاد. وقد يجمعهما، وهو الأتمُّ الأمثلُّ.



س250: هل يُشترط فيمن تُعطى له البيعة أن يكون على طهارة، بحيث يجب عليه الوضوء مسبقاً، أم يجوز إعطاؤها لغير المتوضئ؟ وهل يختلف الحكم في حال كونه غير مسلم، أم أن هناك ضوابط محددة ينبغي مراعاتها في هذا السياق؟

ج: يجوز إعطاء البيعة لغير المسلم والمسلم والمجنب وفي جميع الحالات. بعد إعطاء البيعة، ينصح بأن يغتسل غُسل الطهارة، وينوي التوبة الخالصة، والرجوع إلى الله تعالى عن طريق منهج الطريقة، وأن يتوضأ ويبدأ بالأوراد.



س251: ذكر أن النية ينبغي أن تكون في سبيل الله، وفي المقابل يُلاحظ أن المشايخ يميلون إلى المرید الذي يملك طلباً وإرادة. فهل يمكن اجتماع نيتين في آنٍ واحدٍ؟ بمعنى: هل يصح أن تكون نية المرشد خالصة في سبيل الله، وفي الوقت نفسه يخرج للإرشاد بنية قضاء حاجة أخرى؟ أم أن ذلك يتعارض مع شرط الإخلاص في النية؟

ج: الترتيب كالآتي: إذا كانت عندك حاجة صوفية أو دنيوية، مُشخّصة في ذهنك أو نفسك، وأردت الخروج للإرشاد، فالصيغة تكون (مثلاً): نويت الخروج للإرشاد في سبيل الله مقتدياً بشيخي شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (قدس سره)، على نية قضاء الحاجة الصوفية كذا، وقضاء الحاجة الدنيوية كذا.

يمكن أن تكون الصيغة مختصرة: نويت الخروج للإرشاد على نية كذا. (لأن الإرشاد أصلاً من الأعمال الصالحة، وكل عمل صالح هو أصلاً في سبيل الله).

لا توجد صيغة محددة، يُقيّدنا مشايخنا بعبارات محددة، اختاري أيّ جملةٍ يرتاح لها قلبك، وتجدين أنّها تُعبّر عن نيّتك، واستخدميها في أي عمل في سبيل الله.



س252: دُكر مراراً، ونقلًا عن حضرة السلطان (قدس سره)، أن من شروط الخروج إلى الإرشاد الالتزام بالوضوء، بل يكاد يكون ملازمًا للدرويش في مختلف أحواله، وقد أولى حضرته هذا الأمر أهمية كبيرة. وفي المقابل، ورد الوضوء في التنزيل الحكيم مقترنًا بإقامة الصلاة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...) (1).

وعليه، ما العلة التي منحت الوضوء هذه الأهمية خارج إطار الصلاة؟ وما الأثر الروحي والسلوكي الذي يضيفه للإنسان، ولا سيّما في سياق الإرشاد والسلوك؟

ج: فقه القرآن لا يتقيّد بالتلازم بين المبنى والمعنى، بل يعبره إلى المقصد.

الصلاة في القرآن الكريم، ذكر ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (2). ومن هنا عرّف مشايخ الطريقة أن الذكر صلاة، فصار عندهم ما يكون لهذه الشعيرة ويكون لتلك.

بل عند الصوفية أن الذكر هو الأصل، الصلاة هي الفرع، وذلك أن الذكر أكبر ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (3).

بتعبير آخر: وفق فقه الصوفية، فإن الوضوء للصلاة هو الحد الأدنى، الذي يفترض أن لا يفقده المؤمن، وأما الحد الأعلى فمفتوح لجميع الأعمال والعبادات ذات الصلة بالله تعالى.

الجانب الروحي في الوضوء أنه جزء من التطهر، والله ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (4)، لذلك أحبّ مشايخ الطريقة التطهر بضمنه الوضوء وحبّوه.



1 - [المائدة: 6].

2 - [طه: 14].

3 - [العنكبوت: 45].

4 - [الأنعام: 106].

س253: إذا فقد المرشد وضوءه أثناء توجهه إلى الإرشاد، وتعدّر عليه تجديده، فهل يجوز له الاستمرار في الإرشاد في هذه الحالة، أم يُشترط تأجيله إلى حين استعادة الطهارة؟ وما الضوابط التي تحكم مثل هذه الحالات؟

ج: نعم، القاعدة العامة (الضرورات تبيح المحظورات)، فالأصل الإرشاد والفرع الوضوء، يُعْظَلُّ أصلٌ لتعْظُل فرعه.
يعني: يكمل طريقه للإرشاد، وفي أقرب فرصة مناسبة تتاح له، يجدد وضوءه.



س254: كيف يمكن الارتقاء بالطهارة الظاهرة والوضوء من كونهما ممارسة يومية اعتيادية إلى كونهما وسيلة فاعلة في تزكية النفس وتهذيبها؟ وما الآليات أو المعاني التي تُسهم في تحقيق هذا التحول في السلوك الروحي؟

ج: هذه المسألة من الأساسيات التي ركزت عليها الدورة كثيراً.
الذهن البشري، يميل إلى أداء الأعمال أو الأقوال المكررة بروتين جامدٍ فارغاً من المعنى أو الروح.
الذي يُكسِرُ هذا الروتين هو تفعيل ملكة الإرادة الواعية، فكلما أتى المرید ليتطهر واستحضر إرادته في تزكية النفس مقابل التطهر، فهذا الإجراء يُنشِط أموراً باطنيةً يلمس المتطهر أثرها في مشاعره، وبالتالي يحفّزه ذلك على الاستمرار بهذا الإجراء النافع وصولاً إلى ما يبتغي من تزكية.
بالتأكيد الطهارة لوحدها لا تزكي النفس، بل تهَيِّئُ النفس للتزكية، وهناك أمور أخرى يجب الاشتغال عليها مع التطهر، مثل الإرشاد والأوراد والتوجه بالاستمداد من شيخ الطريقة على المراد، وهو هنا التزكية. فإن فعل، وصل وحصل.

وسلطاننا (قدس سره) يقول: "من وصل حصّل، ومن حصّل وصل".



س255: كيف يمكن للمريد أن يميّز في أعماقه بين الإرادة الصادقة التي تستحق الاستمداد، وبين رغبة النفس التي تتزيّن بزيّ الإرادة، فتوهم صاحبها بأنه على طريق السلوك، بينما هو في الحقيقة أسير لعواطفه؟ وما المعايير أو الضوابط التي يُمكن اعتمادها للتفريق بين هذين المستويين في التجربة الروحية؟

ج: الأمر بسيط، الاستماع إلى صوت الشيخ، فعندما يقول حضرة الشيخ مثلاً: الإرشاد الإرشاد، وتأتين لترشدي فهنا: إن تذكرت أمره وخرجت بناءً عليه، فهذه من الهدى.

الأمر مرهون بالاتباع ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾⁽¹⁾، والاتباع مرهون بالاستماع ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾، فإن استمعت لتوجيهات أستاذ الطريقة، أو من أجازهُ الأستاذ (قدس سره) وكذلك الكتب والبيانات التي يصدرها، وأردت العمل بأي شيء منها، فهو من الإرادة الحقة.



س256: ورد في الدرس أن على المرشد أن يراجع نيته، وينطق بها قبل الإرشاد، ويتفقدتها باستمرار، وكلما أحسّ بشائبة اجتهد في تصفيتها، حتى يكون عمله خالصاً لله تعالى، إذ إن من لم تكن نيته صافية لا يجد لعمله أثراً، وينال التعب بلا ثمرة.

وعليه، كيف تتم عملية تصفية النية عملياً، بحيث يبلغ المرشد درجة الإخلاص ويكون عمله لله وحده؟ وما الوسائل أو الخطوات التي تعينه على تحقيق ذلك؟

ج: عندما تنظرين في المرأة ترين صورتك، فتعتمدن إلى التحسين من مظهرك، بما يتطلبه ذلك.

النية: صورة نراها أيضاً لكن في الذهن وليس في المرأة.

1 - [الأنعام: 106].

2 - [الزمر: 18].

الطريقة الأسهل لرؤية النية والتدريب على تنقيتها وتحسينها، هي عند القيام إلى الصلاة.

عندما تنوين الصلاة، هل يكون بالك مشغولاً بالدنيا، فلسانك ينطق، وذهنك مشتت هنا أو هناك؟ إن كان الأمر بهذه الصورة، فالنية ليست بيضاء ولا صافية، تحتاجين إلى ثوانٍ معدودة كي تطرد التشتت وتصفي الذهن كي تقولي كلمات النية بوعي وصدقٍ، بحيث تكون مستهدفة لتحقيق إرادتك في الصلاة -وكما شرحناها في درس سابق-. هذه اللحظة التي ترين فيها نيتك في الصلاة، هي لحظة الإمساك بالنية وتنقيتها.

بالإمكان التدريب على النية خارج الصلاة، مثلاً عندما تُمسكين المسبحة للتسبيح استحضري النية وتحققي، هل وعيت وانتبهت لما ستفعلينه في التسبيح، وما تريدينه منه أم لا؟ بتكرار التدريبات، يتم الانتقال بسهولة من (الغفلة) إلى (الحضور) وهذا هو الذي يميز المتصوف السالك عن غيره.



س257: كيف يمكن أن يتحوّل حال المحبة من كونه حالة وجدانية عابرة إلى أن يستقرّ في مقام المحبة أو مقام الأنس؟ وما الشروط أو المسار السلوكي الذي يفضي إلى هذا الانتقال من الحال إلى المقام في التجربة الروحية؟

ج: بدايةً (الأنس) ليس مقاماً وليس (حالة) بل هو من المواجهيد، فراجعني إجابتنا عن الفرق بين الحال والمواجهيد في محلها من الأسئلة ليتبين لك الفرق.

أمّا كيف يتحوّل (حال المحبة) إلى (مقام المحبة) فالأمر يحتاج قليلاً من التفصيل، مع أننا أشرنا إلى ذلك في مسائل سابقة. البداية من الذكر الكثير، أي تطبيق أوراد الطريقة وحضور حلقات الذكر بانتظام، وبحضور قلبٍ (رابطة)، مسبقة بالإرادة والنية.

ثم الانتظام قدر الإمكان بالأعمال الصالحة، من خدمة أو إرشاد أو مساعدة الناس بحسب المكنة أو القدرة، وأنت مُصرّة على إرادتك تلك. يعني: أن تُريدي بذكرِك الوصول والحصول على محبة شيخ الطريقة. هنالك، ستستحقين ثماراً روحيةً لهذا العمل الروحي المتواصل، فتأتيك أنوار الأحوال في قلبك. هذه الأنوار حين تنزل في القلب، وترى القلب متجه للمحبة، فإنها تنير الباطن على ذلك الأمر، أي تجعله يرى ويتذوق أشياء من المحبة.

ولما كانت النفس متشابكة مع القلب، فإن أثر ذلك ينتقل لها، هنا يحصل فيها شعور بالأنس مثلاً، فيجد المريد في نفسه ذلك الشعور. فالأنس من أثر الحال الذي هو نور أصلاً أتى بسبب الذكر والرابطة.

الآن، إن استمر المريد على طلبه هذا، وحافظ على أداء الأذكار والأعمال الصالحة، ولم يفتر أو يغير إرادته، فإن توارد الأنوار يستمر إلى أن يحصل في الباطن السعة الروحية الكافية ليستقر فيه نور المحبة، وبذلك، يتحول الحال إلى (مقام) أي نور المحبة يصير مقيماً في القلب. إذا صار نور المحبة مقيماً في القلب، تصير المحبة جزءاً لا يتجزأ من شخصية المريد، مثلها فيه كمثل العقل عنده. الإنسان عقله دائماً حاضر عنده، يفكر فيه، حتى ولو نسي أنه يفكر فيه. صاحب مقام المحبة يصير قائماً قاعداً بها.

لا يتصور متصور، أن المقصود بالمحبة هو المشاعر العاطفية فقط، فالمشاعر مجرد مواجيد متغيرة. بل المحبة أمرها أمر آخر، إنها القوة الروحية التي تجعل من المحب راغباً في طاعة المحبوب، مستسهلاً أمره مهما كان صعباً، راضياً بحكمه، ساعياً في إرضائه. هذه خصائص قليلة من مقام المحبة. وليس الاقتصار على العواطف فقط.

ثم، لما كان المحبوب وهو في هذه الحالة (شيخ الطريقة) يحب حضرة الرسول الأعظم ﷺ محبة مقام، فإن قلب المريد وفي حالة استمراره بالذكر والعمل، والاستجابة والاتباع، ينجذب ليحب الحضرة المحمدية، بسبب أن قلب محبوبه (الشيخ) منجذب لها، وهكذا تأتي

الأحوال الجديدة (الأنوار) وتكرر العملية حتى تصير محبة الرسول الأعظم ﷺ (مقام) في قلب المريد.

من المؤكد أن الخطوة الثالثة صارت واضحة، فالمنهج نفسه يُطَبَّق. سيجد المريد نفسه منطلقاً بكل ملكاته الظاهرة والباطنة لاتباع حضرة الرسول الأعظم ﷺ من خلال اتباعه لشيخه، وهنا يحدث الانتقال إلى محبة الله تعالى حيث تتوالى الأنوار (الأحوال) ثم تتحول إلى (مقام). ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾، الآية الكريمة تكشف عن أمر غاية في الأهمية وهو: أن المحبة ليست ادعاءً أو تفكيراً أو أمانى، بل هي ثمرة اتباع، واتباع الرسول الأعظم ﷺ يوصل إلى نزول محبة الله في قلب المؤمن.

فهذا هو سُلَّم الترقى في المحبة، من الأحوال إلى المقامات.



س258: من الأخطاء التي ذُكرت في الدرس مسألة الاكتفاء بإعطاء البيعة دون متابعة، بحيث ينغلق دور المرشد عند حدّ الربط الأولي. وفي بعض الحالات قد يأخذ المريد البيعة طلباً للشفاء من مرض، لكنه لا يلتزم بالأوراد، وعند متابعته أو سؤاله عن الاستمرار فيها يُظهر التملّص أو التحجج، ولا يلتزم بها بجدية، بل قد يستهين بالنصح والتوجيه.

وعليه، في مثل هذه الحالة، أين تقع المسؤولية بشكل أدق: على المرشد أم على المرشد (المريد)؟ وكيف يُفهم توزّع المسؤولية بين الطرفين في ضوء هذا الإخلال بالالتزام والمتابعة؟

ج: الواضح أن الخطأ هنا على المرشد فقط.

المرشد مهمته التذكير وإجابة الأسئلة والترغيب وما إلى ذلك، أما استجابة المرشد فمسؤوليتها تقع على عاتقه وحده ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾⁽²⁾.



1 - [آل عمران: 31].

2 - [المائدة: 38].

س259: ذكرتم في النقطة ما قبل الأخيرة في الأخطاء الشائعة عند المرشدين (التوسع في الوعود الروحية)، فما المقصود بذلك؟ وهل المقصود به الوعود المتعلقة بالمطالب الدنيوية للمريدين؟

ج: المقصود بالوعود الروحية هي الوعود التي يقطعها المرشد للناس كي يأخذوا البيعة، فمثلاً رجل لا ينبغي أن يكون مريض بمرض خبيث أو أي حاجة مستعصية.

إعطاء ضمان 100% غير مسموح في الطريقة.

يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"أنا لا أعطي ضماناً لأحد، نحن نطلب من الله .

المستشفيات موجودة.

نحن مدرستنا مدرسة صوفية لتأهيل الناس للوصول لله، ليست طبّاً شعبياً ولا عيادةً، لكن لأجل خاطرهم نقول: اجلب المريض للتكية والله تعالى يشفيه. نحن بالله نداوي، كيف؟ نطلب من الله تعالى".



س260: هل تُعدّ الأخطاء الشائعة التي قد يقع فيها المرشد سبباً في إحداث أثر سلبي على حاله الروحي ومساره السلوكي؟

ج: من المؤكد أنه لا يوجد خطأ ليس له أثر سلبي بطريقة ما، وكلُّ خطأ فائره من جنسه، ويُقدَّر بقدره.



س261: جاء في المحاضرة أن هنالك ثلاثة أنواع من المرشدين: (صاحب إرادة، طالب إرادة، منفذ بلا إرادة)، وقد تم توضيحها في سياق الإرشاد الحركي الميداني. والسؤال الآن: هل تنطبق هذه التصنيفات أيضاً على الإرشاد الإلكتروني والتعليمي؟ وإذا كانت كذلك، فما أوجه تجلياتها أو تفاصيلها في هذا النوع من الإرشاد؟

ج: جرت الإشارة في الدرس إلى أن ما ينطبق على الإرشاد الحركي أو الميداني ينطبق على جميع أنواع الإرشاد الأخرى.



س262: الدرس فرّق بين الرغبة والإرادة، وبين أن الإرادة قرار واعٍ ملزم يتجاوز الشعور. فإذا كان المرشد يملك إرادةً حقيقيةً للإرشاد، لكنه يفتقر إلى البشاشة وحسن المعاملة في تعامله مع الناس، فهل تكفي إرادته لتحقيق أثر الإرشاد؟ وكيف تتكامل القواعد الخمس معاً لتصنع المرشد الكامل، وما الذي يحدث حين تغيب إحداها؟

ج: الهدف من القواعد تحقيق أفضل النتائج للمرشد والمرشد والطريقة، وغياب أي من القواعد هو نقص يقدر بقدره. هذا لا يعني أن الإرشاد لا يحدث أو لا يصح، لكنه لا يكون تاماً أو مثالياً.

لنوضح بمثال:

تأتي لتقود السيارة، المطلوب أن تنتبه إلى زيت المحرك والوقود وأن تضع حزام الأمان، فهذه قواعد أساسية للقيادة بأمانٍ وسلاسةٍ. هذا لا يعني أنك إن لم تطبق هذه القواعد كلها أو بعضها إنك لا تستطيع القيادة، بل يعني أنك في غير مأمنٍ، وأنت قد تعرض نفسك أو السيارة لخطر كنت في غنى عنه. المرشد الذي يخل بالقواعد، يمكن أن يرشد، ولكن النتائج الأفضل مع الالتزام الأكمل.



س263: ذكرتم أن تحويل الإرشاد إلى (سلطة) يضعف القلوب، غير أنه قد يفهم وجود نوع من (السلطة المعنوية) في مقام الإرشاد لضبط المسار والسلوك. وعليه، أليس هناك تمييز بين هذه السلطة المطلوبة لضبط المريـد، وبين (السلطة المذمومة) التي تحجب الأثر الروحي؟ وكيف يمكن ترسيم الحدود الفاصلة بينهما؟

ج: هذا سؤالٌ مهمٌ

لا خلاف في أنّ للخليفة صلاحيات إدارية وتنظيمية داخل الطريقة، وهذه الصلاحيات ضرورة يقتضيها انتظام السير وضبط المسار. غير أن هذه الصلاحيات مشروطة ألا تتخطى حدود القوانين الروحية والأصول الصوفية التي قامت عليها الطريقة.

والخطر الحقيقي يكمن في لحظة يتسرَّب فيها الهوى إلى نفس المرشد، فيغدو رأيه الشخصي ميزاناً لكلِّ شيءٍ، وتصير مصلحته الخاصة في نظره مصلحةً للطريقة، فيرفض كل ما يخالف هواه متذرعاً بالحفاظ على الطريق.

كيف تُرسم الحدود؟ يقول شيخنا الحاضر (قدس سره): «الحقيقة عكس ذلك، فمصلحة الطريقة هي الأصل، ومنها تتفرع مصلحة المريد أو الخليفة، لا العكس»⁽¹⁾.

وهذا يعني أن كل توجيه أو تعليم أو أمر أو نهى، لا يجد سنده في أوامر شيخ الطريقة وأصولها وآدابها، فهو تسلط بلا مسوِّغ، ولا اعتبار له. ومن أمثلة التسلُّط المنكر عملياً: أن يُلزم الخليفة الدراويش بالانخراط في نزاع عشائري لا صلة لهم به، أو أن يحول بين مريد وزيارة شيخه، أو يعيق خروجه للإرشاد، أو يكلفهم بأورادٍ لم تصدر بها إجازة معتمدة. هذه الأمور وما جانسها خروجٌ صريحٌ عن حدود الولاية الروحية، ومردودةٌ شرعاً وطريقةً.



س264: هل يُعَدُّ الخروج بنيةً الإرشاد، مع عدم العثور على من يُرشد أو عدم التمكن من ممارسة الإرشاد، تقصيراً في النية؟

ج: إطلاقاً لا يوجد خلل هنا، بل المرشد بهذه النية يأخذ أجره كاملاً، ما دام صادقاً في عمله.

المرشد عليه السعي فقط، فسواء وجد أو لم يجد، أرشد واقتنعوا أو لم يقتنعوا، أجره العظيم يأخذه كاملاً مكّلاً بحسب تقديرات المشايخ للأعمال الصالحة.



1 - في حضرة الطريق، مصدر سابق، مسألة 80.

س265: كيف يمكن أن يتحوّل الالتزام الشكلي بقواعد الإرشاد، كالنية والطهارة وحسن الهيئة، إلى عائقٍ خفي يمنع تحقق الأثر الروحي، رغم كونه في الظاهر التزاماً صحيحاً؟

ج: كل عمل لا يبتغى به وجه الله تعالى، ولا يقتدرُ بالتواضع والأدب القرآني، فهو كصورة الذهب، شكل بلا قيمة. الجزء من جنس العمل، فمن اعتنى بظاهره دون باطنه، كان له جزاؤه في الظاهر دون الباطن أيضاً.

نعم، فقد يحسن في عيون الناس، لكن ما قيمة ذلك إزاء احتجابه بالظاهر ذاك عن أعين الله؟

يقول الرسول المعظم ﷺ: ﴿إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه﴾⁽¹⁾.

يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"أنتم يا شباب اصرفوا قوتكم بالعبادة والإرشاد، ابعدوا أنفسكم عن العادات الكريهة، اهتموا بأنفسكم وبيوتكم. عليكم بنظافة بيوتكم من الأواني إلى أرضية البيت، المنام، اهتموا بغسل الملابس، عليك أن تكون خليفةً مرشداً في كل النواحي الصحية وغيرها... أنتم أهل التصوف والعقيدة وأهل النظافة أهل الإيمان".

قاعدة الخروج من ظلمات الهوى إلى نور الهدى، هي ما يجب أن يكون حاضراً في عقل المرشد أو المريد، حين يعتني بزيه أو ملابسه، فإن فعل ذلك وهو يشتهي المدح والثناء لنفسه، فجزاؤه ما يحصل عليه من قليل زائل. وأما إن فعل ذلك ابتغاء وجه الله، وهو يهدف أن يجلب السمعة الطيبة لطريقته وشيخه وأن يقتدي به الناس ليتنظفوا فيكونوا من أهل الإيمان، فهذا جزء من الإرشاد العملي المبارك.



1 - البخاري، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط5، 1993م، حديث رقم [6311]، ج6 ص2460.

س266: ذكرتم أن الإرادة هي التوجّه العام، وأن النية هي المصداق القولي لها، والسؤال: إذا كانت النية قولية، فلماذا تُنسب عملية التصفية إليها دون الإرادة؟ أي لماذا يُعدّ مدخل الشائبة هو النية لا الإرادة، مع أن الإرادة تتشابك مع النفس والعقل وتتلون بخصائصهما؟

وكيف يُفهم وصف الشائبة في النية؟، في قول السلطان (قدس سره): "النفس تميل إلى المدح، والعقل يحب المكانة" وما هي الدوائر التي تتشابك فيها الإرادة مع النفس والعقل بحيث تظهر هذه التأثيرات؟

ج: الأصل أن الإرادة يمكن أن تكون صالحة أو فاسدة، يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾⁽¹⁾.

تصحيح الإرادة من حيث الأصل هو المنطلق الأساس.

أين يحدث الإشكال؟ عندما تريد الآخرة، فعليك أن تقوم بعملٍ محدّد يكون مصداقاً لتلك الإرادة لكي تكسب مغنمه الأخرويّ، وهنا تأتي شروطه، ومنها أن تكون حاضر القلب عند البدء بالعمل، فإن لم تكن حاضر القلب، فهذا متعلق بالنية وليس بأصل الإرادة.

لنضرب مثلاً على ذلك:

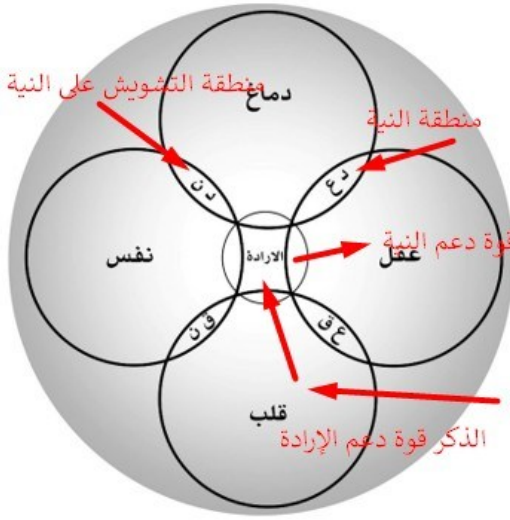
أنت تريد الصلاة بحضور القلب، تفكرين بذلك قبل الصلاة وتقررين فعل ذلك، ثم لما تأتين إلى الصلاة، وعند النية يكون ذهنك منصرفاً إلى الدنيا، فالشائبة هنا في النية وليس في الإرادة، لذا تحتاج إلى تصفية. بحسب (الخمس المثاني) فإن النية تقع في منطقة تشابك (د ع).

الإرادة مشابكةً باطنياً مع العقل

الدماغ يقرّر تحديد النية في صيغة لينطق بها.

لكن، إذا كان الدماغ متأثراً بـ (د ن)، أي متأثراً بهوى النفس، وكانت النفس مندفعة إلى الدنيا وصورها، فإنها تشوش على النية، أي على ما يأتي للدماغ من (د ع)

لذا تأتي التوجيهات بضرورة أن نعمل سيطرة على



النفس، ولكي نُصَفِّي نوايانا، علينا أن نجعل الإرادة المتصلة بـ (د ع) أقوى، وليحدث ذلك، أي لإزدياد القوة، نلجأ إلى إدخال الذكر إلى القلب، وذلك أن الذكر يتضمن النور، الذي يتصل بالإرادة، فتقوى، وهكذا حين نستدعي (النية) تكون درجة تنويرها أقوى، بحيث تدفع ظلمات (د ن).



س267: تفضلتم في الدرس ببيان إمكانية طلب الإرادة نفسها، فهل يعني ذلك أن طلبها مجردة يجعلها قوة مخزنة قابلة للتفعيل في أي سياق (كالإرشاد أو غيره) متى ما شاء المرشد؟ أم أن هذه الإرادة تختلف عن الإرادة المقرونة بموضوع أو فعل معين؟

ج: هذا من أهم الأسئلة في الدورة.

الجواب: نعم يمكن طلبها مجردة، فيقوى كل شيء في بقية الدوائر، بحسب نمط التشابكات. ولكن هذا ليس محبذاً، والأولى أن نوجه الإرادة في باطننا، والاختيار الأمثل هو أن نحدّد المحورية والمدارية لها، وذلك بحسب التوجيهات القرآنية، وهي نخبرنا أن نفعل الآتي:

أن نريد الآخرة وأن نجعل لها المحورية (المركزية) في سلم أولوياتنا.
 وأن نريد معها الدنيا، ونجعل لها المدارية في سلم الأولويات.
 ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾، إن
 تمكنا من السيطرة على جوهر الإرادة في أنفسنا بحيث تحتوي هذه
 الثنائية بهذه الأولويات، فإن النواة المركزية للإرادة سوف تؤثر على
 جميع الدوائر، بحيث تقودها على اختيار الأقرب للقرآن الكريم.
 مثل هذا المريد، كلما يقرأ آية يجد نفسه سبق أن عمل بها دون أن
 يعلم، والسبب حسن اختياره للإرادة المناسبة، وطلبها من أستاذ
 الطريقة عن طريق أوراده وإرشاده..



س269: دكتور، لماذا لا يمكن اختصار مراتب الفناء بالفناء في حضرة
 الشيخ (قدس سره)، باعتباره الوارث المحمدي وحامل نوره ومظهر
 رسالته؟ وقد تبين من خلال ما تفضلتم به في الدرس أن المريد، إذا التزم
 بكثرة الأوراد والمحبة والطاعة، يتأهل للفناء في حضرته. فكيف يتم
 بعد ذلك الانتقال إلى الفناء في حضرة الرسول ﷺ، مع اختلاف طبيعة
 التلقي بين المقامين؟

كما لم يتضح لي قولكم: «أن تؤمن بالرسول كما يؤمن به شيخك، ولأنه
 يراه نور الله تنتقل حضرته عندك»، فكيف يمكن فهم هذا المعنى فهماً
 دقيقاً في سياق السلوك والتلقي الروحي؟

ج: أما سؤالك لماذا لا يمكن اختصار مراتب الفناء بالفناء في حضرة
 الشيخ، فجوابه: السبب، أن هذا هو المنهج الذي جلبه المشايخ عن
 طريق وراثاتهم الروحية ومجاهداتهم العظيمة، فلو كان ذلك هو الأصح،
 لكانوا أمرونا به. لذا ما داموا قد قالوا: مراتب الفناء ثلاثة، فهي ثلاثة.
 وأما كيفية الانتقال من الفناء في الشيخ إلى الفناء في الرسول ﷺ،
 فالمسألة بسيطة، وكالاتي:

المريد يحبُّ شيخه -- الشيخُ يعرفُ الرسول ﷺ ويحبُّه بطريقة تتناسب ومقامه العالي -- إذا فنى المريد في الشيخ، فسيتمكن بعدها من معرفة الرسول ﷺ ومحبته مثلما يعرفه الشيخ ويحبه.

قبل الفناء في الشيخ، المريد يعرف الرسول ﷺ ويحبه من مقامه المحدود. بعد الفناء في الشيخ، المريد يعرف الرسول ﷺ ويحبه من مقام شيخه العالي. يعني: حين يفنى المريد بشيخه، يتعامل مع الرسول ﷺ بالحال الذي يتعامل به الشيخ مع الرسول وليس بحاله هو كمريد. إن صعب عليك فهم هذا، فأنت معذورة، وليس مطلوب منك فهمه، بل مطلوب منك أمرين:

الأول: التصديق بهذا الترتيب الثلاثي والإيمان به لأنه جزء من معتقدات الطريقة.

الثاني: العمل على الفناء في الشيخ فقط، فإن حصلت عليه، سيكون عندك القدر الكافي من السعة الروحية والتنوير الباطني الذي يمكنك من فهم الفناء في الرسول ﷺ ولسوف تجدين نفسك منطلقة في إرادته، وطائرة في سبيل التحقق بمحبته وطلعته، وهو عادة أسرع مما يمكن أن يتصوره العقل أصلاً.



الملاحق

الملحق الأول - مفردات الكسنزان

حبل الله

المفردة: ما تَقَرَّدَ به حضرة السلطان وشيخ الزمان (قُدست أسرارهما).
 بَيَّنَّ حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدست أسرارهِ المباركة) المقصودَ بحبلِ الله تعالى في الآية الكريمة، فذكرَ أن الحبلَ العادي مكون من مجموعة خيوطٍ، وعلى شاكلته فإن حبل الله تعالى يتكون من خيوطٍ: فالسبحةُ والذكرُ الكثيرُ بمثابة خيطٍ، والعملُ الصالحُ خيطٌ، والمحبةُ خيطٌ، والأخلاقُ خيطٌ، وطلبُ العلمِ خيطٌ، والأدبُ خيطٌ، والرحمةُ خيطٌ، والصلاةُ خيطٌ، والصيامُ خيطٌ، والتعاونُ خيطٌ... وهكذا، فكل أمر أمرنا به تعالى من عدلٍ وإحسانٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾⁽¹⁾، فهي خيوطٌ، وإذا ما أخذَ بها المريدُ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنها تكون له مجتمعةً (حبلُ الله)، وهذا الحبلُ يَعِصِمُهُ أو يقيه من الزللِ، ومن الوقوع فيما يبعده عن الله تعالى وحبيبه ﷺ ومشايخ الطريقة (قدست أسرارهم جميعاً)، فالحبلُ مددُ التَّقْوَى.

إن قوة حبل كل مريدٍ (أي تقواه) بقدر الخيوط التي يأخذها، ويتمسكُ بالعمل بها، فقد يَضْعُفُ هذا الحبلُ حتى يكون كخيوطٍ رفيعٍ، بالكادِ يُرى، وقد يكون عظيمًا قويًا صلبًا بكثرة خيوطه والإخلاص في أدائها.
 فإن سألَ سائلٌ: ما الطريقةُ؟ فقل: الطريقةُ حبلُ الله تعالى المتين، الطريقةُ طريقةُ شيخي في الاعتصام بحبلِ الله.

حضرةُ شيخِ الزمان:

حضرة السلطان أمر بالاعتصام بحبل الله كاشفاً عن تفاصيل أو حقيقة هذا الحبل.

جاء أستاذنا الحاضرُ فبيّن الآلية أو الكيفية التي تتم بها عملية الاعتصام أو التمسك تلك. نوجزها في نقاط:

- علّمنا أن الحبل يتكوّن من خيوط: ذكر، وصلاة، وصيام، وأخلاق، وعمل صالح، ومحبة... الخ.
- مجموع هذه الخيوط التي تسمى الحبل، يُطلق عليها الأستاذ الحاضر صفة (أخلاق شيخكم). فالأخلاق هنا ليست مجرد دائرة تعاملات حسنة مع الناس، بل هي دوائر ثلاث متداخلة متكاملة، إذ تشمل العلاقات البشرية الثلاث: العلاقة مع النفس، العلاقة مع الناس، العلاقة مع الله تعالى.
- " التمسك بأخلاق شيخكم [حبل الله]، هو التمسك بأخلاق الحبل الممدود [سلسلة الطريقة] إلى رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، إلى الله سبحانه وتعالى".
- "وهذا [التمسك بأخلاق الشيخ والسلسلة] لا يكون إلا برابطة البيعة، هذا هو سر البيعة إن شاء الله تعالى".
- المقصود بقوله (قدس سره): "وهذا هو سر البيعة" هو الإجابة عن سؤالين:
- الأول: لماذا تُعطي المشايخ البيعة؟
- ج: المشايخ تعطي البيعة لتربط الناس بالأخلاق المحمدية المتصلة بالسماء (النور المحمدي).
- والثاني: لماذا على الناس أن تأخذ البيعة؟
- ج: لأن الناس إن لم تأخذ البيعة، بقيت أخلاقها إنسانية (وليست محمدية)، أي منقطعة هابطة في الأرض، لحسنها حسنات، ولسيئها سيئات، ولكنها جميعها فانيات لا باقيات مثل الصالحات. ولذلك يذكر أحياناً شيخنا الحاضر مقولته: "البيعة فرض عين".

إِذَا، عندما يعطي المرشد البيعة، فالمفترض أن يكون مستوعباً لما يفعل، هو يسعى لربط المرشد بالأخلاق المحمدية العظيمة عن طريق سلسلة مشايخ الطريقة.

الحصيلة:

الأخلاق متصلة بالله، وهي خيوط، مجموعها يشكّل الحبل، والحبل ممدود من السماء إلى الأرض أو من الغيب إلى الشهادة بالسلسلة، وطرف الحبل يتمثل بالشيخ الحاضر، والإمساك بهذا الطرف يكون عن طريق "اللمسة الروحية" أو المشابكة أو مصافحة المبايعة، وهنا يأتي دور المرشد الكسنزاني المجاز بتفعيل هذا الربط بين الخلق وسلسلة مشايخ الأخلاق.

لذا، على المرشد أن يوسع دائرة فهمه للمقصود بالطريقة والبيعة، ضمن سياق هذه "المفردة" الكسنزانية، وأن يستخدم هذا المدخل في الإرشاد، إذا شعر بأنه سيكون مؤثراً في المرشد.

نعم، ستظهر تساؤلات من قبيل:

لدينا الكتاب والسنة، أو المرويات وفيها الأخلاق التي نحتاجها، لماذا تشتربون البيعة؟

نقول: ما دام المستمع قد ركنَ إلى النصوص النقلية، فالإجابة تكون من جنس ما ركنَ إليه، وقد أجملها شيخنا الحاضر وحضرة السلطان من قبل، وهي: "الذي تركه بيننا رسول الله ﷺ كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً"⁽¹⁾. فالتمسكُ لابد أن يكون بهما معاً.

السؤال المباشر المتوقع لذلك هو: ما الدليل على أن شيخكم هو واحد الزمان؟

هنا ترجعون إلى ما سبق أن بيناه بالتفصيل في جوابنا حول

1 - الطبراني، انظر: المعجم الكبير، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، رقم الحديث [4980]، ج5 ص169.

السؤال (41 - الدرس الثاني) الخاص بالمنهجين: العقلي المنطقي، والصوفي التجريبي.

فإن بين المرشد الكسنزاني ما تقدم، يكون قد أدى مهمته على أكمل وجه، وله الأجر المستحق كاملاً، اقتنع المرشد أم لم يقتنع، وذلك أن الأصل القرآني في الإرشاد هو التذكرة، والتذكرة غير مشروطة بالاقتناع: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى . سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾⁽¹⁾.

بعض المرشدين يتأذون ويتحسرون حين لا يقتنع المستمع لهم، وهذا حال اعتيادي يصيب أي مرشد، وقد طيّب القرآن الكريم خاطر المصاب به فقال لحضرة الرسول الأعظم ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽²⁾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁽³⁾، البخع لغة: «أصل واحد، وهو القتل وما دناؤه من إذلال وقهر»⁽⁴⁾، والمقصود أن حضرته ﷺ كان يتحسر كثيراً عندما يرشدهم إلى المباينة ليرتبطوا بالله تعالى، فيسمعون ولا يستمعون، ويعرضون مُدبرين.

وكما قيل: الكلمة سهم إن لم يصب هدفه أصابك.

في الحقيقة: الإرشاد مثل ساحة القتال، فإما فرح وإما قرح. لهذا على المرشد أن يكون محصناً بالتقوى، بالدروع التي تصد عنه أو تخفف من جراحات المعارك في سبيل الله، لهذا فإن القتال مكروه، ولكنه مكتوب علينا مثل الصيام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽⁵⁾.

1 - [الأعلى: 9-11].

2 - [فاطر: 8].

3 - [الكهف: 6].

4 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1 ص206. والبخع، وتعني: أن تبلغ بالذبح البخاع، وهو ويريد دم قريب من صلب عظام الرقبة، وهو أقصى حد يصل إليه الذبح.

5 - [البقرة: 216].

إن هذا نوعٌ خاصٌّ من القتال، نستهدفُ به الهدى بدل القتل، لكنه لا يخلو من أذى، فمن جند نفسه لهذا النوع من قتال الإرشاد بما يتَّسم به من عقلانية، ورحانية، فقد كان فارساً في ميدان الرحمة والهدى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾، والقَرْحُ: ألمُّ الجراح.

نقول: القرآن الكريم، يُطَيِّبُ خاطرَ وقلوبَ المرشدين إذا أصابتهم مثل هذه المصائب ويعددهم بالتعويض الأبدي النادر، بالتالي، لذا فإنَّ الأمر يستحق العناء.



ليلة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾⁽¹⁾.
 ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ
 مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .
 سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾⁽²⁾
 ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ
 الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾⁽³⁾

من هذه الآيات الثلاثة -وروايات كثيرة- آمن المسلمون
 المحمديون، بأن نزول القرآن كان في ليلة القدر من شهر رمضان.

السؤال: أي ليلة من شهر رمضان؟

الرأي (1): ليلة 27 من شهر رمضان.

الرأي (2): ليالي الوتر من العشرة الأواخر من شهر رمضان.

الرأي (3): العشرة الأواخر كلها.

الرأي (4): ليالي شهر رمضان كلها.

الرأي (5): وهو رأي حضرة السلطان (قدس سره)، يرى: ليالي
 السنة كلها.

" كل ليلة من ليالي السنة هي ليلة القدر عند المريد".

قراءته الصوفية:

يعرض حضرته (قدس سره) مسألة نزول القرآن الكريم في شهر
 رمضان، ويقول فيما معناه: نعلم أن القرآن الكريم قد نزل مُفَرَّقاً خلال
 23 عاماً من عمر البعثة المحمدية المطهرة ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾⁽⁴⁾، فكيف

1 - [الدخان: 3].

2 - [القدر: 1-5].

3 - [البقرة: 185].

4 - [الإسراء: 106].

يتفق ذلك مع قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾⁽¹⁾ كاملاً؟

الحقيقة: أن القرآن الكريم نورٌ، والنور (كلُّ لا يتبعض)، فنزول آية من القرآن أو حتى كلمة هي في الحقيقة نزول القرآن كله.

ولما تفرق نزول القرآن على ليالي السنة كلها وأيامها خلال 23 عاماً، فكلُّ ليلةٍ من ليالي السنة هي ليلة نزول القرآن، أي كل ليلة من ليالي السنة هي ليلة قدر، عند أهل الطريقة.

أما ذكر شهر رمضان بالاسم في القرآن الكريم، فلأن أول نزول لأول آيات من القرآن كانت في ليلة مباركة من لياليه، ثم توالى النزول في ليالي السنة".

إذاً، نحن كأهل الطريقة الكسنزانية، نحتفي بليلة القدر المرجحة عند عموم المؤمنين وهي ليلة 27 من شهر رمضان، لأنها ليلة ابتداء تنزيل النور على النور ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽²⁾، لكن إيماننا وعملنا يقوم على عقيدة أن جميع ليالي الله تعالى هي ليالي قدر، ليالي مباركات بالقيام والتسبيح والتبذل إلى المولى جل وعلا.

كلُّ ليلةٍ قامها النبي الأعظم ﷺ لله تعالى هي ليلة مباركة، تشرفت بقيامه، وتشرفت بنزول النور على قلبه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ﴾⁽³⁾.

فقرة أخيرة:

-ليلة القدر خير من ألف شهر.

عند جمع ألف شهر نجدها تقريباً 80 عاماً أو تزيد.

يعني: كل ليلة قيام على نية إحياء ليلة القدر وأداء حقها، تعادل عبادة العمر كله، فمن قام عشراً مثلاً، وكأنه عبد الله تعالى عشرة أعمار، فكيف بمن يقضي ألف شهر في القيام!

1 - [البقرة: 185].

2 - [النور: 35].

3 - [الشعراء: 193-194].

الملحق الثاني - المرشد والتأهل لسن الرشد الديني

للإنسان، ذكراً كان أو أنثى مرتبتين من الوعي: وعي البلوغ ووعي الرشد.

وعي البلوغ: هو المتعلق بالحالة الفسيولوجية، وهي حالة انتقالية تتفعل فيها الهرمونات الخاصة بالتناسل والتكاثر ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾⁽¹⁾.

بالتالي هو السن الذي يصبح في الإنسان مؤهلاً للمشاركة الفعلية في خلق كائن حي، يترتب على وجوده أثر دنيوي وعاقبة أخروية. في الحقيقة، إنجاب طفل: هو إنجاب لكائن سيحمل حياتين: مؤقتة ودائمة.

ولأنَّ الأمر فيه جنبَةٌ غيبيةٌ، فقد أتى التنزيل بالتوجيه على بدء التكليف بهذه السن، وذلك أنَّ الطفل سيحتاج إلى مربي يكون قدوة له في الحياتين، حتى يبلغ هو بدوره سن البلوغ.

إذًا، عناصر سن البلوغ ثلاثة:

١. القدرة الجنسية.
٢. القدرة على التنشئة الدنيوية (مأكل ومشرب وملبس، ...الخ).
٣. القدرة على التربية الروحية (الدينية).

دائرة الوعي هنا مغلقة محدودة متمحورة حول مجريات الأمور الظاهرية معاشياً والتربوية الدينية المعتمدة على الموروث النقلي (المتناقل أباً عن جد).



1 - [النور: 59].

وعى الرشد: هو وعى متعلق بالجانب المعرفي حصراً، وهو يتحرّك في ثلاثة أبعادٍ أيضاً، وهي:

١. راحة العقل 2. إتيان الهدى 3. العلوم الدنية

وفيما يلي تفصيل ذلك:

١. وعى راحة العقل: هو مستوى الوعي المنطقي بحيث تكون نسبته أرجح من نسبة الشهوة.

أنَّ الشخص الذي تتحكم الشهوة في اختياراته، هو شخص أقرب إلى البهيمية منه إلى البشرية، والعكس صحيح. فلنقرأ معاً الآية الكريمة: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾⁽¹⁾.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾، أي علّموا اليتامى ودربوهم تدريباً يكونوا فيه قادرين على مواجهة البلاء أو المشاكل التي تصيبهم في إدارة أموالهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، هذه أولى علامات الاستقلال الشخصي، لكنها ليست كافية.

﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، أي إذا كان وعيهم رشيداً راشداً، بحيث أنكم تشعرون بالأنس لا الوحشة والقلق من إدارتهم لأموالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.

إذاً، الوعي في هذا النوع من الرشد متعلق بترجيح الحكم المنطقي على الشهوي، ذلك ان المنطقي يحكم وفق النتائج النهائية، بخلاف الشهوي أو الشهواني، فهو حاكم المقدمات الأولية، دون أن يعبأ بما يترتب على ذلك من عواقب.



2. وعي الهدى: هو مستوى الوعي الإيماني بحيث تكون نسبة اتباع الهدى أكثر من اتباع الهوى. ﴿قُلْ أُوجِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾⁽¹⁾. والنفر عددٌ محصور بين (3 - 10).

عندما سمعوا القرآن ووجدوا آياته تتحدث عن التوحيد والشرك، وعاقبة كل منهما، ما حصل لهم بحسب الآية الكريمة، أَنَّ هُدًى قَدْ أَتَى وَعِيَهُمُ الْإِيمَانِيَّ، فبلغ بهم أو نقلهم إلى (سن الرشـد) وهو المعبر عنه بـ(يهدى إلى الرشـد). ومن يبلغ سن الرشـد يدخل حالة الاختيار بين الإيمان والكفر، وعليه أن يختار أحد الطريقين، وما تذكره الآية الكريمة أن هؤلاء نفر قد اختاروا الإيمان بالتوحيد وترك الشرك الذي كانوا عليه ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾⁽²⁾.

لنتوقف عند حالة الاختيار تلك فهي النقطة المحورية في الراشد وغير الراشد.

ليس كلُّ مؤمنٍ بالغاً سنَّ الرشـدِ إلا أن يختار بحرية ذاتية كاملة. لتلقي بشخص تعرفه أو لا تعرفه، وتكلّمه قليلاً عن الطريقة، قد يقتنع بما تقول وقد لا يقتنع، وفجأة تمد يدك له لتعطيـه البيعة، فيحمله الحياء أو المروءة أن لا يرد يداً امتدت له، فيبايع. والسؤال هنا: هل بايع هذا الشخص حقاً؟

الإجابة: نعم بايع، ولكنها بيعة ليست بتامة، بيعة لسانية، بيعة استوفت شروط الذي أعطى البيعة من حيث اللمسة الروحية ومن حيث التعهد بالقبول، ولكنها لم تستوفِ شرط الذي أخذها، لأنها لم تكن نابعة من اختيار واع (راشد). أن تركته ومضيت، كان شأنه شأن من يقال في حقهم (مسلم بالاسم). نعم يحمل في باطنه بذرة اللمسة الروحية، وهذه في قوة كامنة يمكن أن تؤثر في الباطن بحيث يستجيب على لحظة ما، ولكن ذلك قد يحصل وقد لا يحصل.

1 - [الجن: 2-1].

2 - [الجن: 2].

أَمَّا تَمَكَّنْتُ مِنْ تَرْغِيْبِهِ بِتَسْبِيْحِ الْخِتْمَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَالثَّلَاثَةِ،
فَهُنَا تَكُونُ قَدْ أَعْنَتَهُ بِقُوَّةٍ عَلَى بُلُوغِ (سَنِ الرُّشْدِ) فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ
مُمْكِنٍ. وَالْمَقْصُودُ بِسَنِ الرُّشْدِ هُنَا هُوَ ذَلِكَ الْوَعْيُ بِالْهَدْيِ الَّذِي
أَتَاهُ، وَأَنْ يَتَّخِذَ الْقَرَارَ الشَّخْصِيَّ الْحَرَّ لِيُؤْمِنَ بِهِ.

بِالنَّظَرِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّهَا تَضُمُّ الدَّلَالََةَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَئِكَ
النَّفَرِ كَانُوا مَخِيرِينَ بَيْنَ إِرَادَةِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَبَيْنَ إِنْكَارِهِ
وَقَدْ اخْتَارُوا بِمَحْضِ إِرَادَتِهِمُ الْحَرَّةَ الْإِيمَانُ بِهِ (فَأَمَّنَا بِهِ)، وَالسَّبَبُ
أَنَّهُ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽¹⁾.

يَقُولُ حَضْرَةُ السُّلْطَانِ (قَدَسَتْ أَنْوَارُهُ الْمُبَارَكَةُ): "الْإِيمَانُ: تَقْلِيدِي
وَحَقِيقِي".

كَذَلِكَ كَانَ حَضْرَةُ السُّلْطَانِ يَقُولُ: "هَنَّاكَ مُسْلِمٌ بِالْأَسْمِ، وَمُسْلِمٌ
حَقِيقِي".

مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ جَاءَ فِي مَوْسُوعَةِ الْكَسْنَزَانِ التَّفْصِيلُ لِذَلِكَ فَقِيلَ:
«الْإِيمَانُ التَّقْلِيدِي: هُوَ أَنْ يُعْتَقَدَ الْإِنْسَانُ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ مَا يَجِبُ
فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِهِ تَعَالَى، تَقْلِيدًا لَوَالِدِيهِ، أَوْ اعْتِرَافًا بِقَوْلِ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ مِنْ
غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بَرْهَانٍ ذَاتِي عِنْدِهِ. وَهَذَا الْإِيمَانُ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ كَثِيرًا»⁽²⁾.

أَمَّا «الْإِيمَانُ الْحَقِيقِي: فَهُوَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ نَتَائِجِ: الْإِرَادَةِ،
وَالصَّدَقِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ»⁽³⁾.

لَا حَظَّ: الْإِرَادَةُ هُنَا تَعْنِي لَحْظَةَ الْإِخْتِيَارِ الْحَرَّ، تِلْكَ هِيَ لَحْظَةُ بُلُوغِ سَنِ
الرُّشْدِ.

هُنَا نَصِلُ إِلَى الْهَدَفِ مِنْ هَذَا النِّقْطَةِ فِي الدَّرْسِ، وَهُوَ يَتِمَثَّلُ فِي
أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: عَلَى الْمُرْشِدِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَيْسَ أَلْ هَلْ بَلَغَ
سَنَ الرُّشْدِ؟

1 - [البقرة: 256].

2 - السيد محمود أبو الفيض المنوفي - معالم الطريق إلى الله - ص 133.

3 - الشيخ إسماعيل حقي البروسوي - تفسير روح البيان - ج2 ص 216.

• أن تتذكّر لحظة الاختيار الحر الواعية للطريقة بكل ما فيها، وأنها الحق الذي يريدُ يقابلَ الحقَّ سبحانه بها. فهذا التذكُّرُ وهو (الوعي بسنِّ الرشد)، أي صار عارفاً أنه من تلك اللحظة الماضية قد بلغ هذه السن الإيمانية، وليحمد الله تعالى وليشكر همة المشايخ عليها.

• إن لم يتذكر تلك اللحظة للاختيار الحر، لسببٍ أو لآخر، فعليه أن يتخذ القرار الحر، بهذا الأمر، فهي لحظة (البلوغ الإيمانية) المرتقبة. هو بالغ لكنه لا يعي ذلك، ودورتنا تسعى لإيقاظ هذا الوعي.

أكثر من ذلك، يمكن اختيار لحظة سابقة ولتكن لحظة أخذه للبيعة مثلاً، إن رآها مناسبة، وليعدها لحظة الوعي بالهدى، لحظة بلوغ سن الرشد.

الأمر الثاني: إذا كان عارفاً بنفسه أنه بالغ سن الرشد وكيفية وصوله له، فعليه في عملية الإرشاد أن يستهدف إيصال الآخرين لهذا الوعي. ليس المقصود هنا أن يذهب المرشد للناس ويخبرهم بما تعلمه عن سن الرشد، بل المقصود أن يعي هو ما عليه القيام به لمساعدة الناس للوصول إلى سن الرشد (بطريقة غير مباشرة).

الدرس يستهدف -من جملة ما يستهدف- زيادة مستوى الوعي عند المرشد ليكون عارفاً بنفسه، فيسهل عليه إرشاد غيره لما وصل هو إليه.



للوعي بسن الرشد الإيماني، آيات عديدة يمكن أن تفتح للمرشد آفاقاً إيمانية وعلمية إن أقبل عليها بعقلية طالب العلم، فسوف يغترف من رحمتها وبركتها بقدر تواضعه، وقد قال الصوفية قديماً: "إذا نزل مطر الرحمة، فلا يستقر على القمم، بل ينحدر منها إلى الحفر" فالحفرة هنا رمز التواضع، بخلاف الكبر الذي تسبب في إبعاد

إبليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾⁽¹⁾، يعني: لا تتصرف كالعالين فأنت لست منهم، تواضع.

من آيات هذا المستوى من (الوعي الإيماني)، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِدُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁾.

التسلسل في هذه القصة كالآتي: النبي العظيم إبراهيم (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى نبينا الكريم)، لم يكن من أصحاب الإيمان التقليدي، أي لم يبق على تقليد أبيه أو بيئته، والسبب أنه انطلق يتساءل: كيف لحجارة يصنعها الناس أن تكون بعدها آلهة لهم؟ الأمر غير منطقي لأنه أشبه بأن تقول: أن رجلاً أنجب والديه. هذا لا يمكن، إنه خلاف العقل والواقع بالمطلق، وبالتالي سيكون خلاف الإيمان بالضرورة. إنه لدرس عظيم نستلهمه من هذه الآية الكريمة.

فلما رفض الواقع الإيماني بوعيه العقلي المنطقي، وعده ضلالاً، ماذا حصل معه؟ أتاه الرشد من ربه (آتيناه إبراهيم رشداً) أي أتاه الهدى، فما الذي يعنيه ذلك؟

الذي يعنيه: أن الوعي بسن الرشد لا يأتي إلا بقوة روحية خارجية تأتي من مصدر إلهي وهذا هو الذي يسمى (الهدى).

بتعبير آخر: سن الرشد الإيماني يتكون من أمرين متكاملين هما بمثابة السبب والنتيجة: إرادة حقيقية من الإنسان يترتب عليها بالضرورة (القانون الروحي) استجابة إلهية بتنزيل الهدى في باطن المرء، فإن نزل الهدى حصلت لحظة (سن الرشد) فإن وعى بها حصل على درجة من درجات (العارف بنفسه) وما أحوجنا لهذه الدرجات.



1 - [ص: 75].

2 - [الأنبياء: 54-51].

3. وعي اللدن: هو مستوى من الوعي الصوفي، مرتبط بزيادة (كتلة الرحمة) في الجانب الروحي، مفتاحها الصبر لزيادة نسبة الوعي بغير المألوف في الجانب الإيماني، من مصدر هدى ظاهر.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾⁽¹⁾.

البعد الثالث من أبعاد سن الرشد، هو بُعد الوعي بالعلم اللدني، وما هو هذا العلم؟ هو ليس بعلم التأويل أو الباطنيات أو التلغيزات أو ما شابه. هو علم يتعلق بالرؤية وليس بالرؤيا، وما الرؤية؟ استحضار المستقبل في الحاضر.

لاحظوا: العبد الصالح، علم أن وراء القوم ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً. هل هذا العلم هو علم بالباطن؟ لا، هذا علم بالظاهر، لكن مصدر الحصول على المعلومة باطني أو لدني. الملك موجود في الظاهر ليس في الباطن أي عالم الأرواح، ثم إن هذا الملك يمارس في الظاهر سرقة السفن من أهلها. أهل السفينة وموسى لا يعلمون بذلك، الله تعالى يعلم بذلك، أوحى هذه المعلومة الظاهرة إلى قلب العبد الصالح، وأوحى له ماذا يفعل أيضاً. عملية تلقي المعلومة فقط هي الباطنية، أما المعلومة كلها ليست باطنية. يعني لو اتفق أن جاء مسافر من مدينة الملك وسأله الناس عن حال الملك لأخبرهم بخبر اغتصاب الملك للسفن.

العبد الصالح، بالله تعالى رأى المستقبل حاضراً، ورأى ما عليه القيام به، وتصرف وفقاً لرؤيته.

النبى موسى لم ير تلك الرؤية اللدنية، لم ير المستقبل الذي رآه العبد الصالح، هنا كان عليه أن يلتزم بتعهده بالصبر، وأن يطبق

1 - [الكهف: 65-68].

ما أمره صاحب الرؤية، حتى يأتي الوقت الذي يصبح مؤهلاً لتلقي رؤى مثلها. لكنه لم يصبر، وكان ما كان مما نعلمه جميعاً من تنمة القصة.

ما البعد الذي علينا التوقف عنده في هذه القصة ضمن سياق درسنا؟

الذي علينا التوقف عنده هو: أن نفهم أن النبي موسى في هذه القصة لم يكن قد بلغ سن الرشد اللدني بعد. يعني هو كرسول عنده مستوى وعي بالوحي فيما يتعلق بالحدث الحاضر، لكن لم يكن عنده مستوى وعي بالمستقبل (رؤية).

الإشكال ليس في أنه لم يكن صاحب وعيٍ بالعلم اللدني، بل الإشكال في أنه لم يكن يعرف أصلاً بقصوره هذا.

المقصود هنا، أن المرشد عليه أن ينظر في نفسه ليعرف ما عنده وما ليس بعنده بهذا الخصوص، فأوّل طريق المعرفة في التصوف مواجهة الواقع كما هو لا كما نحلم.

- المرشد الذي ينظر في نفسه ويرى فيها أنه يملك هذه الرؤية الروحية (العلم اللدني) بالأمور الواقعية الظاهرية، مثل العبد الصالح، فهو المرشد الواعي البالغ سن الرشد اللدني.
- والمرشد الذي ينظر في نفسه ويرى فيها أنه لا يملك هذه الرؤية الروحية (العلم اللدني)، مثل النبي موسى عليه السلام، فهو مرشدٌ واعٍ أيضاً، وأنه مؤهل مثل النبي موسى عليه السلام للسلوك الخاص لتعلمها.

أما المرشد، الذي يتوهم أو يدعي أو يعطي لنفسه ما ليس فيها حقاً، فهو الحالم، الغافل بالأمني، وكل حلم وكل أمنية في الدين هي عند الله تعالى واهية. قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾⁽¹⁾.

1 - [الطور: 32].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (1).

السؤال الآن: ما الذي على المرشد الكسنزاني العارف بقصوره الذاتي بشأن سنّ الرشد اللدنيّ أن يفعله؟

هنا تتجلى عظمة الطريقة وأستاذها، هنا تبرز قوتها وسلطانها.

كان سلطاننا يقول: "المؤمن مرآة المؤمن".

الله تعالى هو المؤمن: كما في الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (2).

الرسول الأعظم ﷺ هو المؤمن: فهو مرآة الله للعالمين، بمعنى أن العالمين ترى رحمة الله تعالى في الحضرة المطهرة قولاً وفعلًا وحالاً، ظاهراً وباطناً.

أستاذ الطريقة وشيخها هو المؤمن: فهو مرآة الرحمة للعالمين بيننا.

المرشد في الطريقة هو المؤمن: فهو مرآة شيخه بين الناس.

إن لم يكن عند المرشد علم لدني، أي رؤية مستقبلية في الواقع المعاصر، فليُنظر في مرآة شيخه، وليأخذ رؤيته وليتحرّك بها، فرؤية الشيخ هي للشيخ ومريده.

شيخنا الحاضر، شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (قدس سره)، يطلعنا على رؤيته، في مواعظه وخطاباته المتكرّرة. ومنها على سبيل المثال: رؤيته في رفد التكايا — (المجلس الثقافي) ورؤيته في (مجلس الشباب) ورؤيته في (الثورة الفكرية البيضاء)، كل هذه الرؤى والتوجهات السلطانية المشيخية، هي عند المرشد الكسنزاني البالغ

1 - [الحج: 52].

2 - [الحشر: 23].

سن الرشد اللدني، هي من علم اللدن، التي يمكنه حيازتها بقدر مجاهدته في الصبر عليها، والعمل على تحقيقها.

نقطة جوهرية على المرشد الكسنزاني أن يعيها كلياً في هذا البعد وهي: أن العلم اللدني ليس علماً نظرياً، بل علماً واقعياً يقتضي العمل وإلا انتفت عنه صفة اللدنية.

يعني: العبد الصالح علم بما سيحصل وما عليه أن يفعله، لو أنه لم يفعل ما فعل، أو لو أنه لم يعمل بما علم، فلا يقال عنه صاحب علم لدني.

وأنتم أيها المرشدون والمرشدات الكسنزانيون: كم معلومة لدنية تريدون؟ بإمكانكم الحصول على الكثير من المعلومات اللدنية، لكن ما تعملون به منها هو رصيدكم عند ربكم، وهو الذي يحدّد مقامكم ومقاعدكم الروحية في الدنيا والآخرة.

بكلمات أخرى: يمكن القول أن المرشد الكسنزاني والمرشدة الكسنزانية في هذا الأمر بين المطرقة والسندان: فإما أن يطلب العلم اللدني، أي يسأل أستاذه عن رؤيته، وهنا عليه العمل بها وإلا كان كأنه لم يطلبها. وأما أن لا يطلبها ومن لا يطلبها، فما وجه إدخال نفسه بين مرشدي الطريقة ومرشديها!

الطريق مُعَبَّدٌ بالغنيمة: اطلبوا لتعملوا تفلحوا وتربحوا، وتكونوا بذلك بالغين سن الرشد اللدني، الأمر الذي يفخر به سلطانكم في آخرته، ويباهي به شيخكم الحاضر في زمانه.



الملحق الثالث - المرشد والتأهل لعلم الاستقرار

يُمثل الاستقرار ركيزةً أساسيةً في مناهج التفكير الفلسفي والعلمي؛ فهو المسار المعرفي الذي يقوم على تتبع وتفحص الجزئيات والملاحظات الخاصة بهدف الوصول إلى استنتاج حكم كلي، أو صياغة قاعدة عامة وقانون شامل. ويُعدُّ هذا الانتقال المنهجي من "الخاص" إلى "العام" حجر الزاوية في البحث العلمي المعاصر، حيث تُبنى النظريات وتتطور بناءً على الحقائق الملحوظة والمُعَايَنة.

تُرجع أكثر الدراسات ظهور هذا المنهج إلى الفيلسوف اليوناني المعروف (أرسطو) في (ق4 ق.م)⁽¹⁾. وتطور كأداة تجريبية مع الحسن ابن الهيثم (ق 11 م)⁽²⁾. وجرى تثبيته علمياً ومنهجياً كقانون للبحث العلمي مع فرنسيس بيكون (عام 1620م)⁽³⁾.

لكن، عند التدبر في الآية الكريمة نجد التنزيل الحكيم يؤرخ إلى أنَّ سبق الديني لاكتشاف هذا المنهج قد سبق أرسطو بما يزيد (1500 عاماً)، كما يتبين من هذا المشهد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁴⁾.

لقد قدّم الخليل عليه السلام نموذجاً عملياً للاستقراء من خلال مراقبة الأجرام السماوية في سلسلة من المشاهدات المتدرجة:

- 1 - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم ومؤسسة هنداوي، ص164.
- 2 - الحسن بن الهيثم، كتاب المناظير، تحقيق: د. عبد الحميد صبرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983م، ص62.
- 3 - فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد (Novum Organum)، صدر عام 1620، ترجمة د. نجيب الحصادي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2013، لكتاب الأول، الأمثولات، ص1-40.
- 4 - [الأنعام: 76-79].

١. الملاحظة الأولى (الكوكب): رصد إبراهيم عليه السلام ظهور الكوكب، واختبر فرضية الألوهية فيه، لتأتي مرحلة "الأفول" كدليل جزئي على النقص.

٢. الملاحظة الثانية (القمر): انتقل المنهج الاستقرائي لمستوى أعلى بمعاينة القمر، ليتكرر حدوث "الأفول" مرة أخرى، مما عزز الحاجة إلى هداية تتجاوز المادة.

٣. الملاحظة الثالثة (الشمس): مثلت الشمس الحالة العظمى في هذه التجربة، وبحدوث "الأفول" لها كما حدث لما سبقها، اكتملت الدورة الاستقرائية لليقين.

لقد استنتج النبي إبراهيم عليه السلام من هذه الجزئيات المتكررة (أفول الكوكب، أفول القمر، أفول الشمس) حكماً كلياً وقانوناً شاملاً يقضي بأن "الأفل والمتحيز لا يمكن أن يكون إلهاً فاطراً". وبناءً على هذا الاستقراء المنطقي، أعلن براءته من الشرك وتوجهه الكلي نحو القوة المطلقة التي فطرت هذه السماوات والأرض.

يمكن القول أن قصة النبي إبراهيم عليه السلام الخاصة برؤيته للكواكب في القرآن الكريم تُعد المرجعية الأولى لتأسيس العلاقة بين الإيمان الواعي والمنهج العلمي المنطقي في الدين الإسلامي.

النقطة المركزية هنا، إنَّ عرفانَ نبي الله إبراهيم عليه السلام واكتشافه لهذا المنهج لم يكن ليتم إلا بقوة نورانية باطنية من ربه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾⁽¹⁾، فلاحظ (ولقد آتينا)، أي أنَّ رشد إبراهيم بمدد إلهي علوي من خارج ذاته، كان هادياً له بحيث يكون المؤسس والمرجع الأول لهذا العلم (وكنا به عالمين).

إنَّ الربط بين الاستقراء، كأداة معرفية، وبين نيل "الرشد الديني" يقدم لنا خارطة طريق تربوية لبناء الشخصية الإرشادية التي لا تكفي بالتسليم العاطفي، بل تدعم إيمانها بالبرهان العقلي

1 - [الأنبياء: 51].

الساطع. والأهم، أن ذلك يحدث بالهمة والمدد الذي يأتي من الباطن إلى الباطن.

بكلمات أخرى:

الرشد الديني هو خلاصة التكامل بين المنطق العلمي، وبين الوعي الذي يتجاوز مجرد الإدراك الحسي ليصل إلى اليقين الروحي. لقد وهب الله تعالى النبي إبراهيم عليه السلام هذا الرشد وجعله قادراً على استخدام أدوات التفكير السليم للوصول إلى الحقائق الكبرى. ومن هنا، يتأكد بروز قصة النبي إبراهيم عليه السلام كمرجعية أولى وأصيلة لتأسيس العلاقة بين الإيمان الواعي والمنهج العلمي المنطقي في الفكر الإسلامي.

يمكن إيجاز الخلاصة المنهجية في النقاط أدناه:

١. أن الرشد الديني لا يأتي إلا بسبب الخروج للإرشاد. إذ لما فعل النبي إبراهيم عليه السلام حصل عليه.
٢. لأنه كان يواجه أقواماً ذوي طابع منطقي، دُرِبَ ليكون منطقة الأقوى والمتعالى عليهم، فَعَلَّمَ الاستقراء المنطقي. ولما كان رشد إبراهيم رشحاً دينياً، وليس فلسفياً أو علمياً بحتاً، فقد حصل مع معرفته العلمية الاستقرائية على رؤية قلبية لم يكن ليحصل عليها بدون ذلك التدريب، وهذا نجده واضحاً في الآية التي جاءت في سياق القصة وتقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾⁽¹⁾.

وفقاً لذلك، يتبين أَنَّ دروس إعداد المرشدين، توجه النظر إلى أن واحداً من أهداف حَثِّ مشايخ الطريقة المرشدين على الخروج للإرشاد هو أن يصيروا متأهلين لرؤية ملكوت السماوات والأرض أي جانبها الروحي فضلاً عن توسيع دائرة الوعي بالمنهج

1 - [الأنعام: 75].

الاستقرائي، لإعادة صياغة شخصية المرشد فيكون "إبراهيميَّ
النهج" إن جاز التعبير؛ أي يستخدم العلم والمنطق في فهم مقام
الإرشاد، ويستقرئ ثمار السلوك في نفسه وفيمن حوله، ليصل إلى
بناءٍ عقديٍّ راسخٍ يقوم على البرهان واليقين، تمهيداً لمراحل
الخطاب والتواصل المعاصر مع الناس.



الملحق الرابع - المرشد والتأهل لزيادة الهدى

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾

[الكهف: 24]

الهداية في الطريق مراتب، وكل مرتبة تفتح ما فوقها، وما يظنه المرید نهاية قد يكون بدايةً أوسع، لأن الرشد لا يقف عند حد، والعبد يظل محتاجاً إلى مزيد من التوجيه الإلهي ما دام سائراً إلى الله تعالى. من هذا الباب يكون الإرشاد سبباً عميقاً في زيادة هدى المرشد نفسه، لأن الذي يسعى في تقريب الناس إلى النور، تتجدد في باطنه أسباب النور، والذي يشارك في إيقاظ القلوب، تنبعث في قلبه هو أيضاً معانٍ جديدة من اليقظة.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "الدرويش عندما يرشد يرى القوة الروحية الكبيرة، يرى الهدى ضعف ما هدى".

هذا المعنى يمكن أن يفهم من الآية الكريمة: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾⁽¹⁾، فالآية تفتح أفقاً واضحاً في أن الرشد درجات، وأن العبد قد يكون على هدى ثم يرتقي إلى ما هو أقرب، وأدق، وأعلى. وهذا القرب من الرشد لا يتحقق فقط بالتلقي، وإنما يتحقق أيضاً بالدخول في الأعمال التي يجعلها الله وسائل لتوسيع الهداية في النفس، ومن أخَص تلك الأعمال الإرشاد.

فالمرشد حين يخرج إلى الناس، ويتوجه إلى المسترشدين الجدد، ويخاطب من أثقلتهم الغفلة، أو أرهقهم التردد، أو حجبهم العادات، فإنه يدخل معهم في لحظة تحول باطني عظيمة. هؤلاء كانوا في عمى نسبي عن الطريق، ثم بدأت أنوار الحال تمس قلوبهم، وبدأت معاني الذكر والطاعة والمحبة تقترب من أرواحهم. هذا الأثر لا يقتصر عليهم، وإنما يمتد إلى القائم بالإرشاد نفسه، لأن الله الذي فتح لهم باباً على يديه، يفتح له في داخله باباً آخر من الرشد.

1 - [الكهف: 24].

من هنا نفهم سرّاً من أسرار الأمر بالإرشاد في الطريقة. فشيخ الطريقة حين يأمر المريّد أو المرشد بالخروج إلى الإرشاد، فإن هذا الأمر لا يتعلق فقط بحاجة الناس إلى من يدلهم، وإنما يتعلق أيضاً بحاجة المرشد نفسه إلى أن يصير أهلاً لزيادة الهدى. فكأن شيخ الطريقة يضعه في مقام عملي تتوسع فيه قابليته الداخلية للنور، ويهيئه لمرتبة جديدة من الرشد لا ينالها بالانزواء وحده، بل ينالها حين يصير سبباً في هداية غيره. الإرشاد إذن هدى للناس، وفي الوقت نفسه زيادة هدى للمرشد، وصناعة لداخله، وتوسعة لوعيه الروحي.

فإذا أردنا أن نعبر عن الهدى تعبيراً دقيقاً في هذا السياق، أمكن القول: إن الهدى هو الاستجابة التلقائية، وبلا تكلف، لمراد الله تعالى.

إنّ الحالة التي تتحرك فيها النفس نحو ما يريد الله بحيوية داخلية، وبسهولة روحية، وبميل صادق لا يحتاج في كل مرة إلى صراع طويل مع ذاته. وحين يزداد العبد هدى، تزداد هذه القابلية في داخله، فيصبح أسرع رجوعاً إلى الحق، وأقرب فهماً للإشارة، وألين انقياداً للتوجيه، وأعمق انسجاماً مع ما يحبه الله ويرضاه.

عند هذا المعنى يظهر وجه الصلة بين الإرشاد وزيادة الهدى. فالمرشد حين يكرر دعوة الناس إلى الذكر، ويحضهم على الطاعة، ويذكرهم بالرشد، تتكرر في داخله هو أيضاً معاني الاستجابة. وكلما دعاهم إلى أمر، صار مطالباً من داخله بأن يحققه على وجه أتم. وكلما رأى أثر النور في قلوبهم، تحرك في قلبه شوق جديد إلى ذلك النور. وكلما شاهد تبدل أحوالهم، تنبّه إلى أن الفيض الإلهي ما زال جارياً، وأن عليه أن يكون أصدق استقبلاً له. وهكذا ينمو فيه الهدى من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر، لأن خدمته للطريق تجعله أكثر تعرضاً لأنوار الطريق.

قد يرى المرشد في المسترشدين الجدد أحوالاً توقظه هو نفسه. فقد يرى في أحدهم صدق الطلب، وفي آخر حرارة الدموع، وفي ثالث

صفاء التوجه، فيرجع إلى نفسه، ويحاسبها، ويطلب لها نصيباً أوفر من هذا الصفاء. وقد يسمع سؤالاً بسيطاً من مسترشد جديد فيهتز له قلبه، لأن السؤال يلامس أصل الطريق، ويعيده إلى البداية الأولى التي انطلق منها. وبهذا المعنى يكون المسترشد الجديد باباً من أبواب تذكير المرشد، وتكون هداية الداخلين الجدد في الطريق سبباً في أن يتجدد هدى القائم على خدمتهم.

وهنا يظهر البعد التربوي العميق في توجيه شيخ الطريقة إلى الإرشاد. فاستاذ الطريقة لا ينظر إلى الإرشاد على أنه حركة تنظيمية فقط، ولا على أنه توسيع عددي في المريدين، وإنما يراه ميداناً لتخريج رجال يزدادون هدى بالفعل.

لهذا فإن الإرشاد بابٌ من أبواب التهذيب العملي. إذ فيه يتدرب المرشد على الصبر، وعلى حسن الخطاب، وعلى فهم النفوس، وعلى النزول إلى مستوى المحتاجين دون كبر، وعلى حمل هم الهداية بروح الخدمة. وكل خصلة من هذه الخصال توسع مساحة الهدى في باطنه، لأن الهدى ليس فكرة نظرية فحسب، وإنما هو هيئة في النفس، ونظام في الاستجابة، ونور ينساب إلى السلوك. ومن كثرت ممارسته للأسباب التي يحبها الله، يصير أقرب إلى أن يستجيب لمراد شيخه بصورة تلقائية هادئة مستقرة.

الهداية التي تصل إلى المسترشدين ليست منفصلة عن باطن المرشد، لأنها تمر عبر مسؤوليته، وصدقته، وخدمته، ودعائه، وحرصه، فتعود عليه بثمار تناسب مقامه وإخلاصه.

إن الآية ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾⁽¹⁾، تحمل في هذا الأفق معنى حياً جداً في حياة أهل الطريق. فهي تعلم السالك أن يطلب دائماً ما هو أقرب من الرشد، وتعلم المرشد أن لا يظن أن ما عنده قد استوفى المراتب، وتعلم صاحب الخدمة أن كل مهمة يكلفه بها شيخ الطريقة قد تكون باباً لفتح جديد في داخله. فإذا أمره

1 - [الكهف: 24].

شيخ الطريقة بالإرشاد، فعليه أن يفهم أن الأمر يتضمن رحمة بالناس، وعناية به هو قبل الناس.

الخلاصة أن الإرشاد يزيد الهدى، لأن المرشد حين يكون سبباً في خروج المسترشدين الجدد من العمى إلى النور، فإن الله يوسع بهدايتهم هدايته هو أيضاً. وشيخ الطريقة حين يأمر بالإرشاد، فإنه يؤهل المرشد من خلال هذا التكليف لزيادة الرشد، ويضعه في مقام تتربى فيه نفسه على استجابة أصفى وأسرع لمراد الله. والهدى في جوهره هو أن تستجيب النفس تلقائياً، وبلا تكلف، لما يريد الله منها. فإذا صدق المرشد في خدمته، وصبر على رسالته، ورعى القلوب بأدب الطريق، صار الإرشاد نفسه سلباً يرتقي به من هدى إلى هدى، ومن رشد إلى أقرب من هذا رشدًا.



الملحق الخامس – المرشد والتأهيل للضرب على الآذان

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ

فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾

تفتح هذه الآية باباً عميقاً لفهم نوع من التأهيل الروحي الذي يجعل المرشد قادراً على العبور من أسر اللحظة إلى أفقٍ أوسع من الزمن. فالفتيّة سألوا الرحمة والرشد، ثم جاء بعد ذلك الضرب على الآذان، وكأنَّ الرشد المطلوب احتاج إلى إجراءٍ إلهيٍّ يحجبُ عنهم الأصوات المشتتة، ويعطل ضغط الواقع المحيط، ويمنح أرواحهم فرصة للدخول في طور آخر من التهيؤ. ومن هنا يمكن أن يُفهم الضرب على الآذان على أنه رمز لحجب الملهيات والمشتتات حتى تحدث في الإنسان نقلة معنوية تجعله أوسع وعياً من زمنه المباشر.

وهذا المعنى يكتسب دلالة خاصة حين نتأمل وظيفة المرشد في الطريق. فالمرشد لا يكتفي بأن ينقل الناس من حال إلى حال، وإنما يُراد له أن يمتلك بصيرة تسبق المظاهر، وأن يرى ما يمكن أن تصير إليه النفوس قبل أن يظهر تماماً على سلوكها. وهذا يقتضي نوعاً من السَّبق الزمني المعنوي، أي أن يعيش المرشد المستقبل في الحاضر، فيقرأ البدايات من جهة مآلاتها، ويرى النتائج وهي ما تزال كامنة في المقدمات. هنا يتضح موقع أمر الشيخ بالإرشاد. فالشيخ حين يحث المرشد أو المرشد على الإرشاد، فإنه لا يطلب منه مجرد أداء وظيفة دعوية، وإنما يدخله في ميدان تربية مقصودة، الهدف منها تفعيل هذه الخاصية الباطنية فيه. لأن المرشد ما دام منغلقاً على نفسه، محصوراً في أوراده الفردية وتجربته الخاصة، فإن وعيه يبقى متعلقاً غالباً بحاله الشخصية وحدها. أما حين يُدفع إلى الإرشاد، وإلى التعامل مع الناس، وإلى ملاحظة البدايات، وإلى رصد آثار الكلمة في القلوب، فإنه يدخل في طور جديد من الإدراك، فتتسع رؤيته، ويصير أكثر قدرة على قراءة ما وراء الظاهر.

الإرشاد، في هذا الفهم، ليس مجرد تبليغ، وإنما تدريب عملي على سبق الزمان. لأن الشيخ يعرف أن مخالطة المسترشدين الجدد، وتأمل تحولاتهم، ومشاهدة أثر التوجيه فيهم، تكشف للمرشد قوانين دقيقة في التكوين الروحي. يرى كيف تبدأ الغفلة صغيرة ثم تتضخم، وكيف تلوح شرارة النور خافتة ثم تتسع، وكيف تتحول الكلمة الواحدة إلى انعطاف في المصير، وكيف يكون التأخر في التنبيه سبباً في تعقد المشكلة. ومن كثرة هذه الخبرة يتشكل في داخله حسّ استباقي، فلا يعود ينتظر اكتمال الظاهرة حتى يفهمها، وإنما يلتقطها في بداياتها الأولى.

بهذا المعنى يكون حث شيخ الطريقة على الإرشاد وسيلة لتأهيل المرشد للضرب على الآذان من جهة المعنى. أي لتقوية قابليته على حجب ما لا ينفعه من الأصوات، وتمييز الإشارة المهمة من الضجيج العابر، والانتقال من الانفعال السريع بالحاضر إلى الرؤية الأعمق لمسار الحاضر. فالذي يباشر الإرشاد بصدق يكتشف مع الأيام أن كثرة الاحتكاك بالناس لا تزيده تشتتاً، وإنما تعلمه كيف يفرز، وكيف ينصت إلى الجوهر، وكيف يغلق سمعه الباطني عن الملهيات التي تعوق الرؤية. وهذه هي البداية العملية لخاصية الضرب على الآذان في بعدها الرمزي.

فكأن شيخ الطريقة، حين يرسل المرشد إلى الإرشاد، يعالجه تربوياً بطريقتين في آن واحد: يضعه وسط الواقع حتى يختبر أحوال الناس، ويهيئه في الوقت نفسه لأن يتجاوز أسر هذا الواقع فلا يغرق فيه. ومن هذا التوازن تنشأ شخصية المرشد السابق لزمانه. إنه يتحرك داخل الزمن، لكنه لا يُستهلك فيه. يسمع الناس، لكنه لا يفقد صوته الداخلي. يشهد الفتن والبدايات والانحرافات والتحويلات، ثم تتكون فيه تدريجياً قدرة على قراءة ما سيأتي من خلال ما قد بدأ.

من هنا نفهم أن خاصية سبق الزمان لا تتفعل عادةً في العزلة الذهنية المجردة وحدها، وإنما تتفعل بقوة أكبر حين يأمر الشيخ

بالإرشاد. لأن الإرشاد يحول المرشد من متلقٍ للرؤية إلى ممارس لها، ومن حافظٍ للمعاني إلى مختبرٍ لحركتها في الواقع. وهذه الممارسة هي التي تصقل بصيرته، وتجعله أقدر على استشعار المستقبل الكامن في الحاضر. فالأمر بالإرشاد هو في حقيقته أمر بالدخول في مدرسة الاستبصار الروحي.

الخلاصة أن شيخ الطريقة يحث على الإرشاد لأنه يعرف أن الإرشاد ليس خدمة للناس فقط، بل وسيلة لتكوين المرشد نفسه، وتفعيل خاصية سبق الزمان فيه. ومن خلال هذه الممارسة يتأهل المرشد معنوياً للضرب على الأذان، أي لحجب المشتتات التي تحبس المرشد في اللحظة، فتحدث له نقلة زمنية باطنية، ويغدو أقدر على أن يعيش المستقبل في الحاضر، وأن يوجه الناس ببصيرة تسبق ظاهر الأحداث.



الملحق السادس - الفرق بين الإرادة والتسليم والدعاء

مقدمة

يتردد بين أوساط الخلفاء والمرشدين في الطرق الكسنزانية سؤال لم يُحسم بعد على نحوٍ كافٍ، وهو: هل يملك المريد حق الطلب؛ أي أن يتوجه بحاجته الخاصة إلى الله تعالى أو إلى مشايخ الطريقة مقابل ما يؤديه من أوراد وأذكار، أم أن التسليم لشيخ الطريقة يقتضي إسقاط هذا الطلب والاكتفاء بما يختاره المشايخ للمريد من دون سؤال؟ وفيما يلي بيان لهذا الإشكال من داخل نصوص أساتذة الطريقة الكسنزانية أنفسهم.

حق الطلب مقابل الورد أو الذكر

السؤال: هل يملك المريد حق الطلب (حاجة خاصة) مقابل ذكره أو ورده؟

الجواب:

• يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"الأوراد اليومية هي الإيراد اليومي للمريد.

الأوراد الدائمة أو الختمات التي عندك كلها ذخر للمريد يصرف من ذخره.

يقال: في يوم من الأيام كان مريض يذهبون إلى إحدى التكايا وكلما سألوا خليفة التكية الشفاء يقول: إن شاء الله كذا وكذا، فجاء إليه المشايخ في الليل وقالوا له:

ما هو إيرادك لهذا اليوم من أوراد، وصلوات، وصلاة، وعبادة، وقيام؟

كم هو إيرادك حتى تعطي وعد لهؤلاء الناس؟

هل أعطيت وعداً بقدر ما تعمل؟

راجع نفسك أنت تنام إلى شروق الشمس".

• أكد هذا المعنى شيخنا الحاضر محمد نهر (قدس سره) فقال:

"حضرة شيخنا كان يقول: أحد الخلفاء كان يأتي ويطلب هذا الأمر وهذه الحاجة وهذه المسألة، والشيخ كل مرة يقول له: إن شاء الله يصير.

يقول: بالليل جاؤوا مشايخنا للخليفة [في المنام] وقالوا له: خليفة فلان.

قال: نعم.

قالوا له: أنت كم عندك من الأوراد اليوم بحيث تذهب وتطلب كل هذه الطلبات؟

انتبه لنفسك، هذه المرة سنمررها لك، لكن، إذا لم تُكمل أورادك، وتذهب وتطلب مرة ثانية سنحاسبك عليها، لن تُعطى إلا بقدر ما تُعطى".

النصان واضحان جداً من أساتذة الطريقة، فهما يتضمنان أصلاً عقدياً محكماً يمكن صياغته على النحو الآتي:

(طلب الحاجة الخاصة حق مشروع للمريد، لكنه حق مقيد لا مطلق).

فالمريد لا يُنهى عن طلب الحاجة الخاصة، بل يُؤاخذ إذا طلب فوق ما أُعطى.

وهذا يعني أن الطريقة تُقرّ بوجود علاقة تناسبية صارمة بين الإيراد الروحي (الورد، الصلاة، القيام، الختمات) وبين الإصدار (الطلب والحاجة).

فكما لا يستطيع التاجر أن يسحب من رصيد لم يودعه، لا يملك المريد أن يطلب بقدر ما لم يُقدّم.

غير أن في النصين بُعداً أدق يستحق الإبراز: المحاسبة التي

ذكرها حضرة الأستاذين للخليفة لم تكن على أصل الطلب، بل على عدم التناسب بين الطلب والإيراد.

وهذا تمييز أساسي، لأنه يُسقط الرأي الذي يذهب إلى أن التسليم المطلق وإسقاط الطلب هو المقام الصحيح للمريد في كل أحواله.

فلو كان إسقاط الطلب هو الأصل المطلق لما أُقرّ الطلب أصلاً، ولكانت المحاسبة على الطلب ذاته لا على عدم الوفاء بشرطه.

يعني مشايخ الطريقة، لم يذهبوا للخليفة ويقولوا له: لا تطلب، سلّم، بل حذروه أن يطلب أكثر مما يستحق ولو كان في سبيل الله.

ومن هنا يتبين أن موقف الطريقة الكسنزانية في هذه المسألة لا يقف مع مدرسة إسقاط الاختيار المطلق التي يمثلها ابن عطاء الله في بعض حكمه، ولا مع مدرسة الطلب الحر الذي لا يستند إلى رصيد. بل يقف موقفاً وسطاً دقيقاً، يتحقق في التناسب الطردي بين عطاء الأوراد وطلب الحاجات، إذ يمكن للمريد أن يطلب، ولكن عليه أن يعلم أنه على قدر ما يُعطي سوف يُعطى.

هذا الأصل في الطريقة الكسنزانية هو في حقيقته ينسجم تمام الانسجام مع الآية القرآنية التي كان كثيراً ما يرددها حضرة السلطان في مجالس الوعظ والإرشاد وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁽¹⁾، إذ السعي هنا هو الورد، والعطاء هو ثمرته المشروعة التي يحق للمريد انتظارها والطلب بموجبها.

نختم هذه الإجابة بنص قاطع لحضرة السلطان (قدس سره) يقول فيه: "علاقة الأوراد بالمطلب الذي يطلبه المريد تعتمد على قدر عمله".

تخصيص الأوراد بطلبات محددة

السؤال: إن كان المرید يملك حق الطلب الخاص، فأی من الأوراد أو الأذکار يمكن أن يوظفه لطلبه الخاص، بحسب أصول الطريقة؟

الجواب: ما تُرشد إليه نصوص أساتذة الطريقة هو أن المشايخ لم يُحددوا نوعاً بعينه من الأوراد لحاجة بعينها، بل أطلقوا الكلام على الأوراد والأعمال الروحية بلا قيد، فجاء الخطاب عاماً شاملاً:

قالوا (قدست أسرارهم): "الأوراد اليومية هي الإيراد اليومي للمريد، والأوراد الدائمة والختمات كلها ذخر يصرف منه".

فلم يرد في هذا الخطاب تخصيص بأن ذكراً بعينه لحاجة بعينها، بل بالعكس العبارة تقول: "والختمات كلها ذخر يصرف منه" فلفظة "كلها" تدل على التعميم.

وفقاً لذلك، يتبين أن أي ورد أو عمل يؤديه المريد -سواء كان الذكر اليومي أو الختمات أو الصلوات أو قيام الليل- يجوز له توجيهه بنيتة نحو طلبه الخاص، لأن النية هي التي تُحدد وجهة العمل لا نوعه.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "المريد عندما يأتي للتكية أو للشيخ، يجب أن يعرف مجيئه، يعرف نيتة "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، فمجيئك على نيتك".

وهذا هو الذي شرحناه باستفاضة خلال دروس هذه الدورة.



خارطة الطريق في التعامل مع الأوراد:

فيما يلي خارطة طريق تتعلق بالتعامل بين الأوراد والدعاء:

- الأصل، أن المريد ينتبه بشدة على الأجور والثوابات التي يشخصها مشايخ الطريقة ويذكرونها مع الأوراد.
- فعندما يأتي على ختمة (لا اله الا الله بعدد 100 الف مرة) مثلاً، يجد أن المشايخ ذكروا أنها (تطهر من جميع الذنوب والسيئات ولو كانت كمثل زبد البحر)، فيوجه الإرادة، ويعقد النية على هذا الثواب بالتحديد، لا يحيد عنه طالما هو يسبّح تلك الختمة.
- فإذا انتقل إلى الختمة اللاحقة نظر في فائدتها الروحية، وغير وجهة إراداته، وعقد نيته على ما هي مخصصة له، وهكذا مع جميع الختمات الأخرى.
- الاستغفار: الهدف العام معروف منها، فحين يستغفر يوجه إراداته لطلب المغفرة، فيعقد النية على ذلك.
- الصلوات: الهدف العام منها أن تحل المشاكل جميعاً، فهي فرصة لإزالة العوائق الباطنية في طريق المريد.
- وعلى هذا النسق يتعامل المريد مع المنهج الظاهر أمامه، إذ فيه الإجازة الروحية الشافية والكافية للتحقق بتلك المراتد.
- بالنسبة للأوراد والأذكار التي لم يرد تصريح بفوائدها، فالأصل هنا أن يفتح قلبه لتلقي لمع من فوائدها في باطنه، فيراقب ويستجيب، ولكن عليه أن يعي أمرين:
- الأول: أن ما يحصل منها خاص به، فلا يُصرّح به، ولا يتوهم أنه يشمل الجميع.
- الثاني: أن ما يحصل عليه ليس ثابتاً بل هو متغير، فلا يتوقع التكرار.

- إذا قطع المريد أشواطاً -ربما شهوراً أو أعواماً- في التسبيح والأوراد، وصار كلما يقبل على الفوائد المكتوبة يجد قلبه منصرفاً إلى شيء آخر لا يعرفه تماماً، هنا عليه أن يعلم أنه قد صار مؤهلاً ليتحرك في مدرسة الإرادة الواعية، والمقصود هنا مقامات الطريقة.

فليدرس مقامات الطريقة، مبتدئاً بالتوكل، وليبدأ بالتوجيه الخاص للأوراد والأذكار إلى مراده الجديد، فيقدم الأوراد على نية التحقق بالمقام.

- إذا انتهت مرحلة التحقق بالمقامات المكتوبة، فليفتح قلبه للمقامات العلى (مثل مقام الصالحين) وليطلبها، واحداً تلو الآخر، مستخدماً زاد الأوراد والأذكار نفسه، فهو الوقود والثلثون المجزي لكل شيء في الطريقة.

- خلال هذه المستويات، سيتكشف له بسبب أنوار الأوراد والطاعات والإرشاد، أمور أخرى خاصة به، يمكنه إرادتها، كلما فرضت نفسها عليه، فيطلبها ليتحقق بها. والشرط الوحيد في كل ما تقدم، أنه لا يطلب شيئاً لم يُجزه شيخ الطريقة نطقاً أو تدويناً.

على سبيل المثال: المعروف أن الهدف العام من الاستغفار هو مغفرة الذنوب والسيئات، ولكن فائدة الاستغفار ليست مقتصرةً على ذلك في الطريقة، بل له فوائد عظيمة في قضاء الحاجات الدنيوية.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): " ذهب أحد الناس إلى أحد مشايخ الطريقة الكبار فقال: رزقي قليل، فقال له: اذهب واعمل ختمة استغفار، وجاء إليه رجل آخر وقال عندي كذا، فقال له: نفس الكلام، وجاء الثالث فأعطاه نفس الجواب، فقالوا يا شيخ: هؤلاء الثلاثة جاءوك فقلت لهم نفس الجواب!

فقال: الله ﷻ هو يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾⁽¹⁾، التوبة كبيرة لدرجة تفتح باب رحمة الله، تفتح أبواب السماء وتفتح أبواب البركة في الأموال والأولاد والأرزاق وكل شيء، التوبة كبيرة بشرط أن لا تعودوا إلى الذنوب".

بالتأكيد هذا النص لا يعني أن الذي يحتاج يعمل ختمات استغفار من نفسه، بل هي قصة توضح أن الاستغفارات في الطريقة لها فوائد وثمار دنيوية وأخرية، ظاهرة وباطنية. الأمر الذي يعني أن أوراد الكسنزانية قرآنية، أي منطوية على أبعاد متعددة في الفوائد والبركات. فلا يتوهم المريد أن فوائدها في حدود ما تدل عليه ألفاظها.

وفي المقابل، لدينا مثال ختمة (الصَّلوات) إذ صحيح أنها فائدتها المعلنة في استمارة الأوراد أنها (تنجيك من جميع المشاكل)، على إطلاقها أي الدنيوية والروحية، إلا إننا وفي دراستنا وتتبّعنا لأقوال أساتذتنا نجد أن قوتها الروحية تنفتح على التنوير والإخراج من الظلمات إلى النور، وغير ذلك.

هذه الأمثلة تكشف لك بوضوح، أن التعامل مع الأوراد، ديناميكيٌّ، وليس سكونياً جامداً، فكل مريد يتقلب مع الورد ضمن حدود منهج الطريقة المصدق بالنطق أو التدوين - كما أشرنا- ليستكمل تجربته الصوفية الخاصة.

حول تجديد الإرادة والنية

السؤال: هل على المريد أن (يريد) كل مرة، أم (ينوي) كل مرة، أم ماذا؟

الجواب:

- الإرادة عادة، هي التوجه القلبي أو الباطني العام نفسه، وهي واحدة مستمرة حتى يجري تغييرها. لنوضح هذا الأمر بمثال:
طالب يدرس في الصف الثالث متوسط، هو طوال السنة يحمل الإرادة نفسها التي تحركه للدراسة، وهي النجاح في الصف الثالث للانتقال إلى الصف الرابع. فهي توجهه العام، تبدأ معه واقعياً مع أول يوم للدراسة، ولا تنتهي إلا حين يستلم شهادة النجاح نهاية العام. فور استلامه لشهادة النجاح، يبدأ التمهيد للإرادة الجديدة وهي النجاح من الصف الرابع الإعدادي، يستمر التمهيد طوال فترة العطلة الصيفية، فإذا ابتدأ العام الدراسي الجديد، انطلقت إرادته مع أول يوم وهكذا يتم الأمر في الانتقال بين الإرادات.
- الإرادة توجه مستمر غير منقطع لفترة أو مرحلة أو طلب عام محدد حتى تحقق الهدف المراد.
- النية عادة، هي التوجه الذهني واللساني الخاص، المتقطع، المطلوب في كل عمل جزئي من أوله إلى آخره. هي تتطلب التكرار، مع الأعمال.
- مثال: الطالب في الثالث المتوسط، يأتيه اختبار شهري، هو ينوي الدراسة بجد للنجاح في ذلك الاختبار بأعلى درجة. تركيزه على النجاح في الاختبار غير منفصل عن إرادته للنجاح في العام الدراسي كله. بل النية وسيلته لتحقيق الإرادة.
- مثال آخر: مريد يريد مقام الرجاء، هو ينوي الصلاة قربة لله تعالى، فالإرادة العامة متجهة للحصول على المقام، والنية متجهة لانجاز العمل الذي يوصلك لتلك الإرادة.

يعني: في النية أنت لست مضطر لاستحضار الإرادة، لأنها أصلاً جزء من الإرادة.

النتيجة: على المريد أن يثبت الإرادة (بقرار واعٍ) وأن يُجدد النية مع الأعمال لتحقيق تلك الإرادة، فإن حصل على ما يريد، انتقل إلى إرادة ثانية وثبتها، وداوم على تجديد النية في الطاعات والعبادات كالسابق. المهم أنه يعني أن نيته هذه مرتبطة بإرادته تلك.

اللبس بين الدعاء والتسليم

يلتبس على بعض الخلفاء أو المرشدين فضلاً عن المريدين المقصود بالتسليم، فيتوقعون أنه يعني أن لا تطلب لنفسك شيئاً ما، وتسلم أمرك كله بيد شيخ الطريقة، إذ هو أعرف ويختار لك ما يناسبك من دون سؤال.

المقصود بالتسليم في الطريقة الكسنزانية هو الاستقامة.

يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"الاستقامة: التسليم لله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽¹⁾، فالذي يُسلم نفسه يسلم. كم هي عظيمة هذه الاستقامة".

كيف تتحقق الاستقامة؟

الجواب: بحسب إرشادات أساتذة الطريقة، فإن الاستقامة تتحقق من خلال إجراء محدد وهو: الخروج من اتباع الهوى، والدخول في اتباع الهدى.

شيخ الطريقة هو ممثل الهدى، فكل أمر يؤخذ به، أو نهي يُبتعد عنه، يجب أن يتم اتباعاً لتوجيه شيخ الطريقة (صوت الهدى) وليس لتوجيه النفس بذلك لأن صوت النفس عند الصوفية هو (صوت الهوى).

على سبيل المثال: الصلاة، أنت تعلم أن الله تعالى أمر بها، فتأمرك نفسك بالصلاة، فتفعل، فيكون عملك هذا تطبيقاً للشرعة وهو صحيح، لكنه أتى من اتباع صوت (الهوى) هوى النفس.

في حين إنك تسمع أستاذ الطريقة يأمر بالصلاة، وتقوم لها طاعةً لأمره، فهذا تطبيق شرعي صحيح، مثل الأول، لكنه يتميز بأنه أتى من اتباع صوت (الهدى).

التطبيق الأول: صحيح وفق فقه العقول.

التطبيق الثاني: صحيح وفق فقه القلوب.

فقهاء القلوب، لا ينكرون الأول، لكنهم لا يقفون عنده، بل يطلبون الخالص من أدنى شوائب الهوى، فهم أهل الزيادة، أهل الورع والتقوى، يتورعون حتى عن هوى النفس في الطاعة، ويقون أنفسهم من هواها باتباع صوت (الهدى).

ومثلما كان هذا هو شأن المريد في تنفيذ أمر الصلاة الإلهي، فإنه يتعامل مع جميع الأمور بهذه الكيفية، أي يخرج من الهوى ويدخل في الهدى، وكل عملية دخول في الهدى هي عملية تسليم واستقامة. يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"العُجب هو أحد الصفات الذميمة التي تدمرك، التهور والاعتماد على النفس أيضاً من الصفات الذميمة والمدمرة، لا يقول: أنا عالم أو أنا كذا. لا.

الدرويش أمام شيخه كالमित أمام الغاسل، ليس له القدرة يقلبه كيف يشاء، هذا لأنه ميت يضع عليه ماءً بارداً، أو ماءً حاراً، أو يكفنه، فالغاسل هو المسؤول عنه، فالمريد ليس له قدرة، عليه التسليم..

الطريقة لا يوجد فيها قدرة لنفس، الطريقة لا يوجد فيها تهور، لا يوجد في الطريقة (أنا)، الأنا لا توجد في الطريقة، تقول: كل شيء من شيخي، لأنك سلمت نفسك إلى الله عن طريق شيخك، لا توجد عندك قدرة، ليس لك رأي أمام شيخك..

جئت وأنت معجب بنفسك وتقول: (أنا). الأنا لا توجد، إذا عندك (أنا) فاذهب إلى بيتك، فوالله لا تستفيد مني شيئاً، الأنا لا توجد عندنا في الطريقة".

تلاحظ في النص تركيز حضرة الشيخ على النهي عن (الأنا) وهو المقصود بقولنا: (الهوى).

فالتسليم هنا، لا يعني عدم التفكير أو الدخول في حالة تيهان، بل هي أن تختار الانتقال من اتباع ما تأمرك به نفسك (الأنا) إلى ما يأمرك به شيخك. ولو كان الأمر هو نفسه في الحالتين.

يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"تسلم نفسك للمشايخ بصدق مع صلاتك وصيامك، وقلبك سليم مع الطريقة، فوالله العظيم سوف يساعدونك، لأنهم مع الخلود، الخلود مع الله ﷻ".

لاحظ هنا، ربط حضرة الأستاذ بين التسليم والصلاة والصيام، وبالتالي كل شيء، أي صاحب التسليم هو الذي يأخذ أمر كل شيء من أستاذه ولو كان هو يعرفه مسبقاً.

شيخنا الحاضر (قدس الله سره)، يكرر بين الفينة والأخرى موقف النبي إسماعيل مع أبيه النبي إبراهيم حين رأى أنه يذبحه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾، الشاهد هنا يأتي في الآية اللاحقة التي تقول: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾⁽²⁾، فلاحظ: (أسلما). كلاهما كان صاحب تسليم:

النبي إبراهيم كان صاحب تسليم لأنه سعى في تنفيذ الأمر.

النبي إسماعيل كان صاحب تسليم لأنه قبل بتنفيذ الأمر.

إذاً، التسليم متعلق بتنفيذ الأمر (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) وليس بما يحتاجه المريد أو يريده أو يطلبه.

1 - [الصفات: 102].

2 - [الصفات: 103].

يقول حضرة السلطان (قدس سره):

"طبعاً الشيخ يتكلم بكلام المشايخ، بأوامر وبتوجيه من الله، لأننا لولا قدرة الله ﷻ ما تتمكن نتكلم بكلام واحد، فيأذن على المريد التسليم الكامل".

هذا نص غاية في العمق والكثافة الروحية:

عندما يقول حضرة الشيخ، وهو أستاذ الطريقة: "الشيخ يتكلم بكلام المشايخ، بأوامر وبتوجيه من الله" فهذا يعني أن الشيخ لا يتبع (صوت الهوى) بل (صوت الهدى) الآتي من المشايخ، الذي هو آت من الله تعالى بالتسلسل، وبالتالي فالشيخ صاحب تسليم مطلق.

فإذا كان شيخنا صاحب تسليم مطلق، فهل يعني ذلك أنه ترك الدعاء لنفسه أو أهله أو مريديه أو عموم المؤمنين، بل والناس أجمعين؟

كيف يمكن تصور أن صاحب التسليم لا يدعو، والناس تأتبه لتسأله الدعاء؟

لو كان التسليم مثلما يلتبس الفهم على البعض، من أنه ترك الدعاء أو ترك طلب الحاجات الخاصة، لكان أولى الناس بفعل ذلك هو شيخ الطريقة نفسه. أي كان سيقول: مشايخي يعلمون بحاجتي وحاجة دراويشي وسيقضونها. والواقع خلاف ذلك، فحضرتة يجهر بالدعاء، بل ويطلبه حتى من مريديه.

إذاً، النتيجة التي نصل إليها هنا هي: أن الدعاء وطلب الحاجة الخاصة من شيخ الطريقة أو المشايخ أو حضرة الرسول الأعظم ﷺ أو الله تعالى، شيء، والتسليم شيء آخر.

التسليم: أن يصدق المريد بكل ما يخبره به شيخه، وأن يستقيم على التطبيق وفق أوامره خارجاً من تطبيق نفس الأمور وفق هوى نفسه.

أما الدعاء وطلب الحاجات فهو جزء مما يأمر به شيخ الطريقة أصلاً، إذ يقول حضرته (قدس سره): "الدرويش هو صاحب الدعاء، نحن من أهل الدعاء".

وكيف لا يقول ذلك وهو قرآن ناطق يمشي بين الناس، والقرآن يقول: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾⁽¹⁾، فلا يعجب بالمريد لولا دعاؤه.

وفيما يلي نموذج من دعاء حضرة السلطان (قدس سره):

• "نحن دعاؤنا دعاء سيدنا الجيلاني (قدس سره) في الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽²⁾، يعني أنت تريد في الدنيا حسنة الفلاح والنجاح، وتريد في الآخرة حسنة الفلاح والنجاح وتريد البعد عن النار".

واضح هنا، وهو أشهر أدعية حضرته، أنه لم يمنع دعاء الدنيا أو طلبها، بل بالعكس بينه ووضحه.

• "يا الله بجاه الحبيب ﷺ، بجاه حرمة القرآن، بجاه حرمة الرسول ﷺ، بجاه أسمائه الحسنی، بجاه الصالحين من الأولياء والأنبياء، ومن الجن والأنس والملائكة، أن يرحمنا الله جميعاً، ويرحم أمة محمد ﷺ عامة، وإخواننا الدراويش خاصة، الله يبعدنا عن هذه المشاكل، ويحفظ الله إخواننا الدراويش".

• "أحد أدعيتك يا لطيف يا لطيف الطف بحالي. اطلب من الله اللطيف".

• "اللهم إني أسألك وأتوسلُ إليك بحبيبك محمد ﷺ أن تجعلني من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. اللهم آمين.

فهذا الدعاء هو دائماً دعاء المريد يطلب من الله أن يبعده عن المكروه والحرام، لأنه ظلام، وكله نار".

1 - [الفرقان: 77].

2 - [البقرة: 201].

- "دائماً ادعوا لنا بالخير، من بعد صلواتكم، لشيخكم، لأبنائه، لإخوانكم الدراويش والخلفاء، لأمة محمد ﷺ بصورة عامة، الله يحفظ أمة محمد ﷺ بصورة عامة ويوجههم إليه".
- "إذا لم تفعل المنكرات ودعوت أنا كفيلك، كل ما تطلبه يُستجاب، هذه هي الدروشة، الله يقول هكذا، إذا الدراويش عنده حاجة عند مشايخ الطريقة : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾⁽¹⁾، لكي يرشدهم الله ويعاونهم وتُنجز أعمالهم".
- "اطلبوا بقلوبكم الأشياء الحلال، إن شاء الله يستجاب لكم وتنالون مرادكم".



حالات تعليق الطلب

السؤال: هل توجد حالات يتوقف فيها المريد عن الطلب أو الدعاء أو حتى الذكر والتسبيح؟

الجواب: توجد حالات وقتية يمكن التوقف فيها عن الطلب أو الدعاء، ومنها:

الحالة الأولى: تحدث في بدايات أخذ الطريقة للمستجد حين يبدأ في التسبيح ويحاول السير الروحي، فهنا وبسبب أن نفسه تكون حينها في أوجها، فإن أحوال الذكر وشيخ الطريقة، تشغله بالذكر عن كل أنواع السؤال، وهذه الحالة هي المعبر عنها في الرواية المعروفة في الحديث القدسي: «يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ فَوْقَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ»⁽¹⁾. لكن هذا الأمر يصنف عند أهل الطريقة من (أحوال الابتداء) التي يفترض أن ينتقل منها إلى ما وراءها لاحقاً، فهو توقف مؤقت.

لذا، على الخليفة أو المرشد المربي، أن يكون واعياً بشأن المريد ومستواه، فيتفهم شأنه في الابتداء، ويساعده لاحقاً على الارتقاء.

الحالة الثانية: هي حالة خاصة يمكن وصفها بأنها عكس الحالة الأولى، وذلك أن المريد من شدة تعمقه بالأوراد والذكر والإرادة، بقوة وصدق، ورابطة حقة، يستحق أنوار وقوة روحية تفوق درجة تشبعه، فهنا يتدخل مشايخ الطريقة، ليجعلوا يده ولسانه ثقيلاً عن التسبيح، إلى أن يحصل له توسع كافٍ في جانبه الروحي، فيطلقون يده مجدداً في الذكر والدعاء والتسبيح.

الحالة الثالثة: إذا كان المريد لا يعرف ماذا يُريد، أو كيف يُريد.

الحالة الرابعة: إذا كان المريد عارفاً بنفسه، واعياً بانتقاله بين الأحوال والمقامات، وأراد التوقف للاستراحة بين مقام وآخر، وهو

1 - ابن أبي شبيب، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، الناشر: (دار التاج - لبنان)، (مكتبة الرشد - الرياض)، (مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة). ط1، 1989م، ج6 ص34.

المفضل لفترة قد تكون وجيزة أو تطول، ففي ذلك التوقيت، لا يدعو ولا يريد، ويكتفي بما يريد على باطنه من وتردات.

الحالة الخامسة: في حضرة الشهود، إذ المعروف أن أهل القلوب حين يحضرون ويكونون في الشهود، فلا يذكرون ولا يطلبون وقتياً، لأنهم يكونون في حالة جذبة روحية خاصة.

قال حضرة السلطان (قدس سره) معقّباً على قول ابن عربي:

ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتتطمس الأبصار والقلوب

"هذا الكلام صحيح، فالعارفون والأولياء حين يصلون إلى الحضرة الإلهية تصبح عندهم حالات خاصة، منها: أي حركة أو قول يكون حجاباً ويصبح مثل الذنب الكبير، فلحظة بدون وضوء، أو لحظة التفات، أو لحظة فكر لغير الله، تزداد عليه هذه الأمور ويراهها كبيرة، فلا يستطيع أن يذكر لأنه في الحضرة، في الذوبان، قد ذاب بنور الله بذكر الله، وهذه حالات خاصة".

وعندما يقال: حالات خاصة، فالمقصود أنها لا تحدث بالإرادة أو التكلف بل تأتي لوحدها وتذهب لوحدها.

الحالة السادسة: إذا أمر شيخ الطريقة بختمة مخصصة لحدث أو دعاء محدد، فحينها يكون العمل على نية أستاذ الطريقة حصراً، أي يتوقف فيها الطلب الخاص وقتياً.

هذه أهم الحالات، التي يمكن أن يتوقف فيها المريد عن الطلب أو الدعاء أو الإرادة، وجميعها تشترك بخاصة واحدة، وهي تعبّر عن مستوى من الضعف التي لا سيطرة للمريد فيها على نفسه، فجميعها أحوال، ولا علاقة مباشرة لها بمصطلح (التسليم) في الطريقة، إلا (الحالة السادسة) فهي تعبّر عن (التسليم) لأن المريد وباختياره الواعي يقرر طاعة أستاذه، ويخرج عن إرادته إلى إرادة أستاذه في نوع الطلب.

الخلاصة

هل للمريد حق الطلب الخاص؟

- الطلب حق مشروع للمريد لكنه مقيد بالتناسب الطردي مع الورد.
- المحاسبة في نصوص أساتذة الطريقة لم تكن على أصل الطلب بل على عدم الوفاء بشروطه.
- الموقف الكسنزاني وسط: لا مع مدرسة إسقاط الاختيار المطلق، ولا مع الطلب الحر غير المقيّد.
- الأصل القرآني: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁽¹⁾، السعي هو الورد، والطلب هو ثمرته المشروعة.
- أي الأوراد تُوظّف للطلب؟
- لا تخصيص في نصوص أساتذة الطريقة لورد بعينه لحاجة بعينها، بل الخطاب عام شامل.
- لفظة "كلها" ذخري صرف منه "تدل على التعميم صراحةً."
- النية تحدد وجهة العمل، لا نوعه، أي أن كل ورد قابل للتوجيه بالنية.
- استثناء واحد: إذا جاءت تعليمات خاصة من شيخ الطريقة بنية محددة، فتلك النية تكون حصراً.
- خارطة التوجه الباطني
- المريد يُوجّه إرادته نحو الثواب المذكور مع كل ختمة، ولا يتجاوزه طالما هو فيها.
- الإرادة: توجه مستمر عام حتى تحقق الهدف.
- النية: توجه متجدد مع كل عمل جزئي.
- شرط واحد مانع: ألا يطلب المريد شيئاً لم يُجزه شيخ الطريقة نطقاً أو تدويناً.

محور اللمس بين الدعاء والتسليم

- التسليم في الطريقة الكسنزانية هو الاستقامة، وتعني الخروج من اتباع الهوى إلى اتباع الهدى، وليس إلغاء الإرادة أو ترك الطلب.
- الدرويش وصاحب التسليم يدعو ويطلب، بل حضرة السلطان نفسه (قدس سره) يجهر بالدعاء ويطلبه من مريديه.
- الدعاء والتسليم ليسا متضادين: "الدرويش هو صاحب الدعاء، نحن من أهل الدعاء".
- حالات التوقف عن الذكر أو الطلب (وقتيّة لا دائمة)
- حالة الابتداء: انشغال النفس بالذكر عن الطلب، وهي مرحلة تُتجاوز لا تُتبت.
- حالة الامتلاء الروحي الفائض: يوقف المشايخ الذاكر مؤقتاً حتى يتسع وعاءه الروحي.
- حالة الجهل بالمراد أو كيفيته.
- حالة الاستراحة الواعية بين مقام وآخر
- حالة الشهود: الجذبة الروحية تُغيّب الذاكر في المذكور فيسقط الذكر اللساني لا إرادياً.
- حالة الختمة المخصصة بأمر الشيخ: هي الوحيدة المرتبطة بالتسليم الاختياري الواعي.



الملحق السادس - أسئلة متنوعة وأجوبة موجزة

- كيف أتعامل مع شخص أخذ البيعة ولا يظهر أي تغيير؟
أترك له الباب مفتوحاً دون ضغط، وأدرك أن التغيير له توقيتات مختلفة.
- هل يجوز للمرشد أن يقول: لا أعلم؟
نعم، بل هذا من الصدق، والاعتراف بعدم المعرفة يحفظ الهيبة ولا ينقصها.
- هل من الخطأ أن أتأثر نفسياً بمشاكل الناس؟
التأثر الإنساني طبيعي، لكن حمل الأعباء فوق الطاقة يُضعف المرشد.
- كيف أحمي نفسي من الإرهاق الإرشادي؟
بالموازنة بين الإرشاد وعبادتي الخاصة ووقتي مع العائلة.
- هل يجوز للمرشد أن يغير أسلوبه مع الزمن؟
نعم، بل الجمود هو الخطأ، ما دام المقصد محفوظاً.
- كيف أتعامل مع النقد أو الاعتراض؟
بالاستماع أولاً، والتفريق بين النصيحة والخصومة.
- هل كل من طلب البيعة مهياً لها؟
إعطاء البيعة يبقى باب رحمة لا اختبار كفاءة.
- كيف أتعامل مع اختلاف الخلفيات الثقافية للمسترشدين؟
بفهم السياق أولاً، ثم توجيه الخطاب بما يناسب عقلم لا بما يناسب اعتيادك.
- كيف أتعامل مع من يريد البيعة بدافع اجتماعي لا روحي؟
أعطيه البيعة تيسيراً، فكم من شخص أسلم في الزمن النبوي نفاقاً ثم صدق لاحقاً في إيمانه.

- هل يجب أن أظهر كل ما عندي من علمٍ أو تجربةٍ؟
- لا، الحكمة في إعطاء الناس قدر ما يحتملون.
- كيف أضبطُ علاقتي بالمرشدين الآخرين في المنطقة؟
- بالتعاون لا التحاسد، وبالاحترام لا المقارنة.
- هل يُشترط نجاحي الدنيوي لأكون مرشداً ناجحاً؟
- لا، لكن النجاح في الواقع الاجتماعي يعزز أثر الإرشاد.
- كيف أوازن بين حياتي الخاصة ودوري الإرشادي؟
- بتحديد أوقات واضحة، قدر الإمكان، وعدم خلط الخاص بالعام.
- كيف أتعامل مع الإشاعات أو سوء الفهم؟
- بالوضوح الهادئ دون انفعال أو دفاع مفرط.
- هل الإرشاد يحتاج تقييماً دورياً؟
- نعم، بالمراجعة الذاتية وسؤال الثقات.
- متى أعلم أن أسلوبي لم يعد مناسباً؟
- عندما يتوقف الأثر رغم حسن النية.
- هل يجوز استخدام الوسائل الحديثة في الإرشاد؟
- نعم، إذا خَدَمَت المقصد ولم تُفَرِّغ الروح من معناها.



خاتمة

الدروس في هذا الدليل، على قَلَّتْها وكثافتها _ لم تَطْمَح إلى تحويل المرشد بين ليلة وضحاها إلى مقامٍ مثاليٍّ لا يُطال، إنما كان مقصدها أن تَفْتَحَ أمامه الطريقَ للتحسُّن خطوةً خطوةً.

والتحسُّن في طريق الكسنزان سِيرٌ مفتوحٌ من غفلةٍ إلى وعي، ومن وعي إلى وعي أعمق، ومن وعي أعمق إلى رشيد يتجدد في هذه الدار، بل ولا يقف عند حدٍّ حتى في الدار الآخرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾⁽¹⁾، هذه الـ«عسى» الإلهية المفتوحة تُبقي باب الرشيد موارباً لا يُغلق، ومَنْهلاً لا يُستنزف.

إذا تأمل المرشد في الدروس العشرة التي طُويت أوراقها بين يديه، وجدها، على قلة تعددها، بناءً معرفياً واحداً، تُقام كلُّ لبنَةٍ منه على ما قبلها، وتُمهّد لما بعدها.

بدأت الرحلة من باب الدعاء المستجاب، حيث علم المرشد أنَّ الإرشاد عملٌ يستحقُّ أجراً، وأنَّ الأجر مشروطٌ بشروطه. ثم انتقلت به إلى رحاب الولاية، فعَلِمَ أنَّ الإرشاد امتدادٌ لمقام الأولياء في الأرض. ثم أدخل في حضرة العلم اللدني ليعلم أنَّ ثَمَّةَ معرفةٍ تُتَلَقَّى بالقلب تُجاوِزُ ما يُكتسَبُ بالقلم. ثم رَدَّتْهُ الصَّلوات المحمدية إلى أصل النور، والصلاة إلى مقام المعراج. ثم وُضِعَ في صَفِّ الصالحين، وفتحت أمامه التجربة الإرشادية بمسافاتها، حتى استكمل الأمر بأصول علم التصوف، وأرسى قَدَمَيْهِ على قواعد الاستعداد للخروج للإرشاد.

والمُتأمل في هذه الدروس يَلْحَظُ أنَّ كلَّ دريسٍ منها يُجيبُ عن سؤالٍ قبل أن يُسأله المرشد في ميدان الإرشاد. كأنها مرايا متجاورة تتعكس فيها ذات المرشد من زوايا مختلفة، حتى يَعْرِفَ نفسه قبل أن يَعْرِفَ الناس. ولهذا قلنا في المقدمة: إنَّ هذه الدروس موجهة في الأسايس إلى المرشد نفسه قبل من سِيرشدهم. فمعرفة النفس في الكسنزانية مفتاح معرفة الناس، ومرآة الشيخ في القلب هي الأصل الذي تُستمدُّ منه الفروع.

1 - [الكهف: 24].

ها هنا تستقرُّ في وعي المرشدِ أمانة التمييز بين «الحال» و«المقام». الدروسُ تُلَهَّبُ حالاً، أي تُوقَدُ في النفس شرارة الرغبة في الإرشاد، وهي وحدها لا تُؤَسَّسُ مقاماً. فالحال يأتي ويذهب كالنَّفيس في الجسد، والمقامُ يثبتُ ويستقرُّ كالعظم في الجسم.

من طوى هذه الدروسَ ووجدَ في باطنه حماساً للإرشاد، فهو في حال. ومن داومَ على ما تعلَّم، وجدَّ إرادته كلَّ يوم، وراجعَ تَيْتَهُ قبلَ كلِّ خروج، واستمدَّ من شيخه الحاضرِ في كلِّ هَمَّة، فهو يتدرَّجُ نحو المقام. والشيخُ الحاضرُ (قدس سره) أرادَ لطلَّابِ هذه الدورة أن يتجاوزوا حدَّ الحالِ إلى مقام الإرشاد. ولذلك قرَنَ الدراسة بالتطبيق، والمعرفة بالعمل، والوعي بالنية، حتى يتكاملَ في المرشدِ الجانبُ النظريُّ مع الجانبِ الميدانيِّ، فيخرجَ إلى الناس بصورة تكاملت فيها الروحُ مع البصيرة.

من قرأَ هذه الدروسَ ولم يخرجَ بها إلى الإرشاد، فقد تلى ولم يقرأ. ذلك أنَّ الإرشاد في الكسنزانية فعلٌ يُحقَّق، وقاعدةُ التحقُّق في طريقِ الصوفيةِ معروفة: «من ذاقَ عَرَفَ، ومن لم يَذُقْ لم يَعْرِف».

والذوقُ في الإرشاد هو الميدانُ نفسه: الخروجُ إلى الناس، ومخاطبتهم، وأخذُ البيعة، ومتابعةُ المسترشدين، وتلقِّي ردودِ الفعل، وتحمُّلُ القَرَح من سهامِ الكلام كما يتحمَّلُ المجاهدُ القَرَح من سهامِ السلاح. وفي هذا المضمَارِ تنكشفُ للمرشدِ قوانينُ روحيةٌ يصعبُ انكشافُها في عِزلةِ الكتاب، ويَقْصُرُ عنها أنسُ الحلقة وحده. ومن هنا، فإنَّ هذه الدروسَ — وما يلحقُ بها من ملاحق ومفرداتٍ ـ بَوَابَةٌ إلى الميدان. وكما أنَّ شهادةَ الكليةِ إذنُ بدخولِ المهنة تبقى الممارسةُ فيصلها، فكَذلك ما طُويت صفحاته هنا.

ألمعنا في مقدمة هذا الدليل إلى أنَّ هذا المنهجَ يمثِّلُ المرحلةَ الأولى من ثلاثِ مراحلٍ متكاملةٍ في تكوينِ المرشدِ الكسنزانيِّ المعاصر: مرحلةُ الذات، ثم مرحلةُ المادة، ثم مرحلةُ الخطاب. فأما

المرحلة الأولى، فقد تكفل بها هذا الكتاب على وجه الإجمال، إذ صَوَّبَ النظر إلى داخل المرشدِ أَوَّلًا، وكشَفَ له عن موقعه ودوره ومسؤولياته، وعن مستوى وعيه بنفسه قبل أن يكون له موقعٌ من الناس.

وأما المرحلة الثانية، فهي المادةُ الإرشاديةُ التخصُّصية، أي مجموعُ المعارفِ والمضامين التي يحتاج المرشدُ إلى استيعابها ليُحسِّنَ نقلها إلى الآخرين، وهي مرحلةٌ قادمةٌ بإذن الله تعالى، تستكملُ ما بدأناه.

وأما المرحلة الثالثة، فهي آلياتُ الخطابِ الصوفيِّ المعاصر، أي فنونُ التواصل التي يتمكَّن بها المرشدُ من إيصالِ رسالته بلغةِ العصرِ وأدواته ووسائله، الحركية منها والإلكترونية، حتى يكونَ ابنَ زمانه كما أراد له شيخه.

تذكَّرَ أيها (الطالب المرشد) وأيتها (الطالبة المرشدة) ما قاله سلطاننا (قدس سره): «المؤمنُ مرآةُ المؤمن». فأنت في هذا الطريقِ مرآةٌ مزدوجة في آنٍ واحد. مرآةٌ لشيخك بين الناس، فما يرى من حالك وأخلاقك يُنسَبُ إليه على السنةِ المسترشدين. ومرآةٌ في عينِ شيخك، يرى ما لا ترى من نفسك، ويربِّيك بما تعلمُ وبما لا تعلم.

ومن هنا، فإنَّ القيامَ بالإرشاد مسؤوليةٌ مزدوجة: مسؤوليةُ تجاهِ الناس، وتلك ظاهرةٌ بيّنة؛ ومسؤوليةُ تجاهِ الشيخ، وتلك أعمقُ وأخفى. ولا تكتمل واحدةٌ منهما إلا بصاحبها. فإذا أحسنَ المرشدُ صورته، فقد أحسنَ تمثيلَ شيخه. وإذا أحسنَ تمثيلَ شيخه، فقد فَتَحَ بابَ القبولِ للناس فيه.

ثُمَّ سرَّ يحسُنُ التنويهُ به في ختامِ هذه الدروس: الإرشاد في حقيقته فعلٌ ينطلقُ من باطنٍ ويستقرُّ في باطن. هذا الذي يجعلُ الكلمةَ القليلةً من المرشدِ الصادقِ أبلغَ من خطبةٍ مُسهبَةٍ من غيره. وهذا الذي يجعلُ الإيماءَ المباركةَ من الشيخِ أقوى أثرًا من ساعاتٍ جدلٍ مع المعاند.

والمرشد الكسنزاني، حين يستقيم بباطنه على نور شيخه، يصير بباطنه مجلى ينعكس منه نور الشيخ على المسترشد. فيتحرّك في باطنه ما يحركه ذلك النور، من غير صنع من المرشد لذاته. هو في هذا الموضع واسطة ناقلة، يجري النور عبره من غير أن يكون منه. ومن أدرك هذا المعنى، خفت عليه أعباء الإرشاد، إذ علم أن الأمر كله لله ولرسوله ﷺ ولشيخه، وأن ما يجري على يديه فيصّ يعبره. هنا تتحوّل عملية الإرشاد من أداء خارجي يتعب صاحبه إلى تجلّ باطني يُنعشه؛ ومن دائرة مغلقة بين قائل وسامع إلى دائرة مفتوحة تتصل فيها البواطن بحبل الله المتين.

مما تكرر في هذه الدروس بأشكال متعددة، أن الإرشاد يجري وفق سنن وقوانين، كما تجري سائر شؤون الحياة. وهذا أصل معرفي ينبغي أن يُترجم في وعي المرشد إلى يقين. فالقوانين الروحية في الإرشاد قوانين بالمعنى الدقيق للكلمة. لها مقدّماتها ولها نتائجها، ولها استثناءات يعرفها المرشد بالتجربة المتكررة. من أحسن التعامل معها حصّد ثمارها بإذن الله. ومن جهلها أو تجاهلها، توقفت في حقّه، فيظن ظان أن الإرشاد لا يجدي، والحق أن تعامله معه لم يستوف شروطه.

ومن هنا كان التركيز في هذا الكتاب على شروط النية، وشروط الإرادة، وشروط التوبة والطهارة، وشروط البشاشة وحسن المعاملة. هذه الشروط هي مفاتيح الاتصال بالقوانين الروحية. متى أُديرت بحقّها، انفتحت الأبواب.



كلمة أخيرة:

قلنا في كلمة افتتاحية هذا الكتاب، نقلاً عن حضرة السلطان (قدس سره)، إِنَّ الإرشاد هو "العبادة الأكبر والأقوى بين جميع العبادات والأعمال الصالحة، لأنه الأصل الذي به تُفرض الفرائض، فالإرشاد رأس التقوى". فإذا فهم المرشد موقعه على هذا النحو، عَلِمَ أَنَّ موقعه في صميم الطريق، وفي قلبه النابض.

وإذا أردت أن تختصر ما في هذه الدروس كلها في كلمة واحدة، فقل: تكوين المرشد هو تكوين إنسان كامل بحد ما يُتاح. يَعْرِفُ رَبَّهُ فيعبده، وَيَعْرِفُ نَفْسَهُ فيَهْدِيها، وَيَعْرِفُ شَيْخَهُ فيقتدي به، وَيَعْرِفُ النَّاسَ فيَرْحُمهم، وَيَعْرِفُ زَمَانَهُ فيُخاطبه بلغته. فإذا اجتمعت في المرشد هذه المعارف الخمس، فقد بلغَ حَدَّ ما يستطيع بشريُّ أن يبلغه في مقام الإرشاد. وما تَبَقَّى فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يَخْتَصُّ به من يشاء من عباده، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾.

وما الكتاب الذي بين يديك سوى مفتاح صغير يفتح باب هذه المعارف الخمس على مصراعيه. إن دخلت، فسير. وإن سرت، فلا تلتفت. وإن لم تلتفت، بلغت بإذن الله ما لم يخطر على بالك أنك ستبلغ. وكلما ارتقيت، فاذكر أَنَّ خَلْفَكَ أَخاً مُسْتَرشداً ينتظر مَنْ يأخذ بيده، فلا تنس في رُقيِّك أَنَّ تَمَدَّ يَدِكَ إِلَيْهِ. هذا هو الإرشاد في صورته الحية. وهذا هو الطريق في حقيقته المتجددة.



اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَلَّمْتَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، عَلِّمْ مَرشِدِينَا مَا يَنْفَعُهُمْ
وما يَنْفَعُ بِهِمْ، وَأَخِي بِهِمْ سُنَّةَ الْهُدَى، وَأَقِمْ بِهِمْ بُنْيَانَ الرَّحْمَةِ،
واجعلهم من الذين قُلْتَ فِيهِمْ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾.

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي حَضْرَةِ شَيْخِنَا الْحَاضِرِ، السَّيِّدِ الشَّيْخِ شَمْسِ
الدِّينِ مُحَمَّدٍ نَهْرٍ الْكَسْنَزَانِ الْحَسِينِيِّ الْقَادِرِيِّ، وَأَطِلْ فِي عَمْرِهِ،
وانفع بعلمه، واحفظ بنوره الطريقةَ ومرشديها، واجعلنا من
الصادقين في خدمته، الواقفين في حضرته، السائرين بنهجه، حتى
نلقاك على ميثاقٍ صادقٍ وعهدٍ متجددٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

**وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الْوَصْفِ الْوَحْيِيِّ وَالرَّسَالَةِ
وَالْحِكْمَةِ.**

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

1 - [فصلت: 33].

شكر وعرفان

يطيب لي، بالأصالة عن نفسي، وبالنسبة عن مقام حضرة السيد الشيخ محمد نهر الكسنزان (قدس سره)، رئيس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية، أن أقدم بأسمى عبارات الشكر وخالص التقدير إلى (الطلبة المرشدين والطالبات المرشدات) الذين شاركوا في هذه الدورة الصوفية والفكرية الخاصة، وانخرطوا في أجوائها العلمية بروح جادة، ووعي مسؤول، والتزام رفيع. واخص منهم الذين شاركوا بأسئلتهم وكذلك الذين اشترك منهم في التدقيق.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل للمسؤولين الأخوة الأفاضل في المجلس الثقافي، ومجلس الشباب، وكذلك مكتب الإرشاد في السلطانية المقدسة، على تعاونهم الجاد والمخلص في هذا العمل.

كما أتوجه، في هذا المقام، ببالغ الامتنان وصادق الثناء إلى الإخوة والأخوات في الكادر التنظيمي، الذين كان لجهودهم المخلصة، ومتابعتهم الحثيثة، ودأبهم المتواصل، الأثر البالغ في إخراج هذا المشروع إلى حيز التحقق، بالصورة العلمية والتنظيمية التي تليق بمقاصده وغاياته.

وإن من الوفاء أن يُذكر أهل الفضل بفضلهم، وأن تُسجل هذه الجهود المباركة في موضعها اللائق من الشكر والتقدير المستحق. وتضم هذه النخبة المتميزة كلاً من:

الدكتور بكور عاروب - التدقيق اللغوي	أزهار العبدلي - تنظيم البيانات
علي فاضل كاني - التنسيق الادارة الفنية	نور الخالدي - مراجعة وتنضيد
فاضل نضال فاضل - المونتاج والميديا	حلى منفي - مراجعة أسئلة الطلبة

التنظيم والإعداد: الدكتور الخليفة نضال البغدادي

المحتويات

11	كلمة افتتاحية.....
15	المقدمة.....
19	استهلال.....
21	لا أحد ليس بمرشد.....
23	الأصل في الإرشاد.....
25	تعريف الإرشاد والمرشد.....
29	الدرس السابع المرشد والتجربة الإرشادية.....
31	المرشد والتجربة الإرشادية.....
35	تمارين الدرس السابع.....
41	سين جيم الطلاب والطالبات.....
63	الدرس الثامن المرشد والإرادة.....
73	تمارين الدرس الثامن.....
79	سين جيم الطلاب والطالبات.....
123	الدرس التاسع المرشد وأسس علم التصوف.....
125	المرشد وأسس علم التصوف.....
135	تمارين الدرس التاسع.....
141	سين جيم الطلاب والطالبات.....
187	الدرس العاشر قواعد الاستعداد للخروج إلى الإرشاد.....
199	تمارين الدرس العاشر.....
205	سين جيم الطلاب والطالبات.....
223	الملاحق.....
223	الملحق الأول- مفردات الكسنزان.....
231	الملحق الثاني - المرشد والتأهل لسن الرشد الديني.....
241	الملحق الثالث - المرشد والتأهل لعلم الاستقراء.....
245	الملحق الرابع - المرشد والتأهل لزيادة الهدى.....
249	الملحق الخامس - المرشد والتأهل للضرب على الأذن.....
253	الملحق السادس - الفرق بين الإرادة والتسليم والدعاء.....
271	الملحق السادس - أسئلة متنوعة وأجوبة موجزة.....
273	خاتمة.....
279	شكر وعرفان.....
281	المحتويات.....